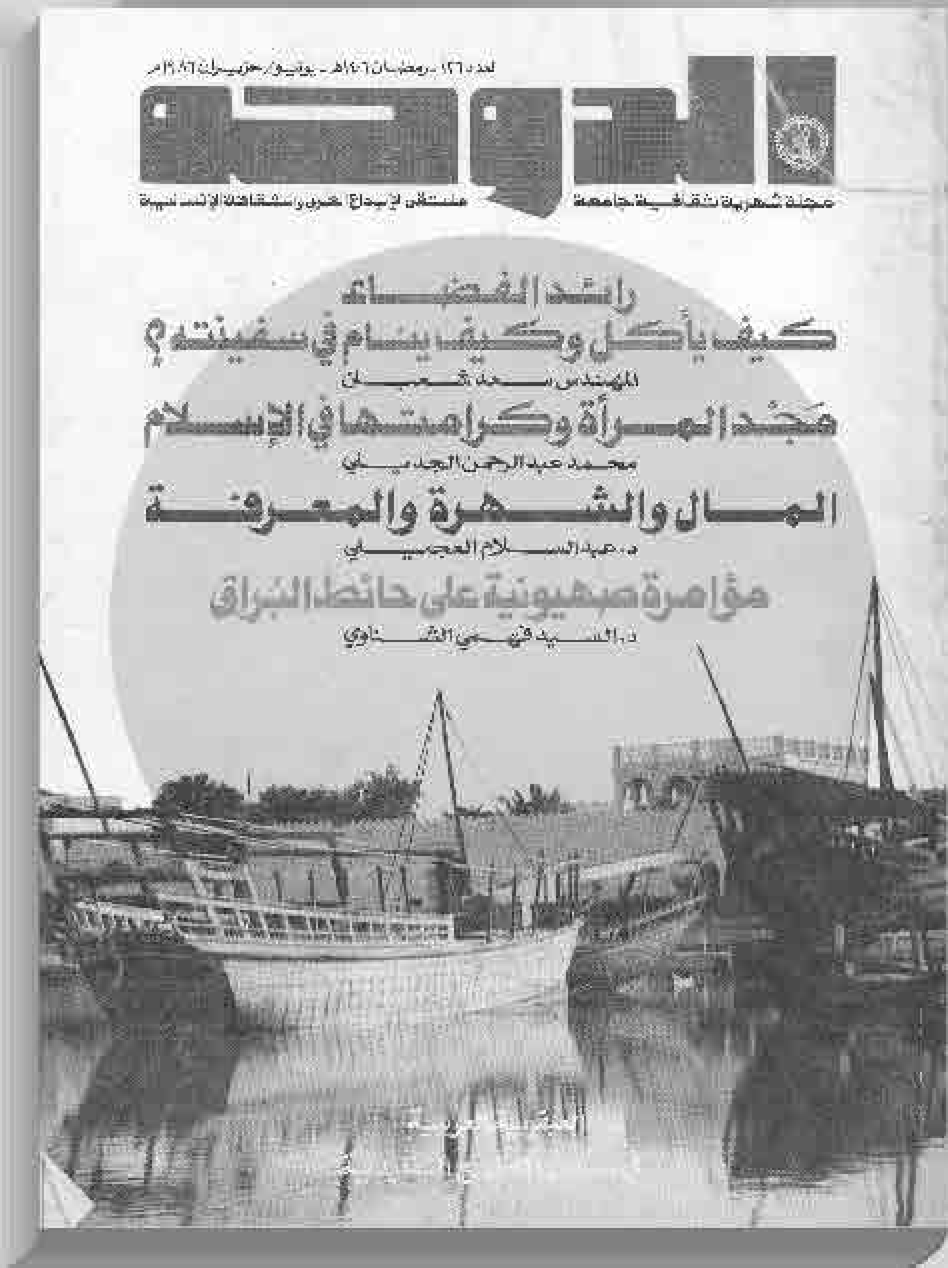

العدد ١٢٦ - رمضان ١٤٠٦هـ - يونيو/حزيران ١٩٨٦م
الدوحة
مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية
رائد الفضاء
كيف يأكل وكيف ينام في سفينته؟
المهندس سعد شعبان
مجد المرأة وكرامتها في الإسلام
محمد عبد الرحمن الجديلي
المال والشهرة والمعرفة
د. عبد السلام العجيلي
مؤامرة صهيونية على حائط البراق
د. السيد فهمي الشناوي

فصـــل من الفصـــول "الداميـــة" في تـــاريخنـــا العـــربي

مؤامـــرة صهيونيـــة على حـــائط البُـــراق

حائط البراق ـ حائط المبكى عند اليهود ـ يمثل فصلاً دامياً من التاريخ ، وفي العلاقات الإنسانية ، وهذا الفصل الدامي يجب أن يكون معروفا ومستقرا في ذهن كل طفل عربي .

إنه قضية تمثل التساهل العربي الذي يقابل بالسلب والغصب والقضم خطوة خطوة على جثة الحقيقة والإنسانية والإخاء البشري .

بقـــلم
الدكتور السيد فهـمي الشناوي

كانت مدينة القدس الشريف بعد الفتح الاسلامي موئلاً لقراء وحفاظ القرآن ورواة الحديث ونقطة التقاء حجاج بيت الله الحرام ، وموطناً للتقوى والعبادة والتسبيح ، فكان هذا حافزاً للولاة والأعيان أن يخصصوا أوقافاً للصرف على هؤلاء القراء والحفاظ والعُبّاد . وكان ممن استفاد من هذه الأوقاف طائفة من المغاربة أقاموا على الجانب الغربي من الحرم الشريف . فأوقف لهم الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي (اسمه صلاح الدين يوسف أيوب شاد) وقفاً عرف بوقف أوحي أوحارة المغاربة على الجانب الغربي من المسجد الشريف تتوسطها مدرسة الملك الأفضل .

ونص الوقفية أعيد تقييده مرتين : عامي ٦٦٦ هجرية ثم ١٠٠٤ هجرية أي ١٢٦٧ م ثم ١٥٩٥ م ، وتوجد صورة من الوقفية محفوظة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن .

وتحدد الوقفية الحدود الآتية : الحد القبلي سور مدينة القدس . الحد الشرقي هو حائط الحرم الشريف .(هام جداً) الحد الشمالي قنطرة أم البنات الحد الغربي دار الامام قاضي القدس ، ثم دار الأمير عمار بن موسكي ، ثم دار الأمير حسام الدين قايماز . هذه الدور الثلاث أصبحت مجتمعة تعرف بحي الشرف أو حي الأشراف .

هذه المساحة بهذه الحدود هي حي المغاربة بالقدس . وحددت الوقفية بأن تخصص مساكن هذه الحارة للمغاربة : وأن يكون ناظر الوقف مغربيا .

وفيما بعد وعندما تحسن حال بعض المغاربة مادياً كانوا هم أيضاً يوقفون وقفيات للصرف على المغاربة أو ينشئون زوايا للعبادة ، أشهرها زاوية أبي مدين وإيراد قرية عين كارم من قرى القدس .

وكان المغاربة الوافدون الجدد يفضلون على القدامى لمدة عامين ، إلى أن تستقر بهم الأحوال . وكان كل مغربي يتمتع بسكنى مجانية في هذا الوقف . ورغيفين من الخبز يومياً ، واطعامية من اللحوم كاملة في العيدين وكسوة كاملة كل عام .

وفيما بعد أطلق اسم أبي مدين على كل الوقفية التي أوقفها الملك الأفضل بن صلاح الدين بنفس الحدود التي أوردناها وأهمها ان الجدار الغربي للمسجد يشكل الحد الشرقي للوقف ، وهذا الحد والنص عليه واضح وقاطع وحاسم في كل الوقفيات المذكورة ، ومنها المودعة في مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن (أودعت في عهد الانتداب حتى تكون شاهد عدل على الحق العربي) .

الاغتصاب والاستلاب

مدينة القدس الشريف هي نفسها مدينة ايلياء ، في العصر الروماني المسيحي السابق للفتح الاسلامي . ومدينة ايلياء هي نفسها مدينة أورشليم اليهودية .

وقد أقيم هيكل اليهود على الساحة التي أصبحت بعد الفتح الاسلامي ساحة الحرم الشريف وعليها المسجد الأقصى وقبة الصخرة . جاء الرومان فهدموا أورشليم اليهودية تماماً ، وأقاموا مستعمرة إيليا ، وترك مكان الساحة قاعا صفصفاً عملاً بنبوءة السيد المسيح ! ومنع الرومان أي يهودي من الاقتراب من مكان الهيكل أو حتى من المدينة كلها . وصار هذا تقليداً نافذاً وشبه مقدس ، حتى جاء الفتح الاسلامي فاشترط نصارى ايليا على عمر بن الخطاب عندما جاء على بغلته من المدينة لاستلام مفاتيحها ..اشترطوا منع اليهود من دخول هذه المدينة . وجعلوا ذلك نصاً في عهد الأمان الذي أعطاه عمر لأهل المدينة !

فيما بعد تساهل العرب المسلمون ، وسمحوا لأعداد قليلة من اليهود بالدخول أو بالتسرب ، ولكنها كانت أعدادا قليلة . وظل النصارى على كرههم لليهود لدرجة أنه أثناء

الحروب الصليبية عندما دخل النصارى الأوروبيون القدس حشروا اليهود ـ عددهم كان قليلا ـ في الكنيس وحرقوه على رؤوسهم !

وقد خلص صلاح الدين المدينة من أيدي الصليبيين ، وعاد وسمح لأفراد من اليهود بالدخول . ثم في عهد سلاطين المماليك وبني عثمان سمحوا لليهود المطرودين والمعذبين في أسبانيا بالدخول . وأقام اليهود الأسبان في حي بين حي الأرمن وحي الشرف أو الأشراف التي حددنا منازله الثلاثة (القاضي الشرعي + بن موسكي + قايماز) .

وبعد يهود أسبانيا جاء يهود أوربا الشرقية في القرن ١٩

ومنذ القرن ١٩ بدأ اليهود يتحركون .

ذهبوا الى حي المغاربة الذي أوقفه الملك الأفضل بن صلاح الدين . وقفوا أمام الحد الشرقي للحي أو للحارة ، وهذا الحد هو الجدار الغربي للمسجد . اختاروا خمسة مداميك (حجارة) من أسفل الجدار وزعموا أنها من حجارة الهيكل ، وبقية جدار الهيكل .

وكل الذي أظهروه .. هو الضعف .. مجرد البكاء أمام هذه الأحجار الخمسة .

ثم تكرر الحضور والوقوف أمام هذه المداميك الخمسة ، حتى أصبح حضورا دائما ليلاً ونهاراً . وأصبح هناك رصيف يقفون عليه عرضه ٤ أمتار وطوله ٣٠ متراً . أي كل المساحة ١٢٠ متراً لاأكثر .

وفى ١٨٤٠ انتهزوا فرصة ثورة محمد علي ضد السلطان محمود . وكان محمد علي هو المسيطر على الشام بما فيها فلسطين والقدس . وتقدم يهودي يتمتع بالحماية البريطانية أي يحمل الجنسية البريطانية وعن طريق القنصل البريطاني ذاته ، بطلب السماح له بتبليط الرصيف أو الزقاق كله . إذن الطالب لم يكن عثمانياً والطلب لم يقدم عن طريق رئيس الحاخاميين اليهود المعترف بهم رسمياً . إنما كان الطلب تدخلاً بريطانياً من الدولة العظمى !

عرض هذا الطلب على المجلس الاستشاري (مجلس شورى محلي أنشأه محمد علي كبرلمان) فسمع شهادة ناظر الوقف وغيره ، ورفض الطلب . وأرسلت أوراق القضية الى محمد علي . فأرسلها الى إبنه ابراهيم باشا في الشام لتنفيذ الرفض . فأرسلها الى والي الشام ثم محافظ القدس .

والقرار يحمل تاريخ ١٨٥٦/١/١١ وتوقيع رئيس المجلس الاستشارى محمد شريف .

والمهم هو حيثيات الرفض . حيث يتبين وجود وعي شعبي كاف (النص في كتاب أسد رستم تاريخ سوريا تحت محمد علي) تقول الحيثيات : المحل المطلوب تبليطه ملاصق للحرم الشريف ، وهو الطريق الى محل ربط البراق وكلها داخل وقفية أبومدين . وغير جائز شرعاً تغيير في نص الوقفية . وغير جائز تصديق أن اليهود يعمرون وقفية اسلامية . بل إن القرار الشعبي حذر من اليهود ورفع أصواتهم بالمقالات . بعد أن كان المسموح لهم هو الزيارة فقط . فتدرجوا الى البكاء ثم الى رفع الأصوات « بالمقالات » .

من خطوة البكاء جاءت خطوة الصياح « بالمقالات » . ثم جاءت خطوة تبليط الرصيف . ولكن أهم من ذلك وأجرأ الخطوة الرابعة في عام ١٩١١ حيث حاول اليهود حاولوا احضار كراسٍ على الرصيف حتى يجلسوا عليها أثناء البكاء ، وأثناء الصياح « بالمقالات » ، وحاولوا إقامة ستار بين كراسي الرجال وكراسي النساء ! وتكرر احضار الكراسي عدة أيام .

هنا رفع ناظر وقف المغاربة شكوى الى المتصرف يقول فيها إن هذا الرصيف هو وقف المغاربة وأنه يؤدي الى موقف البراق في رحلة الإسراء والمعراج . وإنه زقاق غير نافذ حيث أن نهايته هي مربط البراق . وطالب المتصرف بايقاف جلب الكراسي وإلا سيدّعي اليهود ملكية في الرصيف ومربط البراق ! . فأبطل المتصرف هذه البدعة .

وهكذا ظل الوضع حتى انتهى العهد العثماني بوثيقتين ، عام ١٨٤٠ وعام ١٩١١ ، وكل منهما تنص على أن الرصيف والزقاق الأعمى وقف اسلامي خالص ، وأنه مسرى الرسول في رحلة الاسراء والمعراج . وأن ما أسماه اليهود حارة المبكى وحائط المبكى هو حارة البراق وحائط البراق وأن التساهل والكرم العربي لايعنيان التفريط .

ثم جاء وعد بلفور

وكان اليهود حتى ذلك التاريخ ينقسمون الى صهاينة يؤمنون بإقامة وطن لهم ، ولو بالقوة ، وغير صهاينة يؤمنون بأن إحياء اسرائيل يتوقف على إرادة الله لاعلى جهد الصهاينة . ومن هنا فلا أعرف أيهما أكثر تطرفاً !

المهم أنه بمجرد صدور وعد بلفور أغروا الشعب اليهودي بأنهم سيمتلكون حائط البراق .

وبدأوا بتسميته حائط المبكى وجارتهم في التسمية كافة وسائل الاعلام حتى العربية منها ، بل إن حاييم وايزمان رئيس اللجنة الصهيونية ذهب بعد خمسة أشهر فقط من وعد بلفور الى فلسطين ، ومن هناك كتب الى وزير خارجية بريطانيا يطلب تسليم الحائط لليهود وإجلاء المغاربة نظير تعويض مالي ! كتب طلبه من فلسطين لا من خارجها وفي نفس الوقت كتب طلباً الى المفتي عن طريق الحاكم العسكري البريطاني يطلب شراء أرض الوقف المغربي هذا . وفي نفس الوقت أرسل يهودياً مغربياً الى ناظر الوقف المغربي يحاول اغراءه بالمال .

وكان رد المفتي ورد ناظر الوقف بسيطاً ومنطقياً : الأرض وقف والوقف لايباع . ثم أضافا أن هذا الوقف بالذات له مكانة عند المسلمين تجعل هذا الطلب مستحيلاً .

■ تسلل إسرائيلي وتساهل عربي وراء اغتصاب حائط البراق

■ كيف تسلل اليهود إلى مدينة القدس ، ولماذا كان الضعف والبكاء والوقوف أمام الأحجار الخمسة ؟

■ بعد خطوة البكاء جاءت خطوة الصياح بالمقالات ، ثم جاءت عملية تبليط الرصيف !

■ تسمية حائط المبكى بدأت بعد "وعد بلفور" وجارت اليهود في التسمية وسائل الإعلام العربية !

مؤامرة صهيونية على حائط البراق

وهاج الشعب العربي في فلسطين ، واحتج على لندن فأمرت لندن باغلاق الموضوع . ولكن اللجنة الصهيونية لم تيأس ، ولم تكتف بالتوقف عند المستوى السابق من الطلبات . طلبت من السلطات العسكرية البريطانية إعادة تسليم الرصيف والزقاق لأنهما ملك « جميع يهود العالم » ! ! ثم سيرت مظاهرة من الجيش السري الصهيوني على الرصيف ورفعت العلم الصهيوني عليه ، وأنشد المتظاهرون النشيد الصهيوني ، وهتفوا « هذا الحائط ملكنا » . فاشتعلت الاضطرابات الدموية في أغسطس ١٩٢٩ .

وأرسلت بريطانيا لجنة ، ذهبت وكتبت تقريرا توصي فيه بإرسال لجنة أخرى غيرها تكون لها صفة دولية للفصل بين العرب واليهود . فأرسلت بريطانيا لجنة من عصبة الأمم برئاسة وزير خارجية السويد مع عضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري . زارت اللجنة القدس ونشرت تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠ ، وكانت هذه هي أهم قراراته :

١ ـ للمسلمين وحدهم حق ملكية الحائط الغربي لأنه جزء من الحرم الشريف ولأنه وقف اسلامي .

٢ ـ للمسلمين وحدهم حق ملكية الرصيف والزقاق الواقع بين هذا الحائط وحي المغاربة لأنه وقف إسلامي صحيح .

٣ ـ لليهود حق الوصول لأجل الصلاة إلى الحائط الغربي ولهم احضار الأدوات الضرورية للصلاة وحددها التقرير تفصيلاً ، ولكنه لايحق لهم احضار كراس أو مقاعد أو حصر أو ستائر .

٤ ـ لايجوز اعتبار احضار أدوات الصلاة ووضعها بجوار الحائط حجة لليهود بادعاء ملكية في الحائط أو في الرصيف أو في الزقاق أو في حي المغاربة .

ووافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم وحكومة بريطانيا المنتدبة من عصبة الأمم على فلسطين ، على قرارات اللجنة هذه وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ هذه القرارت اعتباراً من اليوم الثامن من حزيران ١٩٣١ .

وهكذا ظل الحال إلى أن انتهى عهد الانتداب البريطاني . وسبق أن حددنا بوضوح انتهاء العهد العثماني بوثيقتي ١٨٤٠ و ١٩١١ ، وظل الحال حتى حرب يونيو ٦٧ !

الديناميت وإزالة الأثر العربي

في يوم الأربعاء الحزين ٧ يونيو ١٩٦٧ احتل جيش اسرائيل مدينة القدس القديمة وفيها الحرم الشريف وكنيسة القيامة .

وفي الأيام الأربعة التالية ذهب وزير الدفاع موشي ديان ومعه رئيس بلدية القسم اليهودي للقدس الى حي المغاربة فأخرجا بالقوة كل من فيه من المغاربة (٦٥٠) من بيوتهم بعد انذار دام ساعتين فقط .

أخرجوهم يوم ٨ يونيو . هدموا جميع المباني يومي ٩ ، ١٠ يونيو ، ومنها مسجدان وزاويتان . هدمت جميعاً بالديناميت وليس بالبلدوزرات المعتادة وأزالوا كل أثر عربي ومحوا كل ما أقامه الملك الأفضل بن صلاح الدين ، قبل ٧٠٠ سنة ! ثم نقلوا في سيارات الجيش خلال يومي ١١ و ١٢ يونيو كل ركام الهدم والنسف .

لم يكن لهذا الهدم أي سبب حربي فقد انتهت المقاومة يوم ٧ يونيو رغم أن جنود الأردن حاربوا كالأسود من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ، حتى آخر لحظة وذلك خارج سور المدينة أما داخل السور فقد تقرر عدم المحاربة احتراماً لما في المدينة من مقدسات وهو نفس مافعله الترك عام ١٩١٧ .

ولكن اليهود استمروا في التدمير داخل أسوار المدينة . وهذا هو نفس ما فعلوه عام ١٩٤٨ داخل أسوار المدينة أيضاً ، حتى أنهم حاربوا من داخل الكنيس ! وخالفوا القوانين الدولية التي تحرم هدم الأماكن التاريخية فضلاً عن الأماكن المقدسة و عن الأوقاف واغتصبوا أرض الوقف الاسلامي التي حاولوا شراءها لمدة نصف قرن من الزمان . ثم اتبعوا الاغتصاب بهدم كل ما على الأرض من مباني المغاربة . وأصبحت هناك مساحة واسعة من الجدار الغربي للحرم ، حتى باب المغاربة جنوباً وباب السلسلة شمالاً واستعملوا هذه الساحة للصلاة . ويضعون الآن مسرى رسول الله ﷺ تحت اشراف السلطات الدينية اليهودية .

وكل هذا لم يكف ! ضموا في ٢٧ يونيو كل المدينة مدينة القدس الى اسرائيل . وألغوا البلدية العربية وأرهبوا السكان للخروج ، وسلبوا بيوتهم وأراضيهم وأعطيت لمهاجرين من اليهود . ورفضت اسرائيل باحتقار القانون الدولي والرأي العام العالمي وقرارين للأمم المتحدة و ٤ قرارات لمجلس الأمن ، وكل هذه القرارات أكدت عدم جواز اكتساب أرض الغير بالحرب ! وفي ١٨ ابريل ٦٨ نشرت الجريدة الرسمية الاسرائيلية أمراً باستملاك جميع الأراضي ومساحتها ٢٩ فداناً مابين الحائط الغربي للحرم الشريف شرقاً وحتى الأرمن غرباً . ونفذ هذا الأمر حالاً دون ابطاء ودون اعطاء انذار . ولو بمدة قصيرة . ونتج عن ذلك اخراج ستة آلاف عربي من بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم وأخرجوا خمسة آلاف عربي آخرين كان الجيش الاسرائيلي قد طردهم من قراهم وآواهم أهل القدس القديمة . أي أن هؤلاء اللاجئين المساكين طردوا بالقوة مرتين .

وفي سنة ١٩٦٩ صودرت دون استملاك قطعتان من الأرض ملاصقتان للحرم الشريف من جهة الغرب أي من جهة حائط البراق : كان على إحداهما مقر مفتي الشافعية وعائلة أبي السعود وهم خدام الحرم الشريف على مدى قرنين من الزمان . ثم هدمت بيوتهم وكان على الأخرى بناء المحكمة الشرعية الذي بناه الترك عام ١٣٢٨ م ثم كان في عهد الانجليز منزلا لرئيس المجلس الاسلامي الأعلى .

والمهم هو أن اسرائيل حفرت تحت هذا البناء نفقاً يؤدي في زعمهم إلى قدس الأقداس في هيكلهم القديم . وهم يقيمون فيه أي في النفق حالياً صلاتهم ! وهذا هو النفق الذي يحفرونه بأمل هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل .

هذه مأساة حائط البراق ومسراه ومربطه

هذه قصة التساهل والكرم الذي يقابل ـ خطوة خطوة ـ بالقضم والافتراس .

هذا درس يجب أن يستقر بحذافيره في ضمير كل صبي عربي حي يعرف ماعليه من واجبات خطيرة تنتظره في الغد القريب .

السيد فهمي الشناوي

حـاشية :

(١) نص وقفية الملك الأفضل بن صلاح الدين محفوظة في مكتبة كلية سانت انتوني بجامعة اكسفورد ومدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن وسجل المحكمة الشرعية بالقدس (ص ٥٨٨ سجل ٧٧)

(٢) طلب وايزمان إلى الجنرال السير لويس بولز بتسليم الحائط الغربي محفوظ في دار الوثائق البريطانية بلندن .

(٣) إعترف مؤلف يهودي اسمه عوزي بنزعان في كتابه القدس بلا أسوار طبعة ١٩٧٤ بكل هذه الوثائق وأوردها في كتابه



● مشاكل عاجلة يجب ألا تغيب عن الأذهان ●

التعاون العلمي والتكنولوجي بين دول الخليج العربية

بقلم: الدكتور يحيى رجب

تعمل الدول النامية على تكوين قاعدة تكنولوجية وطنية ، ويرجع ذلك إلى المركز المرموق الذى يحتله العلم والتكنولوجيا فى العصر الحديث ، إلا أن احصائيات الأمم المتحدة ، تدل على أن الدول النامية لا تخصص في سبيل الأبحاث والتطوير سوى معدل ٢,٠٪ من ناتجها القومى القائم مقابل ١ ـ ٣٪ من الناتج القومى للدول الصناعية المتقدمة .

وقد انتشر استخدام مصطلح التكنولوجيا فى المنطقة العربية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ التى أظهرت مدى تخلف الدول العربية عن اسرائيل فى مجال العلم والتكنولوجيا . وقد استفادت دول الخليج العربية من ثمار العلم والتكنولوجيا فى مجال استيراد الآلات والعمليات الجاهزة . ويرجع ذلك إلى أن معظم المشروعات التى تنفذ بالمنطقة تقوم على نمط الانجاز الكلى « تسليم المفتاح » . إلا أن هذا الأسلوب يعزل الكفاءات العلمية الوطنية ، ويحد من مشاركة المهارات المحلية فى عملية اختيار التكنولوجيا المناسبة لاحتياجات دول المنطقة . ويكمن الأسلوب السليم ف تشجيع البحوث العلمية وبناء القوى الوطنية البشرية الفنية التى تستطيع أن تعي اختيار التكنولوجيا المناسبة للبيئة الخليجية وتطويعها لصالح المنطقة .

الاتفاقية الاقتصادية الخليجية والتعاون العلمى والتكنولوجي

نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة المبرمة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى وافق عليها المجلس الأعلى لمجلس التعاون فى دور انعقاده الثاني بالمملكة العربية السعودية فى نوفمبر ١٩٨١ على وضع ضوابط للتعاون الفنى بين الدول الأعضاء فى تشجيع البحوث العلمية ، وفى شروط نقل التكنولوجيا واختيار الأنسب منها فأشارت المادة ١٤ من الاتفاقية إلى أن « تتعاون الدول الأعضاء فى استنباط مجالات التعاون الفنى المشترك بهدف اكتساب قاعدة ذاتية أصيلة تقوم على دعم وتشجيع البحوث والعلوم التطبيقية والتكنولوجية ، وتعمل على تطويع التكنولوجيا المستوردة بما يتلاءم مع طبيعة حاجات المنطقة وأهداف التقدم والتنمية فيها » . كما تنص المادة ١٥ من الاتفاقية على أن « تعمل الدول الأعضاء على إعداد أنظمة وترتيبات وشروط نقل التكنولوجيا . واختيار الأنسب منها أو تعديلها بما يلائم احتياجاتها المختلفة . وتقوم الدول الأعضاء ـ كلما كان ذلك ممكنا ـ بابرام اتفاقات موحدة لتحقيق هذه الأغراض مع الحكومات أو المؤسسات العلمية أو التجارية الاجنبية » .

تصورات للسياسة العلمية والتكنولوجية

نعرض فيما يلى بعض التصورات للسياسة العلمية والتكنولوجية لدول الخليج العربية وفقا لما نصت عليه الاتفاقية الاقتصادية الموحدة :

أولا : البحوث العلمية

يجب أن تحدد أولويات البحث العلمى وفقا لأهداف التنمية الشاملة التي تسعى الى تحقيقها دول الخليج العربية على أن يشترك فى هذا العمل الادارة الحكومية .

وقد قامت بعض دول الخليج العربية بانشاء مراكز للعلم والتكنولوجيا : فى المملكة العربية السعودية يوجد مركز وطنى للعلم والتكنولوجيا من أهدافه وضع السياسات وتنمية الموارد والمرافق لأعمال البحث ، وارساء البنية الأساسية العلمية والتكنولوجية المناسبة ، كما يوجد مركز الأبحاث والتنمية الصناعية الذى يساعد القطاع الصناعى على تحديد المصادر الملائمة للتكنولوجيا ، ويجرى دراسات الجدوى ، ويقدم الخدمات الاستشارية حول تصميم التجهيزات ، وفى الكويت يساعد المركز الوطنى للمعلومات العلمية والتكنولوجية ومكتب البراءات على نشر المعلومات العلمية والتكنولوجية .

وجدير بالذكر أن المجتمع العربى غنى بالباحثين والعلميين ، وتساعد اللغة الواحدة والمصالح المشتركة والتراث الثقافى الواحد على تحقيق التقارب المشترك ، وسوف تستغرق المرحلة التعليمية وقتا كافيا ، وفى البداية سوف يكون التطوير مقتبسا ، ولكنه سوف يتكيف تدريجيا ويتمشى مع الظروف البيئية للمنطقة .

ثانيا : نقل التكنولوجيا

تتلخص وسائل نقل التكنولوجيا فى الخبرة المحلية والأجنبية ، والمعدات والآلات وحقوق براءات الاختراع والوسائل الاعلامية المختصة فى مجال التكنولوجيا .

ويجب أن يراعى فى عملية نقل التكنولوجيا المستوردة تلبية الاحتياجات الاساسية لدول الخليج العربية طبقا للأهداف المحددة التى تسعى إلى تحقيقها ، وأن تكون التكنولوجيا المستوردة قابلة للاستيعاب حتى يسهل تطويعها بما يتناسب مع ظروف البيئة الخليجية .

ثالثا : التدريب على التكنولوجيا

ينبغى التخلى عن مصانع « تسليم المفتاح » ويستلزم ذلك أن يشترك أبناء المنطقة فى جميع مراحل أى من المشروعات ابتداء من مرحلة ما قبل دراسة الجدوى حتى اتمام التنفيذ ثم تشغيل المشروع الجديد ، ولا تقتصر عملية التدريب على استعمال التجهيزات بعد تركيبها وذلك مثل ما تعمل الشركات المتعددة الجنسية عندما توفد المهندسين والعمال المحليين لتدريبهم فى إحدى الشركات التابعة لها العاملة فى الخارج . ويساعد إشراك أبناء المنطقة فى العملية التدريبية على إضافة الأفكار الجديدة والمدخلات التكنولوجية الوطنية .

ومن جهة أخرى ينبغى الاستعانة باليد العاملة الوطنية حتى ولو كانت فى أول الأمر « أقل كفاية » بشرط أن تعمل فى التدريب أثناء العمل . ففى أول مراحل التنمية ينبغى اعتبار المشروعات الجديدة وحدات انتاجية ومراكز تدريب فى نفس الوقت .

رابعا : هيئة متخصصة للبحوث العلمية والتكنولوجية

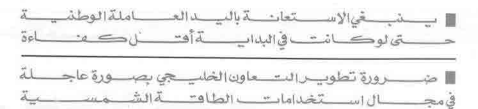
نقترح دراسة انشاء هيئة مركزية متخصصة للبحوث العلمية والتكنولوجية على مستوى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وذلك بهدف تكوين بنية أساسية علمية وتكنولوجية على مستوى المنطقة وتختص بما يلى :

- تشجيع البحوث العلمية وتكوين الكوادر الفنية والعلمية الوطنية .
- التعاون مع اللجنة الحكومية الدولية التى قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إنشاءها عام ١٩٧٩ والتى تعنى « بتسخير العلم والتكنولوجيا لأغراض التنمية » والتى مازالت تواصل دراساتها فى هذا المجال .
- التنسيق مع المؤسسات العلمية فى شروط نقل التكنولوجيا لدول المنطقة ، وفرز التقنيات الأجنبية ، ومواءمة المستورد منها وتوحيد الاتفاقيات الخاصة بشروط نقل التكنولوجيا بين دول المنطقة وبين المؤسسات المعنية بحيث تسير جميعها فى خطط منسقة ، وسوف تساعد الظروف البيئية الواحدة فى منطقة الخليج العربية على أن تسير عملية تطويع التكنولوجيا المستوردة بطريقة موحدة فى دول المجلس .
- انشاء نظام معلومات علمية وتكنولوجية وطنية وايجاد روابط بين البحوث العلمية والتكنولوجية وبين الأنشطة الانتاجية .
- ينبغى أن تكون هيئة البحوث العلمية والتكنولوجية المقترحة شبكة متعددة القطاعات والتخصصات وتنتشر فى جميع دول مجلس التعاون حتى تستطيع أن تتمتع بدراية كبيرة بالمصالح الوطنية عند اختيار التكنولوجيا المناسبة .

خامسا : تطوير مصادر الطاقة

يعتبر النفط أحد الموارد النادرة والقابلة للنضوب وغير القابلة للتجديد ، وقد تم تسريع معدل استنزافه إلى أبعد من الحاجات الانمائية للدول المصدرة ، ولذلك يجب الاعداد لمستقبل

■ أكبر ما يواجهنا من التحديات : كيف نحصل على الطاقة النووية ؟



ما بعد نضوب النفط ، وأن يشمل ذلك ضمان مصدر عربي آخر غير النفط ، وأن تعتني دول المنطقة بتطوير استخدامات الطاقة الشمسية والطاقة النووية ، ونعرض ذلك فيما يلي :

الطاقة الشمسية :

تقع منطقة الخليج العربية في منطقة الصفاء الجوي وتتمتع بالجو الأقصى للطاقة الشمسية وهي طاقة مباحة خالية من التلوث ومستوفاة لشروط السلامة ، كما أنها منتشرة على نطاق واسع في دول المنطقة ، وتتميز تكنولوجيا الطاقة الشمسية بالبساطة ويمكن نقلها واستيعابها بسهولة ، وتقوم حاليا دول الخليج العربية بإجراء مشروعات لتطوير استخدامات الطاقة الشمسية . ولدى المملكة العربية السعودية برنامج طموح لأبحاث تطوير الطاقة الشمسية ، ففي عام ١٩٧٤ أنشئت لجنة مشتركة للتعاون الاقتصادي بين حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية ومن بين الموضوعات التي تعنى بها هذه اللجنة أبحاث الطاقة الشمسية . وفي عام ١٩٧٧ وبمقتضى اتفاق لمدة خمس سنوات بقيمة ١٠٠ مليون دولار قام مشروع « سولاريس Solaris » بتمويل أبحاث الطاقة الشمسية وتطبيقاتها العملية ، ويتم التمويل بالتساوي بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية بالاضافة الى الأبحاث حول استعمال الطاقة الشمسية من أجل التدفئة والتبريد . وتشمل المشروعات انشاء مكيف هوائي يعمل بالطاقة الشمسية لجامعة الرياض بالتعاون مع مؤسسة أمريكية ، والعمل على مشروع لتزويد قرية قرب الرياض بالطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء وتحلية المياه والتدفئة ، والتبريد . وفي شهر ابريل ١٩٧٨ أجرى توقيع عقد قيمته ١,٤ مليون دولار مع الشركة الفرنسية للأبحاث الحرارية والطاقة الشمسية « سولفريتا Solfretes » من أجل بناء أول منشأة كهربائية تعمل بالطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية ، ويستعمل انتاجها في الاضاءة وضخ المياه وتقوم الشركة السويسرية ـ السعودية المختلطة « سوتيك Sotec » ـ ببناء منشأة اختبارية لتحلية المياه بالطاقة الشمسية في جامعة الملك عبد العزيز .

ومن جهة أخرى تقوم كل من دول البحرين والكويت وعمان وقطر بتطوير استخدام الطاقة الشمسية في تحلية المياه والتدفئة والتبريد بالتعاون مع شركات بريطانية وألمانية .

ويعتبر استخدام الطاقة الشمسية في أعمال تحلية البحر من الأمور الهامة بالنسبة لدول الخليج العربية ذات الطبيعة الصحراوية حيث أنه يمكن استغلال المياه العذبة الصالحة للاستعمالات الزراعية ونعتقد أنه ينبغي انشاء هيئة مركزية متخصصة على مستوى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية تعمل على تطوير استخدامات الطاقة الشمسية . وتقدم المشورة الفنية لدول المنطقة ، حيث أن الطاقة الشمسية مصدر هائل ومتوفر في دول الخليج العربية ويمكن استخدامها لتلبية العديد من متطلبات دول المنطقة من الطاقة .

الطاقة النووية :

ان الكهرباء المولدة بالطاقة النووية في الوقت الحاضر هي أرخص مصادر الطاقة ، إلا أن أهم المشاكل الرئيسية للطاقة النووية هي أن احتياجات اليورانيوم المكتشفة حاليا صغيرة وارتفاع التكاليف الرأسمالية اللازمة لاقامة المفاعلات والوحدات الانتاجية والخوف من الاشعاعات الذرية والتلوث .

ولقد أخذت الأقطار الصناعية المتقدمة وهي لا تتمتع باكتفاء ذاتي من احتياجاتها للطاقة في تجنيد التكنولوجيا لديها لتطوير مصادر بديلة للطاقة ، خاصة المصدر النووي .

ويوجد نادي الطاقة النووي وهو تجمع احتكاري للطاقة النووية يضم الدول السبع الصناعية الأكثر تقدما والمصدرة للتكنولوجيا وهي : أمريكا ـ روسيا ـ انجلترا ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ كندا ـ اليابان . وقد وضع شروطا جاءت مقيدة لاستخدامات التكنولوجيا النووية ، أو تقيد تصديرها بعد تطويرها بنفس شروط الدول الصناعية . وقد بادرت بعض الدول النامية مثل البرازيل والهند وباكستان في تكوين قدرتها النووية الذاتية . والدول العربية المصدرة للنفط التي هي أقل تطورا في مجال التكنولوجيا أصبحت بحاجة الى انجاز عملية نقل التكنولوجيا اللازمة للتنمية وذلك للمحافظة على اكتفائها الذاتي من الطاقة ، وهذا يستلزم اتباع برنامج واضح ومتوازن بين النفط والمصدر البديل وهو المصدر النووي ، وحتى لا تصبح الدول العربية النفطية معتمدة على الدول الصناعية بالنسبة لاحتياجاتها من الطاقة بعد أن كانت مالكة لها .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن اسرائيل بدأت منذ فترة طويلة سباق التسليح النووي في المنطقة ، ولديها مفاعل نووي لا يخضع لرقابة خارجية ، كما أنها لم توقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وكشفت الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووي العراقي في شهر يونيو ١٩٨١ عن النوايا الحقيقية لاسرائيل تجاه السلام في المنطقة وأهدرت اسرائيل القواعد القانونية الدولية وتعمل على تدعيم وجودها النووي في المنطقة ، بما يؤثر على الأمن القومي العربي .

ويجب أن يوضع في الاعتبار أن حصول الدول العربية على المفاعلات النووية وضمان وصول امدادات الوقود النووي لها يخضع للعلاقات السياسية بينها وبين الدول المتقدمة مالكة التكنولوجيا الذرية وقد تعترض هذه الدول على أساس أن ذلك يتعارض مع مصالحها السياسية ولذلك فإنه ينبغي أن تدعم دول الخليج العربية علاقاتها السياسية مع الدول مالكة التكنولوجيا النووية خاصة وأن نفط الخليج مازال يؤدي دوره في المجتمع الدولي ، ولم تستطع البحوث العلمية أن تضع يدها حتى الآن على البديل للطاقة النفطية ، كما أنه يمكن في إطار تحقيق التعاون العربي الافريقي استخدام مكامن اليورانيوم المعروف بوجوده في بعض الدول الافريقية للحصول على الطاقة النووية .

يحيى رجب

عدوان جديد على التراث



بقلم: فهمي هويدي

ثمة جهد يبذل الآن لتقديم أمهات كتب التراث مختصرة للقارئ العربي، وهي ظاهرة تحتاج إلى مناقشة ومراجعة، إذ نحسب أن ذلك لا يحقق الفائدة المرجوة من أمثال تلك الكتب الثمينة، بل نذهب إلى أن الضرر الذي يحدثه شيوع أمثال تلك المختصرات ربما يفوق نفعها.

وفيما نعلم، فإن مختصرات صدرت لكتب تفسير القرآن التي ارتبطت بأسماء ثلاثة من الأعلام، هم: القرطبي، والطبري، وابن كثير. كما اختصرت سيرة الرسول لابن هشام، واختصر صحيح البخاري في الأحاديث النبوية.

ويعنينا الآن الأمر من زاويتين: مبدأ الاختصار، ثم الشروط المطلوبة فيمن يتصدى له، إذا مادعت الضرورة إلى إجرائه.

من حيث المبدأ، فالمفترض أن تلك الكتب تصنف باعتبارها مراجع، يلجأ إليها الباحثون والدارسون عن المعرفة العميقة، فيتعرفون من خلالها لا على معاني الكلمات وأسباب النزول وملابساتها، ولكنها بمثابة مدارس فكرية يعبر كل منها عن منهج بذاته، وربما يعكس واقع الحياة الثقافية في عصر بأكمله. والرجوع إلى أمثال تلك الكتب في أصولها هو نوع من الابحار في عوالم ثقافية انفصلنا عنها، ولا سبيل إلى الاقتراب منها واستيعاب نتاجها إلا بخوض التجربة كاملة، وبقطع رحلة القراءة من أول الشوط إلى آخره، بغير قفز أو ابتسار.

هي عملية شاقة. نعم. لكن من قال إن البحث أو القراءة المعمقة من الأمور السهلة؟! إن المشقة ليست مطلوبة لذاتها. وإذا كان هناك سبيل إلى التيسير فلا مبرر للتعسير، لكننا لا نتصور باحثاً يعتمد في بحثه على ملخصات أو مختصرات، إلا إذا قررنا أن نتعامل مع البحث الفقهي أو العلمي بمنطق عصر «الساندوتش» والمعلبات، الذي إذا كان قد خدم العلم، فإننا نشك كثيراً أنه خدم الثقافة، إذ ربما كان من أبرز آفات عصر التصنيف والفهرسة الذي نعيشه، أنه يسر كثيراً عملية جمع المعلومات التي باتت تخزن في العقول الآلية، وتنهمر بمجرد الضغط على زر أو عدة أزرار. وذلك اليسر دفع أكثر الباحثين إلى تجنب مشقة الرجوع إلى أصول الكتب التي جمعت منها تلك المعلومات، اكتفاء بالقدر الذي تم اجتزاؤه في موضوع بذاته، مما حرمهم متعة القراءة الوافية، وحجبهم عن مناخ الكتاب وسياقه، والعناصر الأخرى التي ربما تطرق إليها الكاتب، مما يؤدي إلى زيادة معرفة الباحثين في فروع أو جزئيات بذاتها، وتقليص محيطهم الثقافي بوجه عام.

وقد نقارن الباحث المعتمد على العقل الآلي، والآخر الذي يرجع إلى أصول الكتب والمراجع ذاتها، براكب الطائرة وراكب القطار أو الحافلة. الأول يحلق من مقره إلى الفضاء المجهول، ثم يحط في البلد الذي يقصده في نقلة سريعة خاطفة، لا يمر فيها بشيء سوى السحاب الكثيف الذي لا تختلف صوره كثيراً، ولا يضيف إلى معارف المسافر شيئاً يذكر. أما الثاني – راكب القطار أو الحافلة – فإنه يقطع رحلة يمر خلالها «بمحطات» عديدة، يرى فيها البشر والحقول والنباتات فيتسع محيط رؤيته ويتزود وهو في طريقه إلى هدفه بمعارف عديدة تضاف إلى ثقافته عن المكان، وهو ما لا يتوفر له في رحلة الطائرة.

وإذا كان الطرفان ينتهيان إلى هدف واحد، إلا أن الثاني يظل أوسع من الأول معرفة، بما تتيحه له الرحلة من معلومات تضاف إلى رصيده الثقافي، وإن اقتضاه ذلك أن يقضي وقتاً أطول.

وأكثر ما نخشاه أن تتسع الدائرة وتشيع الظاهرة، فيسدل الستار تدريجاً على أصول تلك المراجع، ولا تتداول الأيدي سوى المختصرات. وتلك جناية لابد من الانتباه إليها والاحتراز منها، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ظروف المناخ السائد في زماننا، حيث بات الناس أكثر إقبالاً على المعرفة السهلة، من ذلك النوع الذي قد يوفره لهم التليفزيون بصور جذابة، وهم قاعدون أو متمددون، ناهيك عن همّ أكثر الباحثين التي فترت، وتفوق قيمة «الشهادة» على قيمة المعرفة، مما

جنى على مستوى الأبحاث ، وأغنى البعض بالتسطح ، عن التعمق أو التأصل .

وقد يقبل المبدأ باعتباره ضرورة ، إذا لم يكن هناك غير تلك الكتب تتناول الموضوعات المراد تقديمها إلى القراء . ولكن هذه الحجة غير قائمة في الواقع . فالكتب المبسطة والمختصرة التي تعالج الموضوعات ذاتها وفيرة وتزيد على الحاجة . سواء بالنسبة للتفاسير أو كتب الحديث والسيرة ، أو غير ذلك من كتب الفقه والأصول . وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد تفسير الجلالين للسيوطي ، وجوامع السير لابن حزم ، ورياض الصالحين للنووي ، وفقه السنة للسيد سابق .

والأمر كذلك ، فلسنا نفهم الحكمة من اختزال كتب « الأمهات » ، وضغطها ، لتصبح في مستوى غيرها مما هو متوفر في الأسواق ، بحيث يوهم القارئ بأنه اقتنى ذلك المرجع أو قرأه ، في حين أنه في الحقيقة لم يقتنه ولم يقرأه ؟!

* * *

من ناحية أخرى فإن عملية الاختصار ليست باليسر الذي يتصوره كثيرون . إذ لا يكفي أن يكون المختصر « محققا » مهما بلغت كفاءته ــ والذين تصدوا للعملية إلى الآن مخفقون في أحسن الفروض ــ ذلك أن كتاب التفسير على سبيل المثال لايستطيع أن يقدمه مختصراً ــ على نحو مقبول ــ إلا عقل ملم بالفقه والحديث ، وباللغة ، وبالتاريخ ، إذ ليست المسألة مجرد ضغط للشروح والتفاصيل الواردة في كل موضوع ، ولكنها فن يعتمد على معارف وملكات ، تمكن صاحبها من استيعاب النص جيداً ، بمختلف دلالاته الفقهية واللغوية والتاريخية ، ثم التعرف على الدلالة أو المعنى الرئيسي المراد منه ، والتركيز على تلك الدلالة بصفة أساسية ، واختصار الحواشي والفرعيات بعد ذلك .

في فرنسا يدرب الطلاب على فن الاختصار ، وفي امتحان شهادة البكالوريا تختبر قدرة الطالب على اختصار ثلاث صفحات في عشرين سطراً على سبيل المثال . وبالتجربة ، يتبين أن العشرة الأوائل في ذلك الامتحان ، هم الذين يصبحون أهم كتاب فرنسا فيما بعد .

لكن الاختصار عمل سيىء السمعة في تاريخنا الثقافي . وإن كان بعض تلاميذ الائمة قد اختصروا كلامهم ، بحذف مالا تكثر الحاجة إليه من المسائل ، وسار على دربهم آخرون من العلماء ، إلاّ أننا في العصور اللاحقة عرفنا صوراً من الاختصار باشرها قليلو البضاعة في الفقه واللغة ، فقدموا لنا كلاماً أشبه بالأحاجي والألغاز ، لاهو أبقى على الأصل القديم كما هو ، ولا هو قدم شيئاً مفيداً في الثوب الجديد الذي ظهر به .

وفي كتاب تاريخ التشريع الإسلامي ، يورد مؤلفه الشيخ محمد الخضري نماذج من ثلاثة مختصرات في الفقه ، هي أشهر ما يتداوله طلاب الفقه في المذاهب الثلاثة : المالكية والشافعية والأحناف . والنماذج تتناول موضوعاً واحداً ، محدداً ، هو المياه التي يجوز التطهر بها والتي لايجوز . عن هذا الموضوع : قال خليل (المالكي) في مختصره :

« يرفع الحدث وحكم الخبث بالمطلق وهو ماصدق عليه اسم ماء بلا قيد وإن جمع من ندى أو ذاب بعد جموده أو كان سؤر بهيمة أو حائض أو جنب أو فضلة طهارتهما أو كثيراً خلط بنجس لم يغير أو شك في مغيره هل يضر أو تغير بمجاوره بدهن لاصق أو برائحة قطران وعاء مسافر أو بمتولد منه أو بقراره أو بمطروح ولو قصداً من تراب أو ملح والأرجح السبب بالملح لا بمتغير لوناً أو طعماً أو ريحاً بما يفارقه غالباً من طاهر أو نجس كدهن خالط أو بخار مصطكي وحكمه كمغيره ، ويضر بين تغير بحبل ساقية كغدير بروث ماشية أو بئر بورق شجر أو تين والأظهر في بئر البادية بهما الجواز وفي جعل المخالط الموافق كالمخالف نظر . وفي التطهير بما جعل في الفم قولان وكره مستعمل في حدث وفي غيره تردد ويسير كآنية وضوء وغسل بنجس لم يغير أو ولغ فيه كلب وراكد يغتسل فيه وسؤر شارب خمر وماأدخل يده فيه ولايتوقى نجساً من ماء لاأن عسر الاحتراز منه »

وقال زكريا الأنصاري (الشافعي) في منهجه :

« إنما يطهر من مائع ماء مطلق وهو مايسمى ماء بلا قيد فمتغير بمخالط طاهر مستغنى عنه تغيراً يمنع الاسم مطهر لاتراب وملح ماء وإن طرحا فيه وكره شديد حر وبرد ومتشمس بشروطه والمستعمل في فرض غير مطهر إن قل ولا تنجس قلتا ماء وهما خمسمائة رطل بغدادي تقريباً بملاقاة نجس ، فان غيّره فنجس فان زال تغيره بنفسه أو بماء طهر ودونهما ينجس كرطب غيّره بملاقاته لا بملاقاة ميتة لايسيل دمها ولم تطرح ونجس لايدركه طرف ونحو ذلك فإن بلغهما بماء ولا تغير فطهور » .

وقال النسفي (الحنفي) في كنزه :

« يتوضأ بماء السماء والعين والبحر وإن غير طاهر أحد أوصافه أوأنتن بالمكث لا بماء تغير بكثرة الأوراق أو بالطبخ أو اعتصر من شجر أو تمر أو غلب عليه غيره أجزاءه وبماء دائم فيه نجس إن لم يكن عشراً في عشر فهو كالجاري وهو مايذهب بتبنه فيتوضأ منه أن يرى أثره وهو طعم أو لون أو ريح ، وموت مالادم له فيه كالبق والذباب والزنبور والعقرب والسمك والضفدع والسرطان لاينجسه ، والماء المستعمل لقربة أو رفع حدث إذا استقر في مكانه طاهر لامطهر ومسألة البئر جحط ــ وتنزح البئر بوقوع نجس لابيعرتي ابل وغنم وخرء حمام وعصفور . وبول مايؤكل نجس لامالم يكون حدثاً ولايشرب أصلاً وعشرون دلوا وسطاً بموت نحو فأرة وأربعون بنحو حمامة وكله بنحو شاة وانتفاخ حيوان أو تفسخه ومائتان لو لم يمكن نزحها » .

* * *

هذه المختصرات ليست بحاجة إلى تعليق ، وربما كانت بحاجة إلى « مطولات » تفك طلاسمها ، وتحولها إلى كلام سويّ مستقيم ، من الناحية اللغوية على الأقل .

ونحن لانزعم أن المختصرات الحديثة تنتمي بالضرورة إلى ذلك النمط من الكتابات ، لكننا نقول إن فتح الباب لممارسة تلك العملية بغير ضوابط أو قواعد ، يمكن أن يقود إلى مثل مانخشاه ونحذر منه . فضلاً عن أننا لانرى فائدة ذات قيمة في اللجوء إلى عملية الاختصار في الأساس . ونحسب أن الذين يجهدون أنفسهم في ضغط كتب التراث واختزالها ، لو أنهم صرفوا جهدهم هذا في تبويب وفهرسة وتنقيح كتب التراث ــ إن كانوا من أهل التخصص ــ لأدوا خدمة جليلة إلى التراث ولأهل العلم ، من قراء جادين ، وباحثين أو دارسين .



بقلم: عبدالقادر بن محمد العماري

إن الاسلام اهتم بالطفولة ورعاها ، ووضع لها قواعد ، فقبل أن يولد الطفل ، عندما يذهب الرجل للبحث عن شريكة حياته وأم أطفاله ، يجب أن يكون هدفه من الزواج بناء أسرة سعيدة صالحة ، وهنا نجد رسول الله يرسم الطريق للرجل في اختيار زوجته ، فيقول عليه الصلاة والسلام (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) . وفي حديث آخر وإن كان ضعيفاً في الاسناد ، فهو صحيح في المعنى : (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) . فيجب أن يهيأ الجو للنشأة الصالحة ، والرسول يقول : (كل إنسان تلده أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) . فالوراثة والبيئة إذاً تؤثران على سلوك الطفل وشخصيته ، وقد أطلق عليهما الامام الغزالي الطبع والتطبع ، فالأول يورث والثاني يكتسب ..

وقد حمى الاسلام الطفل وحافظ على سلامته وهو في بطن أمه ، فلم يبح الاعتداء عليه ، فحرم الاجهاض ، وفرض عقوبة وتعويضاً إذا أسقط الحمل عمداً . وحرم قتل الأولاد من أجل قلة الرزق ، فقال تعالى : (ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) الاسراء ـ ٣١ وأدان القرآن تلك العادة الجاهلية التي كانت عند العرب ، وندد بها ، وهي رفض الأنثى واعتبارها مولوداً غير مرغوب فيه ، قال تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون) النحل ـ ٥٨ ، ٥٩ ـ ، كما أدان وندد بعادة جاهلية أخرى عند بعض العرب وهي قتل الأنثى ووأدها (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) التكوير ـ ٨ ، ٩ ـ ، ومنع اقامة الحد على الأم الحامل حتى تضع حملها ، ثم إذا وضعته ترضعه حتى يستغنى عن الرضاعة (فقد جاءت امرأة تدعى الغامدية إلى الرسول ﷺ وطلبت منه أن يقيم عليها الحد ، ولما كانت حاملاً قال لها ارجعي حتى تضعي ما في بطنك ، ولما عادت بعد ولادة طفلها قال لها ارجعي حتى ترضعيه) صحيح مسلم وسنن ابن ماجه . وأثبت للجنين حق التملك بالوصية والارث والوقف ، وحتى اختيار الاسم فيجب على الأب أن يختار لابنه أسماً حسناً ، حتى لايشعر في مستقبل حياته بغضاضة منه ففي الحديث (حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن أدبه) كما على الأب أن يعدل بين أولاده في العطية . قال عليه السلام (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) وقال (إن لبنيك من الحق أن تعدل بينهم) . ومن عطفه ﷺ قال : (إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الطفل فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه) وقبّل الرسول ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع عندي عشرة من الأطفال ماقبّلتُ واحداً منهم فقال له الرسول : من لايَرْحَمْ لايُرْحَمْ .

وفرض نفقة للمطلقة الحامل ، حتى تضع حملها ، وأباح لها الفطر في رمضان ، إذا كان في صيامها ضرر عليها ، أو على الجنين ، وللطفل إذا ولدت به أمه حق ثبوت نسبه إلى والديه وانتمائه إلى المجتمع ، وله حق النفقة والحضانة والرعاية الكاملة .

الطفل اليتيم

وقد أبدى الاسلام اهتماماً كبيراً بالطفل اليتيم الذي فقد أبويه ، أوأحدهما ، ودعا إلى الإحسان إليه واحترام مشاعره ، والمحافظة على أمواله ، ويتمثل هذا الاهتمام في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي جاءت بشأنه ، فمن الآيات قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا)النساء ـ١٠ ، (وآتوا اليتامى أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب) النساء ـ٢ (ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) الأنعام ـ١٥٢ (وان تقوموا لليتامى بالقسط) النساء ـ١٢٧ (كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضون على طعام المسكين) الفجر ـ١٧ ، ١٨ ـ. (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم) الماعون ـ١ ، ٢ . (وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين) البقرة ـ٨٣ (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى ـ٩ .

وجاء في السنة النبوية قول الرسول ﷺ (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى) وقوله (اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) .

أما التبني فإن الاسلام لايعترف به . قال تعالى (وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هوأقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) الأحزاب ـ٤ ، ٥ .

وقد يقول قائل إن رفض الاسلام للتبني مناف لرعايته للطفولة . ونقول إن الإسلام اعترف بالبنوة الشرعية حتى ماكان بشبهة ، غير أنه لايعترف بما كانت عليه الجاهلية ، وما عليه الغرب اليوم من نزع أطفال من أبويهما ليكونوا أبناء لأناس آخرين بغير حق ، وتكون هناك بنوةٌ وأبوةٌ مزيفة صورية ، وهذا يفتح الباب لسرقة الأطفال وحرمان آبائهم الحقيقيين منهم ، كما أن الإسلام يريد أن يجعل حدا فاصلاً بين الحلال والحرام ، حتى لاتختلط الأمور ، ويتشجع المنحرفون على الخطيئة ، والآية الكريمة قد بينت الأمر بما يتفق مع انسانية الاسلام ورحمته (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) فليس من الانسانية في شيء ما يجري في الغرب اليوم من نزع طفل من أبوين فقيرين أو مجهولين ، وإلحاقه بأبوين وهميين ، ليعيش بينهما غريباً أجنبياً عن جميع أفراد الأسرة ، واشباع الغرائز ، وملء الفراغ لبعض الناس لايكون على حساب القيم ، وعلى حساب الآخرين .

والمجتمع الإسلامي ثمرات الخطيئة فيه قليلة ، وإن وجد أطفال غير شرعيين فلهم الرعاية الكاملة ، ولايحملهم الاسلام ذنباً ، وقد تعالج المسألة باعطاء الطفل اسماً مركباً بحيث لايشعر أنه ابن زنا ، فذلك أخف من اباحة التبني ، وماقرره الشرع الاسلامي فيما يتعلق باللقطاء يعتبر كافياً لاشعارهم بالعطف والحنان ، وقد أوجب الاسلام رعاية اللقيط والاحسان إليه ، وقرر أن الملتقط أحق به ولا يؤخذ منه إلا إذا أثبت أحد نسبته إليه أمام الحاكم ، أو لسبب كسوء معاملة له ، وعلى الملتقط أن يقوم بتربيته وتعليمه ، وله أن يهب له من ماله مايشاء ، أو يوصي له بعد موته من تركته في حدود الثلث .

■ اهتمام كبير بالطفل اليتيم وفرض نفقة للحامل ورعاية اللقيط والإحسان إليه

■ الحضانة أساساً للأم ، وكل النصوص تؤكد أن النساء أولى بهذا الحق

وللطفل حق في الرضاعة من الأم قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة ـ٢٣٣ وعلى الأب الانفاق عليه ، والقيام بشئونه وما يحتاجه ، وإذا بلغ السن التي تؤهله للتعليم فعليه أن يعلمه ، لأن التعليم فرض في الاسلام ، ففي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ويدخل في لفظ المسلم اصطلاحاً المسلمة ، والفقهاء نصوا على نفقة طالب العلم ، وأوجبوها على أبيه الى أن يكمل تعليمه ، إذا لم يكن له مال خاص ، وكان الأب قادراً (أنظر كتاب فتح القدير لابن الهمام وتبيين الحقائق للزيلعي) .

حضانة الطفل

غير أن أهم موضوع في نظري فيما يتعلق بحقوق الطفل هو مسألة الحضانة ، فإن الزوجين إذا كانت الزوجية قائمة بينهما فحضانة الطفل مشتركة بينهما ، وليست هناك مشكلة ، ولكن المشكلة عندما يفترق الأب والأم ، أو يموت الأب ويكون هناك أقارب للأب ينازعون الأم حضانة الطفل ، ولاشك أن مصلحة الطفل تقتضي وضعه عند من هو أقدر على الاهتمام به ورعايته ، وتأمين حاجاته ، ولما كان في بدء حياته يحتاج الى شفقة وحنان ، فالأم هي أحق بحضانته ، وإذا لم توجد فأقاربه من النساء اللاتي تتوفر فيهن أهلية الحضانة ، وكلما كبر الطفل فهو في حاجة إلى اشراف أبيه ، وكانت حاجته إلى أبيه أكثر من حاجته إلى أمه ، وقد كان الأمر في السابق سهلاً وفي الإمكان التوفيق بين المصلحتين ، في حالة انفصال الأب عن الأم وكان الطفل صغيراً ، فتكون الأم على مقربة من الطفل ، حتى لو كان عند الأب لسقوط حضانتها لأي سبب ، ويكون هناك ترتيب زيارته لها ، أو زيارة أبيه له واشرافه في حالة ماإذا كان عند الأم ، وأما اليوم فقد تعقدت الأمور وخاصة في مجتمعات دول الخليج ، التي كثر فيها التزوج من بلاد أخرى ، فيكون الأب من بلد ، والأم من بلد آخر ، ولم يعد الناس على ماكانوا عليه سابقاً من البساطة والسهولة في المعاملة في حل مشاكلهم .

يحصل كثيراً أن بعض الرجال يطلق زوجته الأجنبية التي عندها أطفال له ، فينتزع أطفالها منها ، ويُسفّرها إلى بلادها بعد أن يلغي كفالتها من ادارة الجوازات لتسافر من غير عودة ، فيحرم الأطفال من أمهم ، ويحرم الأم من أطفالها ، ويحصل أيضاً أن يموت

الطفولة ورعايتها في الإسلام

الزوج فيأتي أقاربه وإخوانه أو أبناؤه الكبار فينتزعون الأطفال من أمهم ، ويسفرونها ويفرقون بينها وبين أولادها ، وبعضهم في حاجة إلى رعاية الأم .

ويحصل أن تضطر المرأة المطلقة ، أو التي يموت زوجها أن تتزوج ، وهي مقيمة في البلد وعندها طفل لازال في حاجة إلى حنان الأم ورعايتها ، فتحكم المحكمة بسقوط حقها في الحضانة ، لتزوجها بشخص آخر غير محرم للطفل ، وتسلم الطفل للأب أو للقريب الذي يحل محله .

هذه الأمور واقعة وتؤلم النفس ، وتحرج ضمير القاضي إذا هو لم يستطع أن يخالف النظام الذي يجري عليه العمل ، وخاصة إذا تذكر قول الرسول ﷺ (من فرق بين أم وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة) وفي رواية (ملعون من فرق بين والدة وولدها) وشريعتنا الاسلامية هي شريعة العدل وشريعة الرحمة ، ونحن إذا أردنا أن نحل هذه المشكلة حلاً انسانياً فإننا لن نخالف الشريعة الاسلامية ولكننا قد نخالف قول فقيه ، فالحل لهذه المشكلة من صميم الشريعة ، وفي ضوء أحاديث الرسول ﷺ وهديه ، واجتهادات العلماء من سلف الأمة . ويجب ألا يغيب عن بالنا دائماً قول الامام مالك رضي الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذه الروضة ، أي رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فالحضانة أساساً للأم ، وكل النصوص التي وردت تؤكد حق الأم ، وأن النساء هن الأولى بالحضانة ، ولم يوجد نص شرعي يعطي الرجال حقاً في الحضانة ، اللهم إلا اجتهادات من بعض الفقهاء متأثرة بالبيئة تتكيء على فهم بعيد للنص المتمثل في بعض الأحاديث التي رويت ، وفيها تخيير للصبي بعد بلوغه سن التمييز ، ولم يحدث أبداً أن النبي ﷺ أو أحد من الصحابة أخذ طفلاً من أمه لأنها طلقت ، أو تريد هي أو الأب الانتقال من البلد ، أو لأنها تزوجت من شخص آخر ، وأقوى نصين تدور عليهما مسائل الحضانة هما : حديث البراء بن عازب (إن ابنة حمزة اختصم فيها علي بن أبي طالب وجعفر وزيد ، فقال علي أنا أحق بها هي ابنة عمي . وقال جعفر بنت عمي وخالتها عندي ، وقال زيد ابنة أخي فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها وقال(الخالة بمنزلة الأم) متفق عليه وأم البنت غير موجودة . وكانت البنت في مكة وعندما جاء الرسول ﷺ الى مكة في عمرة القضاء تبعتهم بنت حمزة فأخذها زيد إلى المدينة لأنه وصي حمزة وآخى النبي ﷺ بينه وبين حمزة . والأم إما أن تكون ماتت أو بقيت في مكة على الشرك ، هذا ماجاء في فتح الباري . وكما ترى فإن الحديث فيه حكم الرسول للخالة ، وقال إنها بمنزلة الأم مع أنها متزوجة من غير محرم ، وإذا كان هذا في الخالة فمن باب أولى الأم وانظر تأكيد الرسول ﷺ لأحقية النساء في الحضانة .

والحديث الثاني هو حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن امرأة قالت يارسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وزعم أبوه أن ينزعه مني ، فقال رسول الله أنت أحق به مالم تنكحي) رواه أحمد وأبوداود . قال الامام ابن حزم إن هذا الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم يسمع أبوه من جده ، فهو صحيفة لايعتد به ، ولكن هذا الحديث تلقته الأئمة بالقبول ، وكما ترى أن الحديث جاء ليؤكد حق الأم ، والجملة الأخيرة فيه مقيدة بمصلحة الطفل في حالة ما إذا كان الطفل سيتعرض للاهمال أو للأذى بسبب زواجها ، أو كان الزوج غير راض بحضانتها للطفل ، لأن الحضانة كلها شرعت من أجل مصلحة الطفل . قال ابن رشد في بداية المجتهد : والجمهور على أن تزويجها بغير الأب يقطع الحضانة لما روي أن رسول الله ﷺ قال : (أنت أحق به مالم تنكحي) ومن لم يصح عنده هذا الحديث طرد الأصل ، وأما نقل الحضانة إلى غير الأب فليس في ذلك شيء يعتمد عليه ، قال الامام ابن القيم (إن الزوج إذا رضي بالحضانة ، وآثر كون الطفل عنده في حجره لم تسقط الحضانة هذا هو الصحيح ، وهو مبني على أصل ، وهو أن سقوط الحضانة بالنكاح هو مراعاة لحق الزوج ، فانه سينغص عليه الاستمتاع المطلوب من المرأة لحضانتها لولد غيره ، ويتنكد عليه عيشه مع المرأة ، فلا يؤمن أن يحصل بينهما خلاف المودة والرحمة ، ولهذا كون للزوج أن يمنعها من هذا مع اشتغالها هي بحقوق الزوج فتضيع مصلحة الطفل ، فإذا آثر الزوج ذلك وطلبه وحرص عليه زالت المفسدة التي لأجلها سقطت الحضانة) . ويقول ابن عابدين من فقهاء الحنفية (وقد يكون لأبي الصغير زوجة تؤذيه أضعاف مايؤذيه زوج أمه الأجنبي ، وقد يكون له أولاد يخشى على البنت منهم الفتنة لسكناهم معه ، فإذا علم المفتي أو القاضي شيئاً من ذلك لايحل له نزعه من أمه ، لأن مدار الحضانة على نفع الولد) .

من واقع الحياة

وهذا الذي ذكره ابن عابدين قد شاهدناه أمامنا على أرض الواقع في حادثة وقعت فعلاً وعالجتها بنفسي . وتتلخص الحادثة أن أحد الآباء أخذ ابنه من أمه عندما تزوجت بآخر ، وسنه تقارب السبع سنوات ، وسكن في بيت أبيه الذي تسكن فيه زوجته الأخرى وأولادها ، اخوان الطفل من الأب ، فكان إخوانه يضربونه ويؤذونه وكسرت يد الطفل بسبب ضرب أحد اخوانه له ، والزوجة أحرقته في جسمه بسيخ حديد محمي بالنار ، ورفعت القضية إلى المحكمة فنزع الولد من أبيه ، وأرجع إلى أمه وعوقبت زوجة الأب ، كما عوقب الأب أيضاً لأنه تبين أنه يعلم بما يتعرض له الطفل من أذى فيسكت .

وهناك قضية أخرى وهي أن لأحد الآباء بنتين عند أمهما المطلقة ، ولما تزوجت أخذ بنتيه إلى بيته ، وكان عنده أخوه في سن

المراهقة ، وتزوج هو بأخرى وخرج مع زوجته في بيت مستقل ، وترك بنتيه مع أمه جدتهما وأولادها فقام أحد الأولاد وأراد الاعتداء على شرف بنت أخيه ، فهربت إلى عند أمها ، فتقدمت الأم إلى المحكمة ، فأعادت البنتين إلى أمهما . والحق أن الحديث الصحيح المتفق عليه والذي رواه البخاري ومسلم الذي يتعلق ببنت حمزة بن عبدالمطلب ، صريح في عدم سقوط الحضانة بزواج الحاضنة ، فيجب أن يكون هو المرجع والفيصل . ولا يؤخذ بأحاديث أدنى منه في الصحة ، وإذا أخذ بها فيجب أن تخصص بالمصلحة ، كما هو مقرر في أصول الفقه المالكي .

هناك أحاديث وردت بتخير الأولاد بين الأم والأب إذا بلغوا سن التمييز ، حتى لو لم تكن الأم متزوجه ، أما إذا كانت الأم متزوجة فللأب أن يأخذ أولاده حتى ولو كانت سنهم أقل من سنة ، وهذا أمر متفق عليه بين أكثر المذاهب ، ولم يأخذ بهذه الأحاديث المالكية والحنفية ، وقالوا إن الطفل قد يختار ماليس في صالحه لعدم قدرته في سن السابعة أو الثامنة على معرفة مصلحته الحقيقية ، وقد أيد هذا الرأي ابن القيم وشيخه ابن تيميه وخالفا مذهبهما الحنبلي في مسألة التخيير وقالا يجب أن تراعى مصلحة الطفل ، واستدل ابن القيم بعموم قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) فقال إن التخيير أو الاستهام مقيد بهذا وحكى عن شيخه ابن تيميه أنه قال : تنازع أب وأم صبياً عند الحاكم فخير الولد بينهما فاختار أباه فقالت أمه سله لأي شيء يختاره ؟ فسأله الحاكم فقال الصبي أمي تبعثني عند الكاتب والفقيه يضرباني ، وأبي يتركني ألعب مع الصبيان ، فقضى به للأم . ورأى ابن القيم وجوب تخصيص النصوص التي وردت في التخيير بالمناسب والمصلحة ، وإذا كان يجب أن تراعى مصلحة الطفل . فإن الواجب أن ينظر إلى هذه المصلحة أيضاً في حالة رغبة أحد الأبوين الأم أو الأب في الانتقال من البلد الذي يقيمان فيه . وفي هذه المسألة نجد الفقهاء اختلفوا . فالأحناف يقولون ليس للأب أو الولي اخراج المحضون من بلد أمه بلا رضاها مابقيت حضانتها ، والمالكية يقولون إذا كان سفر الولي إلى مسافة أكثر من ستة برد (١٣٣ كيلو) فله أن يأخذ الطفل ، وللأم الحق أن تذهب معه . والشافعية والحنابلة قالوا متى أراد أحد الأبوين النقلة إلى بلد مسافة قصر فأكثر فالأب أحق بالحضانة .

والغريب أني رأيت احدى المحاكم في احدى البلاد العربية قد أعطت شخصاً ولاية على صغير كان أبوه يعيش في بلد آخر ، وتوفى تاركاً ابنه الصغير عند أمه ، وماله في إدارة القاصرين ، فتزوجت المرأة بعد وفاة الأب ، واشترطت على الزوج أن يقوم بالنفقة وأن يبقى ماله محفوظاً لاتمسه يد حتى يكبر الصغير فيتسلمه بنفسه ، وأباحت المحكمة للشخص الذي نصبته وصياً على الصغير أن ينتزع الصغير من أمه ، ويتسلم أمواله لمجرد أن هذا الصغير من أقاربه البعداء ، وثبت أنه ليس بينه وبين والد الصغير أي معرفة ، ولم يقابله في حياته قط ، غير أنه من قبيلته ، وممن يتصل نسبه به ، فكيف يؤمن مثل هذا على الصغير وأمواله ، ولاتؤمن عليه أمه التي حملته كرهاً ، وتعبت عليه ، وجعل الله في قلبها شفقة وحناناً لايساويها فيهما أي قريب ، فيأخذه هذا ويذهب به وماله إلى حيث لايعلم مكانه ومصيره إلا الله ، فتنقطع عنه أمه التي كان جزءاً منها ، لقد قال بعض الفقهاء في تبرير أخذ العاصب للصغير أنه من أجل حفظ النسب ، والنسب الآن محفوظ في وثائق الجوازات أحفظ مما كان

الفقهاء وترتيب الحضانة

وإذا نظرنا إلى ترتيب الحضانة في أقوال الفقهاء نجد أن كلهم مجمعون ان الأم هي الأولى وأمها الثانية ، ولكنهم يختلفون بعد ذلك فيمن يلي الأم وأمها في ترتيب الأقارب الآخرين ، الذين يستحقون الحضانة ،

■ عندما يُطلّقُ الرجل المرأة الأجنبية وعندها أطفال فمن الواجب ألا يلغي كفالتها

■ إذا تزوّجت المرأة بآخر فيجب أن تُراعَى مصلحة الطفل ولا تسقط الحضانة بمجرّد الزواج

فالمالكية مثلاً يقولون يأتي بعد الأم والجدة أم الأم الخالة أخت الأم ، والحنابلة يقولون يأتي الأب ثم أمهاته ، والحنفية يقولون تأتي الجدة أم الأب بعد الجدة أم الأم ثم الأخت الشقيقة ، والشافعية يقولون بعد الجدة أم الأم ثم أم الأب ثم أمهاتها المدليات بأناث ثم أم أب الأب .

فالحق إذاً في الحضانة للنساء هو الأساس ، وأما الرجال فحقهم ضعيف ، فيجب أن تنظر هذه النظرة في تقدير الأمور المختلف عليها فيما يتعلق بالطفل .

أما السن التي تنتهي عندها الحضانة ، فقد قال المالكية إن البنت يجب أن تبقى عند أمها أو حاضنتها من النساء إلى أن تتزوج ويدخل بها زوجها والابن إلى أن يبلغ ، وأما الحنفية فقد قالوا تنتهي الحضانة إذا استغنى الصغير عن خدمة النساء ، والشافعية قالوا إذا بلغ سن التمييز ، وغالباً تكون في السنة السابعة يخير الصبي والفتاة بين أبيه وأمه ، والحنابلة يقولون مثل الشافعية إلا أنهم لايخيرون الفتاة ، وفي رواية تخير الفتاة مثل الشافعية .

والمهم في الأمر أن علينا أن نفكر في الرأي الذي يحقق مصلحة الطفل في دينه ودنياه ، ونرى أن حل المشكلة القائمة الآن يتمثل فيما يلي :

١ ـ عندما يطلق الرجل المرأة الأجنبية وعندها أطفال عليه أن يهيئ لها بيتاً تعيش فيه مع أطفالها ولاحق له أن يلغي كفالته في ادارة الجوازات ، أخذاً من قول فقهاء المالكية : إنّه إذا سافر ولي الطفل سفراً نقلة فللأم الحق أن تسافر معه لتبقى لها الحضانة ، وليس هناك مايلزم المرأة أن تسافر من البلاد التي تقيم فيها .

٢ ـ عندما يموت الرجل ويترك أطفالاً مع أمهم ليس لأقاربه الحق في نزع الأطفال من الأم وإرسالها إلى بلادها بل تبقى وأطفالها وتنفق عليهم من تركة زوجها أو ممن تلزمه النفقة أو مما تقرره وزارة الشئون الاجتماعية .

٣ ـ إذا تزوجت المرأة بآخر يجب أن تراعى مصلحة الطفل ، ولاتسقط الحضانة بمجرد الزواج عملاً بحكم رسول الله ﷺ في قضية بنت حمزة بن عبدالمطلب .

هذا مارأيناه حلاً اسلامياً انسانياً للمشكلة ، ونرجو من علمائنا الأفاضل أن يدرسوه ويخرجوا بالرأي المناسب فيه . والله الهادي إلى سواء السبيل .

عبدالقادر بن محمد العماري

قضية التنمية

عود على بدء

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

لابد أن تدفعنا التطورات الأخيرة بخصوص أسعار النفط والتداعيات الاقتصادية والاجتماعية له في سائر البلاد العربية إلى إعادة النظر في استراتيجيات التنمية المتبعة، وإلى إعادة التفكير في الأولويات المتبعة، وإلى احياء الاهتمام بالتنمية كقضية حياتية شمولية حضارية.

ورغم الجدل الكبير الذي رافق الاهتمام بموضوع التنمية في العقدين الأخيرين من الزمان فقد ظهرت مثالب حالت دون الاستفادة الكاملة بهذا الحوار. ففي بعض الأحيان اتسم النقاش بطابع «التفكير بالشعارات»، وفي أحيان أخرى اكتسبت بعض المفاهيم صفة «الأبقار المقدسة» التي حالت دون الفحص النقدي لها.

ولكن.. لماذا الاهتمام النظري بالتنمية؟

إننا نعتقد أن على الجماعة الثقافية مسئولية التصدي لموضوع التنمية أو التحديث في المجتمع العربي من كافة جوانبه وأبعاده لأربعة أسباب: أولها: طبيعة الانتماء إلى مجتمعات بقيت في براثن التخلف الاقتصادي والاجتماعي وإذا أدخلنا فى الإعتبار عنصر ازدياد الهوة بين المتخلفين والمتقدمين، وإذا أدخلنا أيضاً الآفاق التي تفتحها الثورة التكنولوجية في مجالات الحاسبات الآلية الدقيقة والانسان الآلي والهندسة الوراثية (وهي موضوعات سبق أن تناولناها على صفحات الدوحة)، فإن القضية تغدو بحق قضية مستقبل ومصير.

وثانيها: يؤكد حاجتنا إلى مزيد من الجهد العلمي في ميدان التنمية تعقد الظاهرة موضع البحث، وتعدد وتشابك العوامل التي تتدخل لتحديدها. أفلا يجدر بنا التأمل في النتيجة التي توصل إليها عالم الاقتصاد السويدي جونار ميردال وهي أن مشكلة التنمية في العالم الثالث أبعد ماتكون عن الحل الآن من أي وقت مضى؟ وألا يجدر بنا أن ندفع بنظرة أكثر علمية وأكثر واقعية لموضوع التنمية. وبعد تجارب عديدة استغرقت الكثير من الجهد والوقت والدم والمال، وضح فيها أن التنمية لاتتم بالحماس الديماجوجي، ولا بظهور القادة التاريخيين، ولا بأوامر إدارية، وإنما هي خليط من ذلك كله وغيره نسعى لاكتشافه بالدراسة وقد يختلف من مجتمع لآخر. فالحقيقة التي نعرفها اليوم أن عديداً من تجارب البلاد النامية قد توقفت، أو تجمدت، ومن ثم فإن تقييماً واقعياً سليماً لهذه التجارب أصبح أمراً ضرورياً، تقييماً يتخطى كلاً من الأحلام الوردية وآمالها، والتشاؤم الذي قد تدفع إليه المشاكل الراهنة.

وثالثها: أن دراسات التنمية تقدم حلاً لإحدى المشاكل التي تواجه الدارسين في مجال العلوم الاجتماعية في البلاد النامية، وهي مشكلة العلاقة بين العلم والمجتمع، أو الوظيفة

■ مطلوب من الجماعة الثقافية العربية أن تتصدّى لموضوع التحديث في المجتمع العربي من كافة جوانبه

■ هل صحيح أن الدول الصناعية المتقدمة هي التي ترسم صورة المستقبل للدول النامية؟!

الاجتماعية للعلوم الإنسانية ، بعبارة أخرى العلاقة بين النظرية والممارسة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

فدراسة التنمية السياسية على سبيل المثال تثير موضوع التخطيط السياسي ، ودور النخبة السياسية في تحريك موارد وإمكانات المجتمع وتعبئتها بما يحقق الاهداف التي تم الاتفاق عليها بطريقة واعية وإرادية .

ورابعها : يرتبط كل ماسبق بما نسميه بتطوير مدرسة قومية في مجال الدراسات الاجتماعية ، سواء فيما يتعلق باهتمامات العلم والأسئلة التي يثيرها أو بمناهج البحث التي يركز عليها بحيث تكون هناك مدارس عربية في العلوم الاجتماعية المختلفة تجمع بين اتجاهات العلم والمشاكل التي يعرفها ويدرسها على المستوى العالمي ، وبين المشاكل والقضايا السياسية المتميزة للمجتمع العربي كقضية الوحدة وكمشكلة التنمية ، كما تسعى إلى ربط نفسها بالتقاليد الثقافية القومية .

ليس هذا وحسب ، بل ان الجماعة الثقافية العربية مطالبة بأن تطور نظرة مستقلة تعكس الخصائص الذاتية لمجتمعها وثقافتها القومية تجاه النظريات والمفاهيم والآراء التي تطرحها دراسات العلوم الاجتماعية الأجنبية والتي تعكس ظروفاً مغايرة ، فمن المسلم به أن العلوم الاجتماعية تعكس في اهتماماتها وإطاراتها الفكرية البيئات الاجتماعية والثقافية المحيطة بها ، ومن ثم فإن من الطبيعي والمنطقي أن يكون تدريس العلوم الاجتماعية في البلاد العربية مغايراً في بعض جوانبها .

الأشكالية التنموية

إن الوضع الحضاري الراهن في العالم ينفرد عن الخبرات التاريخية السابقة من حيث السمات التي يتميز بها ، ومن أهم هذه الخصائص الثورة الجديدة في العلم والتكنولوجيا التي فتحت أمام الإنسان آفاقاً جديدة من القدرة على الانتاج والسيطرة ، وثورة الآمال والمطامح على المستويين النفسي والاجتماعي ، وسرعة التغير الاجتماعي بمعنى أن العالم وبالذات الشق المتقدم منه يشهد مرحلة تغير اجتماعي مركز سواء من حيث سرعة التغير أو حدته وعمقه والآثار التي يطرحها حتى أن البعض – مثل توفلر في كتابيه « صدمة المستقبل » و « الموجة الثالثة » – يتساءل عن مدى قدرة الانسان على التكيف نفسياً مع هذه التغيرات دون حدوث اختلال أساسي في توازنه ، وارتبط بذلك تضاؤل الحدود الجغرافية بين أجزاء العالم وتعقد المشاكل والروابط الانسانية .

هذا الوضع الحضاري – بسماته السالفة الذكر – أدى إلى ايجاد ثلاثة أشكال من المفارقات أو التناقضات حسبما يذكر د . قسطنطين زريق في كتابه « نحن والمستقبل » بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية ، وبين التطور العلمي والتكنولوجي وتطور الأفكار والقيم والنظم الاجتماعية ، وبين مطامح الشعوب وآمالها من ناحية وقدراتها على الوفاء بهذه الآمال من ناحية أخرى .

أكثر ما يهمنا في هذا المقال هو التناقض الأول بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية ، ولنحدد منذ البداية المشكلة موضع التحليل .

إن المجتمعات الإنسانية منذ بداية عصر النهضة في القرن السادس عشر تشهد تباعداً في أنماط الحياة الاجتماعية والنظم السياسية والأوضاع الاقتصادية ، بين تلك المجتمعات التي بدأت عصر التنوير وخبرات الثورة الصناعية وماخلفته من آثار شاملة وتعرضت لآثار الثورة الفرنسية الكبرى ، وتلك المجتمعات التي خضعت للاستعمار الأمر الذي كانت نتيجته تبلور أشكال اجتماعية وايكولوجية متباينة اصطلح على تسميتها بالتقدم والتخلف .

هذا الوضع – الذي ازدادت حدته ووضوحه بعد الحرب العالمية الثانية باستقلال عدد كبير من الدول الآسيوية والافريقية – فرض موضوع التنمية كإحدى القضايا الملحة في عالمنا المعاصر للتعامل مع هذا التباين الكيفي بين شطريه ، ويثير للباحثين العديد من التساؤلات . فهل صحيح مثلاً أن الدول الصناعية المتقدمة ترسم صورة المستقبل للدول النامية ؟ ويتساءل البعض عن الأسباب التي أدت بعملية التنمية لكي تبدأ في بلاد معينة دون غيرها ، وماهي خصائص عملية التنمية في هذه البلاد في ظل إطار دولي مختلف يتسم بسيطرة الدول الصناعية المتقدمة وفرضها لنمط سائد للعلاقات التجارية ؟ وهل ستؤدي عملية التنمية إلى ابراز عناصر اتفاق وتشابه بين كل الدول الصناعية في مجالي الاقتصاد والسياسة ؟ وماهي البدائل المطروحة أمام البلدان المختلفة ؟ وماهي القوى والعوامل المحركة لعملية التغير في المجتمع ، وهل يمكن التمييز بين الأهمية النسبية لمختلف العوامل الدافعة لعملية التغير بمعنى أن نعطي لعامل معين دوراً معيناً ؟ ماهي التركيبة اللازمة من المقومات لعملية التنمية والأهمية النسبية لكل عامل أو عنصر ؟ ولماذا بدأت عملية التنمية في العصر الحديث تاريخياً في غرب أوروبا دون

قضية التنمية
عـود على بـدء

غيرها من مناطق العالم ؟ لماذا مثلاً لم تتطور المجتمعات الاسلامية خارج الاطار الذي ظلت تدور فيه دون أن تكسر هذه الحلقة المفرغة وتبدأ ثورتنا الصناعية ؟

هذه الأسئلة ـ وغيرها ـ هي موضوع دراسات ونظريات التنمية .

جدول أعمال التنمية

رغم تعدد المشاكل التي تثيرها الدول النامية ، فإنه يمكن التعبير عنها بصفة عامة في ثلاث قضايا أساسية :

أولاً : التحرر من آثار الاستعمار ونزع جذور الاستعمار وآثاره في المجتمع سياسياً واقتصادياً ونفسياً . ويقصد بذلك الآثار التي يتركها في نفسية الشعوب وتكوينهم وقيمهم الاجتماعية والشخصية أضف الى ذلك مواجهة الأشكال المستحدثة من الاستعمار والتغلغل والحفاظ على السيادة الوطنية . فإذا كان فرانز فانون قد حدد آثار التسلط الاستعماري في الاستغلال الاقتصادي ، والاستبداد السياسي ، والتمييز العنصري ، وتحطيم التراث الحضاري الوطني . فإن عملية التحرر من الاستعمار تتمثل في السعي للتخلص من هذه الآثار .

ويركز فانون على جانب التحرر الثقافي بما يتضمنه ذلك من احترام اللغة القومية والشعور بالتقدير للثقافة الوطنية بعد سنين طويلة من الاستعمار الثقافي والفكري ، كانت الكتابات الغربية تؤكد فيها تفوق أوروبا الطبيعي وتحكم بالضعة والانحطاط على حضارات الشرق حتى أمكن لأحد رجال الاستعمار الانجليز(ماكولي) القول بأن رفاً واحداً من مكتبة أوروبية جيدة يعادل كل التراث الوطني للهند والجزيرة العربية ، بل وتشكك الأوربيون في قدرات الشرقيين العقلية ، فجورج دوهاميل عضو الأكاديمية الفرنسية في كتاب له بعنوان حضارة فرنسا يذكر أن الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات ، ومن قبله وصف ارنست رينان العقل السامي بأنه معاد للفلسفة ومعاد للعلم مختتماً محاضرته الأولى في الكوليج دي فرانس عام ١٨٦٢ بقوله « إن المستقبل ايها السادة لأوروبا ولأوروبا وحدها » . وفي دراسة للمستشرق هاملتون جب بعنوان « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » صدرت عام ١٩٤٤ . يصف الذهنية الاسلامية بالذرية Atomism والعجز عن التركيب وأنها تنظر الى أحداث التاريخ وظواهره على أنها مفتتة منعزلة عن بعضها البعض . يرتبط بانتشار هذه الأفكار وجود بعض الأوضاع الثقافية والتعليمية ذات الطابع الاستعماري مثل سيادة لغة أجنبية لدى النخبة ، وعدم وجود نظام قومي للتعليم وانتشار الأمية التي تصل في كثير من البلدان المتخلفة الى ٩٠٪ من عدد السكان . وسيادة طبقية ثقافية . وغلبة قيم معينة مثل تنمية الاحتقار للعمل اليدوي والاعتقاد في الخرافات والاساطير . ولعل هذه الأوضاع هي مايعبر عنها أحياناً بضرورة النهضة الثقافية في البلدان المتخلفة والخروج من أنماط فكرية وعقلية قوامها الرتابة .

ثانيا : مشكلة مواجهة آثار تغير اجتماعي سريع بمعنى أن هذه المجتمعات تتعرض لعملية تغير اجتماعي يتضمن نوعين من الضغوط داخلية وخارجية . من الناحية الداخلية عرفت هذه البلدان ثورة للتوقعات وآمالاً كبيرة في غد أفضل . في بعض البلاد حدث ذلك غداة الاستقلال ، وفي المنطقة العربية ازداد الشعور بذلك مع ازدياد سعر النفط . من الناحية الخارجية تتم عملية التغير الاجتماعي هذه في ظل عالم يتسم بتقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصال الجماهيري حتى أن البعض أسماه بالقرية العالمية للدلالة على درجتي الارتباط والتداخل التي بلغها عالمنا المعاصر وفي إطار عملية تغلغل منظمة للدول المتقدمة في شئون الدول المتخلفة ، وأشكال مستحدثة للاستعمار والسيطرة والهيمنة .

■ إن بلادنا تخوض غمار مرحلة الانتقال الكبرى ، فهل سيُقَدَّرُ لنا أن نشارك في مسار هذا الانتقال ؟

ثالثاً : بناء مؤسسات الدولة بما يتطلب ذلك من تنظيم إداري وسياسي واقتصادي يضمن توفيراً للحاجات الأساسية للمواطنين وتعبئة موارد المجتمع بما يحقق ذلك .

انه عالم يتغير

إن العالم الذي تعودنا عليه ينهار أمام طوفان من الحقائق الجديدة والمتغيرات الناشئة ، وبلادنا تخوض غمار مرحلة الانتقال الكبرى في حياتها ، فهل سيقدر لنا أن نشارك في تحديد ملامح هذا التطور ومساره : أم أننا سنترك لقوى التكنولوجيا الغاشمة أن تطرح آثارها علينا دون ماتخطيط لذلك أو تقدير لعواقبه . لقد تهكم كينيث جالبرت مرة على ما أسماه « بالحكمة القديمة » وقصد بها أن الأفكار التي نشأت في بيئة تاريخية سابقة وتقوم على اقتراحات معينة لم تعد تتفق مع الظروف الجديدة ، وأن سبب عدم فهم العديد من التطورات المعاصرة هو محاولة إدخالها عنوة في قوالب نظرية جامدة لاتستطيع استيعاب هذه التطورات ، ومن ثم تقودنا الى نتائج خاطئة أومضللة .

أن شرط عملية التنمية ومحورها في نفس الوقت هو الانسان الذي يستطيع من خلال منظور نقدي اكتشاف الذات والواقع . والتنمية قبل أن تكون مصانع وآلات ومبان وسيارات ، فإنها قيم ومبادئ وسلوكيات . المطلوب هو التحليل وليس التبرير ، الفهم وليس الدفاع ، العلم وليس الديماجوجيا ، الواقع وليس التجريد المغرق في مثاليته . فما هو جوهر التنمية على ضوء ذلك ؟

علي الدين هلال

مقتطفات من

مواقف النفري الفلسطيني

شعر
محمد الظاهر

قبضتُ على ذاتي . جلوتُ وجودها ، وضوّأتُ في نفسي المجاهيلَ ما أنا سوى واقف في حضرة الحقّ ، لا أرى جمادية الأشياء بلْ ثورة الرّؤى .

اذا اتّسعتْ رؤيايَ ضاقتْ عبارتي .

في لغةٍ صماء ، وقعُ انشطارها ، تصادمُ وعي الذات حين تناقضتْ مع العقل . لم تترُكْ بكارة لفظة ، ولا أوجدتْ نبضاً ولا أسرجتْ مدى .

ولكنّها في رحلة الكشف دابّتي .

وحرْقي حجابُ الكون ، ساترُ لغزِه ، وصوتي انبثاقُ الرّعد منْ فسحة الصمت .

تهجّيْتُه حيناً من الدهر ، صغتُه ، مواقفَ تسبي الرأيَ . تستنطقُ الحجى ، وغيبته حتى تجلّى حضورُهُ .

ليَ الكبرياءُ الآن . والظاهرُ الذي يآلفُ ما بين الحقيقة والخُطى اشارةُ نطق الشيء بالصمت .

تنجلي معانيه . اوْ تجلو من النُّطْق سرّهُ .

أنا ملكوتُ الذات . لاشيءَ دونَهُ .

أنا خاطفُ الافهام خطفَ المناجل .

دنوتُ الى آثار عيني فأبْصرتُ مسافةَ هذا الكون نفسي . وأدركتُ فضةَ الرُّؤى . فاستنفر الضدُّ ضدَّهُ .

وأوْقفني في موقف الأرض قالَ لي :

ـ فلسطينُ ليستْ كوكباً مُتحوّلاً ـ

هي الثابتُ المكنونُ في سُرّة الأرض .

وأوْقفني في موقف السّر قالَ لي :

ـ تجدُها فلا تُجدى التضاريسُ ، بُعْدُها ، بعيدٌ عن الادراك ، باطنُ أمرها ، هوَ الكبرياءُ الحرُّ . انْ جُزْتَ حدَّها ، سمعتَ خطابَ الارض في نبضة القلب .

وأوْقفني في موقف البحر قالَ لي :

ـ هنا دربُكَ المرصودُ . إمّا التمسّتَهُ ترى في ضباب البدء روحاً أليفةً ، يُسلمُكَ الألواحَ موجٌ كأنّهُ ضياءٌ اثيريٌّ إذا خطفْتَهُ . تخطّفكَ الالهامُ . فاركبْ . نجاتُهمْ إذا ثبّتتْ رجلاكَ في اليمّ فجّرتْ دماءُ النبيين الحدودَ . وأشهدتْ عليهمْ لهُنّ شواهدُ .

وهيأني للبحر أشعلَ جُثّتي . وقالَ :

ـ هوَ المعصومُ والبحرُ عاصمُهُ .

شربنا دماً منْ شهْقة الليل . نجّمتْ علينا رمالُ البيد دهراً وحاصرتْ ظهيرةُ هذا الوقت . قنطرة الرّدى .

وأوْقفني في موقف الحزم قالَ لي :

ـ بلادُكَ قرطُ الموت . أوْ بيرقُ الحجَرْ .

وعمّدني بالدمِ . أجْلسني على سماء كمنديلٍ من الورق انْتهتْ إلى قاع جُبٍّ أوْ سحابٍ مُسيّر .

وهَشَّ على نفسي كراع . وقالَ لي :

ـ تهجَّ كتابَ النّارِ كي تغسلَ الشّطوطَ .





عمان ـ الأردن

كلام صريح حول الإرهاب الدولي

الصهاينة لا العرب هم الإرهابيون الحقيقيون

بقلم: عصام شريح

الزوبعة المثارة حالياً حول مايسمى «بالإرهاب»، تبدو بعيدة عن الموضوعية، لأنها تنصب في الواقع على ردود الفعل على الإرهاب الحقيقي، فيما تتجاهل بؤرة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، تجاهلاً تاماً.

والزوبعة المثارة حول الارهاب حالياً، تصوّر ردود الفعل على الارهاب الحقيقي في هذه المنطقة، وكأنه اختراع عربي، ولم يحدث له مثيل في التاريخ. وهذا افتئات شنيع على الحق والحقيقة. ذلك أن التاريخ الانساني، لم يخل في أي حقبة من حقبه من الإرهاب والأعمال الارهابية، التي كانت تحصل أحياناً كرد فعل يعبر عن حالات اليأس أو الاضطراب النفسي نتيجة لظلم وقع. أو تحصل بفعل اهتزاز في العقل أو الشخصية لفرد أو مجموعة أفراد. أو تخلخل في بناء المجتمع، صغيراً كان أوكبيراً. أوبغية تحقيق هدف سياسي معين في الحروب والمنافسات بين الأمم، مثل تحطيم روح المقاومة لدى الأفراد أوالجماعات السياسية والعقائدية والهيئات والمؤسسات. أوكوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال، أوكسبيل لإحداث ثورة. وتغيير نظام سياسي أو اجتماعي معيّن، أو للقيام بثورةمضادة ضدّ نظام سياسي معيّن والإطاحة به، ولفرض حكم أقلية ضدّ أكثرية بالإكراه والقوة والتخويف.

الارهاب في أوروبا

وفي الواقع فان الإرهاب كوسيلة من الوسائل المذكورة، قد رافق جميع حقب التاريخ في كل زمان ومكان، حيث كان الصراع على السلطة ومراكز النفوذ حافلاً بقصص الارهاب والارهابيين. وفي السنوات الأولى للثورة الفرنسية، شاع استخدام الارهاب وما أطلق عليه اسم «الارهاب الثوري»، كما شاع تبرير مفهوم الإرهاب فلسفياً، في كتابات بعض المنظّرين والفوضويين في القرن التاسع عشر، خصوصاً في النصف الثاني منه، لاسيما في روسيا وأوروبا الغربية، حيث قامت على أساس أفكار منظري العنف السياسي، منظمات ارهابية مثل «إرادة الشعب» و «الاشتراكيون الثوريون» في روسيا. وجماعات «الفهد» وَ«الانتقام» وَ«المرعبون» وَ«الديناميت» في فرنسا، وَ«الاتحاد الباكونيني الإيطالي» وَ«لجنة الثورة الاجتماعية» في بلدان مختلفة من أوروبا الغربية. وقد أغتيل نتيجة لذلك، العديد من قادة أوروبا وطبقاتها الحاكمة. وكان مقتل أرشيدوق النمسا على يد أحد «الارهابيين» في سيراجيفو، الشرارة التي اندلعت منها نار الحرب العالمية الأولى.

كما استخدم هذا الأسلوب، العديد من حركات المقاومة مثل الثورة الجزائرية والثورة الأيرلندية والثورة الفيتنامية. واليوم الثورة الفلسطينية، ضد الأعداء المحتلين، وضدّ العناصر المحلية المتعاونة مع هؤلاء الأعداء.

ومن الأمثلة على الإرهاب في أوروبا، الحركتان النازية والفاشية اللتان استخدمتا هذا الأسلوب على نطاق واسع لتصفية خصومهما قبل الوصول إلى سدة الحكم وبعده.

وقد شهد العقدان الأخيران، بروز العديد من الحركات الإرهابية مثل «الألوية الحمراء» و «منظمة بادر ماينهوف» و «الجيش الأحمر الياباني» وَ «أيلول الأسود»..الخ

بيْد أنَّ المثال الصارخ والحقيقي للإرهاب، خاصة في المنطقة العربية، هو الكيان الصهيوني، الذي يعتبر مايسميه الغرب

« بالارهاب العربي » مجرد ردّ فعل عليه ليس

على أنّ الارهاب ، ليس وسيلة متفقاً عليها في التيارات السياسية الرئيسية في العالم كله ، ولاتقرّه معظم هذه التيارات ، لكن حركات التحرر الوطني والقومي كحركة المقاومة الفلسطينية ترى في الكفاح الشعبي المسلح ضد الاستعمار والاحتلال واغتصاب الأرض ، وسيلة مشروعة وسليمة ضدّ العدوان ، ولنيل حق تقرير المصير ، كمبدأ أقره القانون الدولي ، ونصّ عليه ميثاق الأمم المتحدة .

الارهاب الدولي

في أعقاب تصاعد عمليات اختطاف الطائرات ، واغتيال القادة السياسيين والممثلين الدبلوماسيين والمسافرين والسائحين ، واختطاف بعض هؤلاء أو احتجازهم كرهائن من أجل الابتزاز المالي أو السياسي كالحصول على حق اللجوء السياسي ، أو إطلاق سراح بعض السجناء أو الارهابيين في سجون دول معينة ، خاصة في ربع القرن الأخير ، استغلت القوى الصهيونية والاستعمارية ، هذه العمليات ، لاثارة الرأي العام العالمي ضد حركات التحرير الوطني ، وقد اهتمت الأمم المتحدة بهذا النوع من الحوادث ، التي أدرجت تحت مصطلح « الارهاب الدولي » فأعدت « مشروع إتفاقية خاصة بالجرائم ضد سلام الانسانية وأمنها » ، و« مشروع إتفاقية لمنع المخالفات المرتكبة ضد الدبلوماسيين وغيرهم من الأشخاص الذين لهم حق التمتع بحماية دولية » ، كما وضعت منظمة الطيران المدني الدولية ثلاث اتفاقيات بشأن « المخالفات المرتكبة على متن الطائرات ، والحجز غير الشرعي للطائرات ، والأعمال غير الشرعية الموجهة الى أمن الطيران المدني » .

بيد أن الخلط بين حوادث الارهاب ، ونشاط حركات التحرر الوطني استمر بشكل عشوائي ، بتأثير الصهيونية وحلفائها الاستعماريين ، وتصاعد الضغط على الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢ ، لاتخاذ قرار يدين حركات التحرير الوطني ، فقدم الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم آنذاك ، اقتراحاً الى الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرين طلب فيه ، « دراسة التدابير المانعة للارهاب الدولي ، ولأشكال العنف الأخرى التي تعرّض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر » بيد أن الدول العربية تحركت سريعاً ، وأوضحت للأمين العام ، أن عنوان الموضوع ، شامل وواسع الاطار ، مما يُخشى معه ، أن تستغله الدول أو الكيانات الاستعمارية والعنصرية ، ضد حركات التحرير الوطني ، فتحشر أعمال هذه الحركات ، ضمن إطار الارهاب ، الأمر الذي يشكل انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

إزاء ذلك صرح الأمين العام للأمم المتحدة ، بأنه ليس من المناسب دراسة ظاهرة الارهاب « دون الأخذ بعين الاعتبار ، بالأسباب الكامنة وراءها » ، وأوضح ، أنه لم يهدف باقتراحه « المسّ بالمبادئ التي حددتها الجمعية العامة ، فيما يتعلق بالشعوب المستعمَرة ، أو غير المستقلة ، التي تناضل من أجل الحصول على استقلالها وحريتها » .

وفي الدورة السابعة والعشرين (ايلول – سبتمبر ١٩٧٢) ، أدان معظم الـ ٩٢ وزير خارجية ، الذين ألقوا بياناتهم أمام الجمعية العامة عن الارهاب الدولي ، أدانوا الارهاب إذا كان القصد منه نشر الرعب أو الابتزاز أو الكسب غير المشروع ، أو الاغتصاب أو قتل الأبرياء ، ورسموا خطوطاً فاصلة بين الارهاب وأعمال التحرير الوطني ، وأوضحوا أن حركات التحرير الوطني والقومي يحق لها أن تستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهدافها وحصولها على حقوقها التي نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها . وفي نهاية المناقشات ، أقرت الجمعية العامة ، باقتراح من أحد الوفود العربية ، إضافة فقرة الى موضوع « الارهاب الدولي » كما اقترحه الأمين العام للأمم المتحدة ، بحيث أصبح كما يلي : « التدابير المانعة للارهاب الدولي ولأشكال العنف الأخرى التي تعرض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر ، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الأرهاب ، وأعمال العنف التي مردّها الى البؤس وخيبة الأمل والحيْف واليأس ، والتي تدفع ببعض الناس الى ازهاق الأرواح البشرية ، بما فيهم أرواحهم هم أنفسهم ، في محاولة لاحداث تغييرات أساسية » .

ولدى التصويت على مشروع القرار ، تبنّت الجمعية العامة بأكثرية ٧٦ صوتاً ضد ٣٥ صوتاً واستنكاف ١٧ ، مشروع القرار الذي تبنّته مجموعة الدول غير المنحازة ، وصدر القرار بتاريخ ١٨ – ١٢ – ١٩٧٢ ، وقد طلب القرار من الدول الأعضاء ، أن تعكف على دراسة الحلول العادلة والسلمية التي تؤدي الى إزالة الأسباب الكامنة وراء أعمال العنف ، موضحاً تأكيد الجمعية العامة للأمم المتحدة على « الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية ، ولغيرها من أشكال السيطرة الأجنبية ، وتؤكد على شرعية نضالها ، وبصورة خاصة ، نضال حركات التحرير الوطني ، وفق أهداف ومبادئ الميثاق وقرارات أجهزة الأمم المتحدة » ، ودان القرار « أعمال القمع والارهاب التي تستمر الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية بممارستها ، حارمة الشعوب من حقها الشرعي في تقرير مصيرها واستقلالها ، ومن حقوق الانسان الأخرى ، والحريات الأساسية » ، كما قررت الجمعية العامة ، تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من ٣٥ دولة وطلبت من جميع الدول ، أن تقدم الى هذه اللجنة اقتراحاتها حول الحل المناسب لقطع دابر الارهاب .

وقد استمر عمل هذه اللجنة عدة سنوات ، الى أن وضعت تقريرها حول مشكلة الارهاب في عام ١٩٧٩ ، وقد جاء في إحدى فقرات ذلك التقرير مايلي : « تسلم الجمعية العامة بأنه ينبغي لها ولمجلس الأمن الدولي ، من أجل الاسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الارهاب الدولي ومشكلة الارهاب الدولي ، أن يوليا اهتماماً خاصاً لجميع الحالات ، بما في ذلك ضمن أمور أخرى ، الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الأجنبي ، أي الحالات التي قد تدفع الى الارهاب الدولي ، وقد تعرّض السلم والأمن الدوليين للخطر ، وذلك بقصد تطبيق ما يتصل بالموضوع ، حيثما أمكن ذلك ، من أحكام ميثاق الأمم المتحدة ، بما في ذلك الفصل السابع منه . »

الارهاب الصهيوني

ومع إخفاق الصهاينة وحلفائهم في استصدار قرار دولي من الأمم المتحدة ، يدين

الصهاينة لا العرب هم الإرهابيون الحقيقيون

نضال حركات التحرير الوطني والقومي ويصفه بالارهاب . انقلب هؤلاء الى تأليب أوروبا الغربية معهم بزعامة الولايات المتحدة ، لإمساك القانون الدولي بأيديهم ، وممارسة الارهاب باسم هذا القانون . وفي ذلك هروب واضح من وضع النقاط على الحروف ، والإمساك بتلابيب الإرهابيين الحقيقيين ، في منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص ، الذين كانوا المخترعين لفنون الارهاب وأساليبه المختلفة التي نعايش منذ سنوات فصولاً منها ، وردوداً عليها .

فالارهابيون الحقيقيون هؤلاء هم الصهاينة ، الذين كانوا أول من استخدم أسلوب خطف الطائرات واحتجاز ركابها المدنيين كرهائن ، وأول من لجأ الى نسف حافلات الركاب ، وأول من محا من الوجود قرية بأكملها ، وأول من هاجم بالقنابل سفارة أجنبية ، وأول من قتل مبعوثاً دولياً ووزيراً بريطانياً ، وأول من نسف داراً للسينما ، وزرع متفجرات في مكاتب بريد ومقاهٍ شعبية وأسواق خضار ..الخ في منطقة الشرق الأوسط .

وفيما يلي تسجيل لأبرز الأعمال الارهابية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمن :

• ١١ ـ ١١ ـ ١٩٣٧ : ألقيت قنبلة على مجموعة من العرب كانوا يجلسون بالقرب من مرآب لشركة حافلات (باصات) عربية ، فقتل اثنان وجرح آخران .

• ٦ ـ ٣ ـ ١٩٣٨ : ألقيت قنبلة بسوق الخضار بمدينة حيفا ، فقتل ١٨ عربياً وجرح ٣٨ آخرون .

• ٦ ـ ٧ ـ ١٩٣٨ : انفجرت سيارتان ملغومتان وضعتهما عصابة الايتسل في حيفا ، فقتل ٢١ عربياً وجرح ٥٢ آخرين ، وفي نفس هذا اليوم انفجرت قنبلة بالقدس القديمة فقتلت عربيين وجرحت أربعة آخرين .

• ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٣٨ : انفجرت قنبلة زرعها الصهاينة بالقرب من أحد المساجد بالقدس أثناء خروج المصلين منه ، فقتل عشرة من العرب وجرح ثلاثون آخرين .

• ٢٥ ـ ٧ ـ ١٩٣٨ : انفجرت سيارة ملغومة في السوق العربي بحيفا ، فقتل في الحادث ٣٥ عربياً وجرح ٧٠ آخرين . وفي اليوم التالي ألقيت قنبلة على نفس السوق ، فقتل ٢٧ عربياً ، وجرح ٤٦ آخرين .

• ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٣٨ : انفجرت سيارة ملغومة بسوق القدس ، مما أسفر عن مقتل ٣٤ عربياً وجرح ٣٥ آخرين .

• ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٣٩ : فجّرت عصابة الايتسل قنبلتين في حيفا ، مما أدى الى مصرع ٢٧ عربيا وجرح ٣٩ آخرين . وفي نفس اليوم قتل بتل أبيب على أيدي العصابات الصهيونية ، ثلاثة من العرب وجرح رابع ، وفي القدس قتل ثلاثة من العرب وجرح ستة آخرين .

• ٢٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٩ : ألقيت قنابل داخل سينما « ركس » بالقدس ، فأصيب ١٨ شخصاً بينهم يهوديان بجروح .

• ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٣٩ : ألقيت قنبلة بمدينة يافا ، فقتلت ٢٤ عربياً ، وجرحت ٣٥ آخرين .

• ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٤٤ : قامت عصابة الايتسل بنسف منزل من أربعة طوابق في يافا بحجة أنه مركز للشرطة السرية البريطانية (أيام الانتداب البريطاني على فلسطين) ، وبنفس الحجة ، نسف منزلان آخران أحدهما في القدس والثاني في حيفا .

• ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ : نسفت الايتسل الطرف الجنوبي من فندق الملك داوود ، حيث توجد مكاتب حكومة الانتداب البريطاني ، وقد قتل في الحادث ثمانون شخصاً بينهم موظفون بريطانيون وعرب ويهود وزائرون ومراجعون تواجدوا في الفندق بمحض الصدفة .

• ٧ ـ ٢ ـ ١٩٤٧ : هاجمت وحدة من عصابة الهاغاناه الصهيونية قرية سعسع العربية بمنطقة الجليل ، حيث قامت بتدمير عشرين منزلاً على من فيها ، وقتلت بذلك ٦٠ شخصاً .

• وفي أواخر عام ١٩٤٧ ، هاجمت الهاغاناه قرية الخصاص بالجليل الأعلى وقتلت عشرة من العرب بينهم خمسة أطفال ، كما هاجمت قرية سلواد بمنطقة القدس ، وقتلت امرأة وطفلين ، كذلك هاجمت حافلة ركاب في حيفا وقتلت جميع ركابها العرب ، وفجّرت فندق سميراميس بالقدس على رؤوس نزلائه ، ومنهم نائب القنصل الأسباني بالقدس .

• قبل قيام الكيان الصهيوني بحوالي سبعة أشهر ، وبتاريخ ٩ ـ ١٠ نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ ، اقدم الصهاينة من عصابتي الايتسل وليحي على قتل أكثر من ٢٥٠ عربياً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ بقرية دير ياسين في مذبحة جماعية .

• في ١١ ـ ١٥ ـ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٣ : هاجم الصهاينة قرية قبية وقتلوا ٧٥ عربياً ، ثم دمروا القرية .

• ٢٨ ـ ٢٩ آذار (مارس) : هاجموا قرية غالين ، وقتلوا ١٤ عربياً ثم دمروا القرية .

• ٨ ـ ٢ ـ ١٩٥٥ : هاجمت القوات الصهيونية قطاع غزة ، وقتلت ٣٨ عربياً وجرحت ٣١ آخرين .

• ١١ ـ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٥ : هاجمت قوات صهيونية قرية البطيحة بسوريا ، وقتلت ٥٠ عربياً ، وأسرت ٢٨ آخرين .

• ١٠ ـ ١١ ـ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٦ : هاجموا قرى الضفة الغربية وقتلوا ٤٨ عربياً وجرحوا ٣١ آخرين .

• ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٥٦ : هاجموا قرية كفر قاسم حيث ارتكبوا مذبحة فيها ذهب ضحيتها ٤٩ عربياً .

• في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ : هاجموا قرية السّموع الواقعة قرب مدينة الخليل بالضفة الغربية . وبعد أن نسفوا أكثر من ٤٠ منزلاً ، قتلوا عشرين عربياً من سكان القرية .

الارهاب الصهيوني ضد الدول العربية

• كان الصهاينة أول من اختطف طائرة ركاب في منطقة الشرق الأوسط ، حيث قاموا في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤ ، باختطاف طائرة ركاب سورية واحتجزوا ركابها كرهائن ، للضغط على السلطات السورية للافراج عن جنود اسرائيليين أسرى .

• في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ : قامت قوات إسرائيلية بغارة جوية على مطار بيروت الدولي ، ونزلت فيه لبعض الوقت ، حيث دمرت ١٣ طائرة مدنية لبنانية .

• في شباط (فبراير) ١٩٧٠ : أغارت طائرات حربية اسرائيلية على العمق المصري ، موجهة قنابلها الى أهداف مدنية في المدن والقرى المصرية ، حيث تعرض مصنع في أبوزعبل للقصف ، مما أسفر عن مقتل ٨٠ من العمال المصريين ، وفي نيسان (ابريل) من نفس العام ، قصفت طائرات إسرائيلية مدرسة

بحر البقر، فقتلت أكثر من أربعين من طلابها.

• ٨ ــ ٧ ــ ١٩٧٢: انفجرت شحنة ناسفة وضعها عملاء الصهاينة في سيارة الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في بيروت، فقتلته مع ابنة أخته لميس.

• ١٩ ــ ٧ ــ ١٩٧٢: انفجرت رسالة مفخخة بمدير مركز الابحاث الفلسطيني الدكتور أنيس صايغ، بينما كان يفضّ الرسالة في مكتبه بالمركز الواقع ببيروت، فبترت بعض أصابعه وأصابته في وجهه وبعض أجزاء جسده بجروح.

• ٢٥ ــ ٧ ــ ١٩٧٢: انفجر طرد بريدي مفخخ بمسؤول آخر في مركز الأبحاث الفلسطيني هو السيد بسام أبو الشريف، فأصابه بجروح في وجهه، وفقأ إحدى عينيه.

• ١٧ ــ ١٠ ــ ١٩٧٢: قام عميلان للاستخبارات الصهيونية باطلاق النار على ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بروما وائل زعيتر، بينما كان يهمّ بدخول منزله، وأردياه قتيلاً. كما انفجرت رسالة مفخخة بعد ذلك بأيام بمسؤول بمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر هو «أبو خليل»، وأخرى بمكتب المنظمة بليبيا فجرحت ثلاثة أشخاص.

• ٨ ــ ١٢ ــ ١٩٧٢: في باريس فجّر عملاء جهاز الموساد الصهيوني شحنة من المواد المتفجرة في شقة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدى فرنسا محمود الهمشري الذي توفي في وقت لاحق متأثراً بجراحه.

• ويضيق المجال لو أردنا إحصاء الجرائم الصهيونية، ورصد الارهاب الصهيوني ضد العرب في الدول العربية أو في الخارج، لكننا نشير الى اسقاط طائرة ركاب ليبية في عام ١٩٧٣ بعد أن ضلّت طريقها فوق سيناء، وقتل جميع ركابها الثمانين في الحادث، ثم اغتيال باسل القبيسي وأحمد بوشيكي في أوربا، كما نشير الى حادث الاعتداء على رؤساء البلديات بالضفة الغربية المحتلة في عام ١٩٨٠ عن طريق تفخيخ سياراتهم، مما أدى الى بتر ساقي بسام الشكعة، وبتر قدم كريم خلف، ثم مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا ببيروت في عام ١٩٨٢.

الارهاب الصهيوني ضد الأوروبيين

بالاضافة الى العرب، فإن الصهيونية لم تتورع عن تصفية جميع الذين اعترضوا على اعتداءاتها وجرائمها وسياساتها، تصفية جسدية من الأوروبيين وغيرهم.

• ٢٩ ــ ١١ ــ ١٩٤٦: نسف الصهاينة السفارة البريطانية في روما، بدعوى أنها كانت مركزاً لشبكة تجسس بريطانية تعمل ضد هجرة اليهود الى فلسطين.

• آب (اغسطس) ١٩٤٧: قامت عصابة الايتسل بمحاولة نسف فندق زاخر بفيينا (النمسا)، بحجة أنه كان يستخدم كمقر للجنود البريطانيين كما قامت العصابة الصهيونية، بمحاولتين لتدمير قطارين في ألمانيا والنمسا.

• أما عصابة ليحي (شتيرن سابقاً) فقد قامت في ٦ ــ ١١ ــ ١٩٤٧ بقتل اللورد وولتر موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة، بحجة وقوفه ضد الهجرة اليهودية الى فلسطين.

• ٢٦ ــ ٩ ــ ١٩٤٧: هاجمت «ليحي» فرع بنك باركليس بتل أبيب وسلبت ٤٥ ألف جنيه منه.

• ٢٨ ــ ٢ ــ ١٩٤٨: هاجمت نفس العصابة الصهيونية البنك نفسه واستولت منه على ٢٠٠ ألف جنيه.

• ١٧ ــ ٨ ــ ١٩٤٨: قتل مسلحون من عصابة ليحي الوسيط الدولي بفلسطين الكونت فولك برنادوت بسبب وقوفه ضد ضم منطقة النقب الى الكيان الصهيوني المقترح بموجب قرار التقسيم الصادر في أواخر عام ١٩٤٧ عن الأمم المتحدة.

• وفي عام ١٩٥٤، حاول عملاء لجهاز الاستخبارات الصهيوني نسف بعض المؤسسات الأمريكية في مصر، لهزّ ثقة الغرب بمصر وإظهار قادة الثورة الجدد بمظهر العاجز عن ضبط الأمور في البلاد، ولتأخير انسحاب القوات البريطانية من منطقة قناة السويس، وقد نجح عملاء الموساد الذين أرسلهم الجهاز الى مصر من فلسطين المحتلة، في تخريب بعض المنشآت في القاهرة والاسكندرية بالقاء قنابل عليها، لكن السلطات المصرية قبضت على أولئك الاسرائيليين وأعدمت اثنين منهم.

عود على بدء

ونعود الى القول ان القضاء على الارهاب، لا يكون بممارسة الارهاب «الرسمي»، أو بالامساك بالقانون الدولي لتسخيره لتبرير الرد على الارهاب بالارهاب، وانما يكون بمعالجة المشكلة التي نبع منها الارهاب من جذورها، واكتشاف الارهابيين الحقيقيين والقضاء عليهم. وبالنسبة لما يصفه الصهاينة والمستعمرون «بالارهاب العربي»، فهو ان صحّت تسميته كذلك، فانما هو كما قلنا عبارة عن ردّ فعل على الارهاب الصهيوني ومحتضني هذا الارهاب من المستعمرين. أما لو وقف المعربدون ضد «الارهاب العربي» المزعوم في أيامنا هذه، وقفة إنصاف وتعقّل، وذلك لمصلحتهم قبل مصالح العرب «لو كانوا يتفكرون»، لوجدوا أن بؤرة الارهاب في منطقة الشرق الأوسط، والتي ولدّت «الارهاب المضاد» أو ردود الفعل الثورية في المنطقة، إنما هي الكيان الصهيوني، الذي يمارس الارهاب كل يوم وكل ساعة، وكأنه رياضة جسدية وعقلية.

ولا يحتاج المرء جهداً كبيراً لكي يكتشف ان الحركة الصهيونية إنما قامت على العنف والارهاب والقتل، فواضع الفكرة الصهيونية تيودور هرتسل نفسه يقول بكل وضوح محرضاً على الارهاب والعنف:

«لنفترض مثلاً، أننا نريد تطهير غابة من الوحوش الضارية.. طبعاً لن نحمل القوس والنشاب، ونذهب فرادى في إثر الدببة والذئاب، كما كان يفعل الأوروبيون في القرن الخامس عشر، بل إننا سننظم، حملة صيد جماعية ضخمة، مجهزّة بأحدث معدات الفتك والتدمير، ونتوجه حينئذ لقتل الحيوانات بالقنابل والمتفجرات والرصاص».

وقد ترجم زئيف جابوتنسكي أفكار هرتسل بقوله: «إننا نستطيع أن نُلغي كل شيء: القبّعات والأحزمة والألوان والشراب والأغاني.. أما السيف فلا يمكن إلغاؤه..

عليكم أيها اليهود أن تحتفظوا بالسيف، لأن التوراة والسيف قد أنزلا علينا من السماء!!». وبوضوح أكبر قال دافيد بن غوريون:

«إن الوضع في فلسطين لا يمكن تسويته إلا بالقوة العسكرية، فالحرب هي الحرب.. وسياسة الصهيونية يمكن اختصارها بعبارة واحدة هي التجمع ثم الاقتحام». وعبارة مناحم بيغن الشهيرة، التي قلب فيها معادلة الفيلسوف الفرنسي ديكارت والتي قال فيها: «أنا أحارب (بدلاً من أنا أفكر).. إذن أنا موجود.. وكُنْ أخي وإلاّ فسأقتلك» هي الصيغة الأوضح والأفصح في كتاب الارهاب الصهيوني.

عصام شريح



نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم

بقلم: الدكتور محمد عمارة

كانت «العلمانية» ــ بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة ــ بالنسبة للواقع العربي والإسلامي ، وقبل أن يتبلور في حياتنا الفكرية ، في القرن التاسع عشر الميلادي . تيار مجلة (المقتطف) (١٨٧٦ ــ ١٩٥٢ م) وصحيفة (المقطم) (١٨٨٩ ــ ١٩٥٢ م) .. كانت «العلمانية» ، بالنسبة لنا ، قبل تبلور هذا التيار ، لا تعدو أن تكون نبتاً أوربياً خالصاً وخاصاً ، نسمع عنها ونقرأ حولها كما نسمع ونقرأ عن الأفكار التي لا علاقة لها بتاريخنا القديم أو واقعنا الحديث ، فهي قضية من قضايا الفكر الأوربي ، خاصة به ، أثمرتها الملابسات الخاصة بواقع القرون الوسطى والمظلمة التي عاشها الأوربيون تحت الهيمنة المستبدة للكنيسة الكاثوليكية .. لم ينبت لها نبت ، بل ولم توضع لها بذرة واحدة في أرض العروبة والإسلام .

أما بعد تبلور تيار (المقتطف) و(المقطم) ــ يعقوب صروف (١٨٥٢ ــ ١٩٢٧ م) وفارس نمر (١٨٥٦ ــ ١٩٥١ م) وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ ــ ١٩١٠ م) ــ ومن نحا نحو هذا التيار في هذه القضية ، من مثل شبلي شميل (١٨٦٠ ــ ١٩١٧ م) ونقولا حداد (١٨٧٨ ــ ١٩٥٤ م) وجرجي زيدان (١٨٦١ ــ ١٩١٤ م) وفرح أنطون (١٨٧٤ ــ ١٩٢٢ م) وسلامة موسى (١٨٨٨ ــ ١٩٥٨ م) وذيوله المعاصرة ــ ... أما بعد تبلور هذا التيار العلماني ، فلقد ظلت «العلمانية» مجرد «خيار غير إسلامي» لنفر من غير المسلمين ، أنشأه وبلوره وزكاه ــ لدى بعضهم ــ : العداء المستكن للإسلام ، والاعجاب المفرط ، إلى درجة الانبهار والتقليد ، للحضارة الغربية ، ورد الفعل الحاد لمأساة التعصب الطائفي الذي لعب الاستعمار الدور الأول في إشعال ناره بلبنان والشام عام ١٨٦٠ م .. إلى جانب الرفض المشروع والمبرر لبعض ممارسات الدولة العثمانية ، المحسوبة ــ ظلماً وافتراء ــ على الإسلام وموقفه

■ هل يعرف مُثقفو هذا الجيل أهمية الكتاب الذي تصدّى لكتاب الشيخ علي عبد الرازق بالنقد والحوار؟

■ حدد المؤلف - أولاً - هويته الفكرية، ثم اتّهم الشيخ علي عبد الرازق بالتغريب لا بالتجديد!

■ استطاع الشيخ "الخضر" أن يُمسك بتلابيب الشيخ علي عبد الرازق عندما تتبّع أمانته في النقل!

■ لاشيء يُسْهِم في ترشيد الحركة الفكرية بتياراتها المختلفة مثل الوعي بالمقولات موطن الخلاف

■ لماذا أحالنا الشيخ علي عبد الرازق إلى كتاب "السير أرنولد" في تحقيق حكم شرعي؟!

■ لقد أدرك المسلمون فن السياسة ببصيرة لم تفتتن بزخرف المدنية الغربية

من «الكتابيين» غير المسلمين.

لقد ظلت «العلمانية» خاصة من خصائص هذا التيار، بلورها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وصحبها، مع ذيوله، إلى الربع الأول من القرن العشرين.. لم يشاركه في القول بها، فضلاً عن الدعوة إليها مفكر مسلم.. إلى أن كان إبريل عام ١٩٢٥ م عندما طلع علينا المرحوم الشيخ علي عبدالرازق (١٣٠٥ — ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ — ١٩٦٦ م) بكتابه (الإسلام وأصول الحكم) فكان أول كاتب مسلم يسعى إلى زرع «العلمانية» في العقل الإسلامي، وفي واقع المسلمين..

ولقد كان أخطر مافي هذه المحاولة «الوحيدة والفريدة» أنها قد جاءت في «ثوب اسلامي» وتحت «رايات إسلامية»، ومن عالم فاضل تخرج من الجامع الأزهر، ويشغل منصب القاضي في المحاكم الشرعية الإسلامية.

فبعد أن كانت «العلمانية» حلاً أوربياً خاصاً لشكل أوربي خالص، لايدعو إليه، في واقعنا الفكري، سوى نفر من غير الاسلاميين وغير المسلمين، المقلدين لحضارة الغرب.. جاء الشيخ علي عبدالرازق فتصور القضية، في الفكر الإسلامي وفي واقع المسلمين، القديم والحديث، على النحو الذي كانت عليه في المسيحية الكاثوليكية وفي واقعها الأوربي!..

«فالإسلام، عنده: دين لاسياسة.. ورسالة لاحكم.. وروحانية لادولة.. وبلاغ مجرد عن التنفيذ — كما كانت المسيحية الأولى دعوة لـ«دعوا مالقيصر لقيصر ومالله لله» —

«والخلافة الإسلامية، عنده: كانت «كهنوتاً».. خليفة مستبد، لايُسأل عما يفعل، لأنه يستمد سلطانه من الله — كما كان الحال مع تجربة الحكم «بالحق الإلهي» في أوربا المسيحية، عندما ساد تحالف الكنيسة والأباطرة والملوك.

«ولذلك، فلقد تصور الشيخ علي عبدالرازق الحل عندنا — كما كان في أوربا الكاثوليكية — هو «العلمانية»!..

لقد صور الاسلام، في هذا الجانب: مسيحية.. وصور الخلافة الاسلامية، تاريخيا: كهانة كنسية وحكماً، مستبداً، بالحق الإلهي».. فكانت «العلمانية» عنده، بسبب هذا التصور، حلاً إسلامياً لشكل إسلامي، بعد أن كانت — قبل كتابه (الإسلام وأصول الحكم) — حلاً أوربياً خاصاً لشكل أوربي خالص، لايدعو إليه، في بلادنا، سوى نفر قليل من غير المسلمين المقلدين للحضارة الغربية!..

الصراع الفكري حول هذه القضية

وإذا كان أبناء المرحوم الشيخ علي عبدالرازق يؤكدون أن أباهم قد عدل، أواخر حياته، عن تصوره هذا، وتراجع عن دعواه هذه.. فرفض إعادة طبع كتابه.. وهمّ بكتابة نقد ذاتي للأفكار المحورية التي تضمنها كتابه، لكن الأجل وافاه قبل أن يتمه... إذا كان هذا هو أمر الشيخ ورجوعه عن «العلمانية»، فإن كتابه الذي ادعى «علمنة الاسلام» لايزال شهيراً، يحمل سحراً خالصاً لدى قطاع مؤثر من المفكرين والمثقفين والقراء على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام..

والذين عاشوا تلك الحقبة التي ظهر فيها كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وكذلك الذين درسوا الأحداث الفكرية لتلك الحقبة، يعلمون أنه قد صدرت كتب ونشرت دراسات عديدة، ردت على دعاوي الشيخ علي عبدالرازق، وفندت ماحواه كتابه من آراء.. وكل هؤلاء يعلمون أن على رأس هذه الردود يأتي كتاب الشيخ الفاضل والمجدد الإسلامي الإمام الأكبر محمد الخضر حسين (١٢٩٣ — ١٣٧٧ هـ — ١٨٧٦ — ١٩٥٨ م)، الذي حمل عنوان: (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)..

وأمام هذه الحقيقة من حقائق تاريخنا الفكري، تبرز مفارقات وتساؤلات:

«فكم من الناس هم المفتونون بعلي عبدالرازق.. حتى ولو لم يقرأوا كتابه؟!..

«وكم من الناس قد سمع ويسمع بالخضر حسين؟ فضلاً عن كتابه الذي نقض به بناء كتاب علي عبدالرازق؟!..



إن قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية ، وفيها ، تنحاز للعلمانية ــ دون أن تدري خصوصية نشأتها الأوربية ــ وهذه القطاعات تتصور الإسلام علمانياً ــ دين لادولة ، ورسالة لاحكم ــ لأن الشيخ علي عبدالرازق قد قال ذلك ، عام ١٩٢٥ م .. دون أن تعرف أن هناك من نقض هذه المقولة وفند الدعوى بمنطق وبراعة يشهدان للعقل العربي والمسلم بالأصالة والتفوق والإبداع ..

كذلك فإن هناك قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية ، وفيها ، يدينون على عبدالرازق ، دون أن يقرأوه ! .. وأخطر من ذلك تصورهم أن الرد عليه وعلى « العلمانية » هو « غثاؤهم الفكري » الذي يعرض الإسلام : « كهانة » .. و « دولة دينية » .. و « حاكمية » تجرد الأمة من حقها في أن تكون ــ حيال السياسة والدولة وتنظيم المجتمع وعمارة الكون ــ هي مصدر السلطات ... الأمر الذي يؤدي ــ شاءت تلك القطاعات « الإسلامية » أو لم تشأ ــ إلى أن يصبح هذا « الغثاء الفكري » هو المرتكز الذي يبرر به العلمانيون « العلمانية » التي إليها يدعون وبها يبشرون ! ..

ومن سخريات حياتنا الفكرية أن هذه القطاعات « الإسلامية » لاتدري أن كتاب علي عبدالرازق قد نقضه وفنده علماء لم يسلكوا لذلك سبيل تجريد الأمة الإسلامية من حقها ــ بل واجبها ــ في أن تكون مصدر السلطات ! ..

ومن هنا جاء اعتقادنا الراسخ بأنه لاشيء يسهم في ترشيد الحركة الفكرية ، بفصائلها وتياراتها المختلفة ، مثل : الوعي بالمقولات موطن الخلاف... والإحاطة الواعية بمعالم الصراع الفكري الخصب الذي دار حول هذه القضية الجوهرية من قضايا ديننا ودنيانا .. وتأمل وثائقها الفكرية التي جمعت حجج مختلف الأطراف والفرقاء .. ثم الانطلاق من ذلك ، وبعده ، إلى الابداع والإضافة ، مواكبة للجديد الذي يطرحه الواقع الذي نعيش فيه .

أهم وأخطر كتاب

وإذا كنا قد سبق وتناولنا بالعرض والنقد والتقييم ، كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للمرحوم الشيخ علي عبدالرازق .. فإن الأمانة تدعونا إلى تقديم هذه الدراسة عن أهم كتاب تصدى لكتاب الشيخ علي عبدالرازق بالنقد والحوار والتقييم والتنفيد ... إنه كتاب ، لم يحظ ــ رغم اهميته وخطورته ــ بما حظي به كتاب الشيخ علي عبدالرازق من شهرة بين مثقفي هذا الجيل .. فماذا قال الشيخ الخضر في رده على الشيخ علي عبدالرازق !

في هذا الكتاب ــ (كتاب الشيخ الخضر) ــ (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) ــ عمد المؤلف إلى نهج يغني قارئه عن قراءة الكتاب الذي يرد عليه وينقضه .. فإذا لم يتيسر للقارئ الاطلاع على كتاب الشيخ علي عبدالرازق ، فإنه سيطلع عليه في ثنايا كتاب الشيخ الخضر ، حتى ليكاد الرجل لايترك من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فقرة إلا أوردها ليناقش صاحبها ولينقدها وينقض فكرتها أو يبين رأيه فيها .. فهو يتتبع أبواب الكتاب ، موضوع النقض ، باباً بعد باب ، فيبدأ بتلخيص الباب .. ثم يأخذ في إيراد الفقرة المعبرة عن الفكرة ، فينقضها ، وهكذا ، إلى نهاية الباب .. ففيه معظم نصوص كتاب علي عبدالرازق .. الأمر الذي يغني القارئ له عن كتاب علي عبدالرازق ..

وفي هذا الكتاب يتجلى الخضر ، في أسلوبه واختيار ألفاظه ، « عالما ــ أديبا » .. فهو ينتقي ألفاظه المعبرة بدقة شديدة عن المعنى المراد كما يصنع « الفلاسفة ــ العلماء » ، وهو يتخير من هذه الألفاظ المحكمة ماهو جميل ، ويصوغها في أسلوب بالغ الرقي ، كما يصنع الأدباء الذين برعوا في تذوق العربية وفقهوا أسرار جمالها وأعانهم على ذلك علم غزير بعلومها .. حتى ليصلح أسلوب الرجل وبيانه لأن يكون نموذجا للغة « العلماء ــ الأدباء » ! ..

وفي هذا الكتاب نرى الشيخ الخضر عالماً بالمنطق وقضاياه ــ بالمعنى الفني والاصطلاحي بارعاً في فن الجدل والمناظرة .. وإذا كان الشيخ علي عبدالرازق قد برع في « المراوغات التشكيكية » التي مكنته من أن يضع في كتابه متناقضات يستطيع أن يلجأ من إحداها إلى الأخرى ، عند المناظرة وفي أسلوب وبألفاظ قد تسعفه إذا هو شاء أن ينفي عن كتابه التناقض !؟ــ وهو الأمر الذي وضح جلياً في « مذكرة » دفاعه عن نفسه ودفعه لاتهامات « هيئة كبار العلماء » (١) .. فإن براعة الشيخ الخضر في فن الجدل وأدب المناظرة قد مكنته من تتبع « المراوغات التشكيكية » للشيخ علي عبدالرازق ، في صبر وأناة ورسوخ قدم ، يحسده عليها أهل العلم وأساطين الجدل والمناظرة .. وإن بدا الرجل ، في هذا الميدان ، غير مألوف بالنسبة للقراء المتعجلين !؟ ..

كذلك ، يتجلى الرجل ، في كتابه هذا ، « ناقداً ــ محققاً أميناً » .. فهو لايقف في نقد مصادر خصمه عند مااستند إليه الخصم من نصوص واقتباسات ، بل يعود إلى المصادر التي يقتبس منها الخصم ، ليتحقق من أمانته في النقل ، وليرى هل انتزع النص من سياقه على نحو مخل باتساق الأفكار .. ولقد استطاع الرجل أن يمسك بتلابيب الشيخ علي عبدالرازق في بعض من هذه المواطن ! ..

وكمثال على هذا « النهج التحقيقي » في نقد استخدام المصادر ، تتبع الشيخ الخضر لمقولة الشيخ علي عبدالرازق القائلة : إن علماء الكلام الاسلاميين قد قرروا للخليفة والامام سلطاناً إلهياً مطلقاً .. فلقد ذهب الشيخ الخضر إلى المصادر التي عزا إليها الشيخ علي هذه المقولة ، فكشف غياب الدقة عن الرجل في هذا الادعاء ــ وهو يكشف لنا هذه الحقيقة ، التي هي نموذج لهذا المنهج في « النقد بالتحقيق » فيقول : « قال المؤلف ــ (علي عبدالرازق) ــ ، عازياً إلى (طالع الأنوار) (٢) وشرحه (مطالع الأنظار) (٣) : « ولاغرو ان يكون له ــ (الخليفة) ــ حق التصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم » (٤) قطف المؤلف هذه الجملة من أصلها وأطلقها خالية من الروح التي تجعلها حكمة جليلة ، فإن صاحب (الطوالع) إنما ألقاها في نسق التعليل لأخذ العدالة شرطاً من شروط الإمامة ، فقال : (الرابعة : أن يكون عدلاً ، لأنه يتصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم) . وقال شارحه في (المطالع) . (لو لم يكن ــ يعني الامام ــ عدلاً لم يؤمن تعديه ، وصرف أموال الناس في مشتهياته ، وتضييع حقوق المسلمين) . فالمراد من التصرف في الأموال والرقاب والأبضاع التصرف بحق ، وهو التصرف بنحو القضاء ، أو بعمل مشروع ، كاستخلاص الأموال المفروضة ، وحمل الناس على أمر الجندية ، وولاية نكاح من لا ولي لها » (٥) .

فهو ، هنا ، يحقق اقتباسات خصمه ، ويكشف التجاوز الذي حدث في الاستشهاد بسبب عزل العبارة المقتبسة ، قسراً ، عن السياق الذي وردت فيه ! ..

على درب تجديد الإسلام

ولقد كانت المعركة بين الشيخ علي عبدالرازق وبين خصومه ، في نظر التيار

« العلماني » على وجه الخصوص . قد اتخذت صورة الصراع بين « التجديد » وبين « الجمود والتقليد » .. فصاحب (الإسلام وأصول الحكم) قد قدم نفسه كمجدد إسلامي ، وتحدث عن كتابه كإبهام في التجديد الديني .. كما اشتملت جبهة خصومه على أصوات كثيرة مثقلة بنغمات « الجمود والتقليد » .. لكن الشيخ الخضر حسين لم يكن من هؤلاء ، ولا كان كتابه صوتاً من هذه الأصوات .. فلقد كان الرجل مجدداً إسلامياً راسخ القدم على درب تجديد الإسلام ، يخاصم الجمود والتقليد . ويرى فيهما شذوذاً على نهج الاسلام الحق والمسلمين الحقيقيين .. وفي هذا الصدد يقول : « .. من أول ما عني به الاسلام في تشريعه أن أطلق العقول من وثاق التقليد ، وفتح أمامها باب النظر حتى تعبر إلى قرارة اليقين على طريق الحجة والبرهان ، قال تعالى : (ولاتَقْفُ ماليس لك به علم) (٦) وقال : (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني عن الحق شيئاً) (٧) . وقد جرى علماء الإسلام ولاسيما السلف الصالح ، على هذا المنهج ، فكانوا لايتابعون ذارأي على رأيه ولا يتقلدون حكماً قبل أن يعلموا مستنده ، وإذا عرفوا المستند عرضوه على قانون الأدلة السمعية ووزنوه بميزان النظر ليعلموا مبلغه من الصحة . فإذا ثبت على النقد وسلم من وجوه الطعن رفعوه على كاهل القبول وإلا نبذوه نبذ الحذاء المرقع . غير مبالين بمقام مدعيه وإن حاكى القمر رفعة وسناء ! ومن درس مسائل الخلاف من عهد الصحابة رضي الله عنهم ، إلى العصر الذي ساد فيه القول بسد باب الاجتهاد ، رأي الصحابة كيف يخالف بعضهم بعضاً ولاينقاد صغيرهم إلى كبيرهم إلا بزمام الحجة ، وسار على هذا الاستقلال وحرية الفكر التابعون فمن بعدهم ، ولايكبر على أحد من المجتهدين أن يناظر أستاذه أو من كان أوفر منه علماً وأوسع نظراً فيقارع حجته بالحجة ، حتى إذا لم تمتلىء نفسه بالثقة من أدلته اجتهد لنفسه وأقام بجانب مذهبه مذهباً . ولتجدن من هؤلاء من يبلغه مذهب الصحابي في قضية لم ينعقد عليها إجماع فيستأنف النظر في دلائلها ولايكون في صدره حرج أن يخالف الصحابي أو يرجح مذهب تابعي على مذهبه » (٨) .

وهذا الانحياز الإسلامي إلى التجديد قد ظل نهجاً لم يخل منه عصر ــ وإن ذبل خلال مرحلة الانحطاط والجمود ــ المملوكية العثمانية ــ أما في عصرنا ، عصر اليقظة ، فإن في العالم الأسلامي علماء شبوا على حرية الفكر وإطلاق العقل من وثاق التقليد الأصم ، فهم لايكرهون لذوي الألباب أن يبحثوا حتى في أصل العقائد (وجود الخالق) ، وهم لايستطيعون أن يحولوا بين المرء ومايعتقد من باطل ، وليس في أيديهم سوى مقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد » (٩) .

هكذا حدد الشيخ الخضر موقعه في هذه المعركة وأبان عن هويته ، فهو نصير للتجديد ، وخصم للجمود والتقليد ، ومن هذا الموقع يتقدم لنقض كتاب الشيخ علي عبدالرازق « بمقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد » !

وإذا كان الرجل قد حدد موقعه وأبان عن هويته في هذا الصراع الفكري ، فهو قد نفى عن علي عبدالرازق سمة التجديد ، وأعلن عن ان « التغريب » والافتتان بالغرب ومقولات كتاب ونظريات فلاسفته وتصورات مستشرقيه هو الذي جعل الشيخ علي عبدالرازق ينظر إلى الاسلام ــ في قضية الدولة والسياسة ــ بالمنظار الذي نظرت به النهضة الأوربية إلى المسيحية الكاثوليكية . فيرى الخلافة : استبداداً وحكماً بالحق الآلهي وكهانة تجعل الحاكم نائباً عن الله ، لايُسأل عما يفعل .. ويرى الاسلام : ديناً لادولة ، ورسالة روحية يا بعد مابينها وبين السياسة وتنظيم المجتمعات .

إنه تقليد الغرب ، ذلك الذي جعل صاحب (الاسلام وأصول الحكم) يرى الاسلام مسيحية تطلب أن تدع مالقيصر لقيصر ومالله لله .. فهو « التغريب » إذاً وليس التجديد .. المنطق الذي رآه الشيخ الخضر مصدراً لهذا الفكر الذي انفرد به الشيخ علي عبدالرازق دون كل علماء الاسلام على امتداد تاريخ الاسلام !...



الشيخ علي عبدالرازق

إنه يحدد « التغريب » ــ وتصور الاسلام ــ في السياسة ــ مسيحية ــ كعلة أولى لهذا الفكر . فيقول : « يتساءل الناس أحياناً عن الحال الذي لبس قلب المؤلف ــ (الشيخ علي عبدالرازق) حتى أصبح يقول على الله غير الحق : هل اقتحم هذه الخطيئة لقصور في الفهم ؟أم لداعية افتتانه بملة أخرى ؟ . إذا صح للقارئ أن يتردد في بعض المباحث السابقة ، فإن هذا البحث (الذي تصور فيه علي عبدالرازق الاسلام « رسالة لاحكم ودين لادولة ») لايبقي له ريبة في أن المؤلف قد يقصد إلى قلب الحقائق ، حيث لايصح أن تنقلب في نظره (١٠) » ! فليس قصور الفهم هو علة هذه الأفكار ..

وعندما يتحدث علي عبدالرازق عن وجود تصورين للحاكم في نظر علماء الإسلام ، أحدهما ــ وهو مذهب الجمهور في رأيه ــ يرى الحاكم ذا سلطان إلهي مستبد ... يبصر الشيخ الخضر أثر التقليد لمذاهب الغربيين ــ لا مذاهب الاسلاميين ــ في هذا الادعاء .. فيقول ــ في تحفظ العلماء ودقتهم ــ : « والذي يؤخذ بطريق الاستنتاج أن المؤلف عرف أن للغربيين في سلطة الملك مذهبين فابتغى أن يكون للمسلمين مثلهما . ولما لم يجد في كلام أهل العلم عن الخلافة مايوافق أو يقارب القول بأن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله تلمسه في المدائح من الشعر أو النثر... » (١١) !؟..

وعندما يستند الشيخ علي عبدالرازق إلى آراء المستشرقين « السير ارنولد » (١٨٦٤ ــ ١٩٣٠ م) في تقرير « أحكام شرعية » خاصة بالامامة والخلافة ، يبصر الشيخ الخضر أثر الإفتتان بالغرب وتأثيرات الهيمنة التي تمارسها الحضارة الغربية على عقول البعض إلى الحد الذي جعلتهم يأخذون عنها ، لا المباحث التاريخية الاجتماعية ، بل وأحكام الشرع والدين ؟! .. فيقول : « ... ولو أحالنا المؤلف ــ (علي عبدالرازق) ــ على كتاب السير ارنولد ــ (الخلافة) ــ في بحث تاريخي أواجتماعي له مساس بالخلافة لأخذ منا الأسف على أن فاتنا الاطلاع عليه مأخذاً بليغاً ، ولكنه أحالنا على كتاب السير أرنولد في تحقيق حكم شرعي . فقلنا . لعله أراد خلط الجد بالهزل ، أوإخراج أحكام الشريعة من دائرة الراسخين في علومها ! . يجب أن تكون قيمة الأحكام الشرعية في نظر المؤلف فوق هذا التقدير ، وماينبغي له أن يخيل إلينا أنا في حاجة إلى الاقتداء بعقول الغربيين حتى في أمور الدين من واجب وحرام . وإذا كان المؤلف يدري أن الشريعة أصولاً ومقاصد لم يدرسهما



السير أرنولد حق دراستهما ، فإن إحالتنا على كتابه ليست سوى عثرة في سبيل البحث تعترض السذج فتكبوا بهم في تردد وارتياب (١١).

وعندما يتصور الشيخ علي عبدالرازق ، ويصور الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مجرد « مبلغ » رسالة ، لاحظ له ولا شأن « بالتنفيذ » لما تضمنته هذه الرسالة من تنظيم للمجتمعات وسياسة للناس. ينبه الشيخ الخضر الى تأثيرات صورة المسيح ، عليه السلام ، بنظر علمانية الحضارة الغربية ، في تلوين تلك الصورة المدعاة لنبي الاسلام .. « فالرأي الذي يقصده المؤلف ـ(علي عبدالرازق) ـ حسبما تصرح به ألفاظه وما يسوق عليه من الشبه ـ هو أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مبلغ فقط ، ولم يكن من وظيفته تنفيذ ما أوحى إليه بتبليغه ؛ وأنه لم يأت بشريعة لها مساس بالقضاء وسياسة الدولة . وهو رأي لم ينسج على أصل شرعي ولم يقم على بحث علمي ، ولكنّ الافتنان بزخرف الحياة الافرنجية يخامر العقل ، فإذا الخيال ينقّر بالقلم ماشاء أن ينقّر ، ويقلب صور الحقائق إلى مالا يخطر على قلب افّاك أثيم » (١٢)

وإذا كان اللاهوت المسيحى قد تصور المسيح منبتّ الصلة بالدولة والسياسة ، يدعو إلى أن ندع مالقيصر لقيصر وماالله لله .. فهو قد تصوره إلهاً أو ابناً لله ، له خصائص الألوهية وصلاحياتها ـ فإذا جاء الشيخ علي عبدالرازق وتحدث عن سلطان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على القلوب سلطاناً يجعل له « حق التصريف لكل قلب تصريفاً غير محدود » ... رأينا الشيخ الخضر ينبه على أن الاسلام يرى الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بتصريف القلوب .. وينقل رأي الحافظ بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩ م) في (فتح الباري) والذي يقول فيه : « إن الله تعالى تمدح بالانفراد بذلك ولا مشارك له فيه » .. ورأي البيضاوي (٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م) الذي يقول في تفسير آية : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) (١٣) ان فى نسبة تقليب القلوب إلى الله اشعار بأنه يتولى قلوب عبادة ولا يكلها إلى أحد من خلقه ... ثم يحدد الشيخ الخضر مصدر هذا « الغلو » فيقول : « وإنك لتجد في هذه الجمل من الغلو في الوصف مالم يذكره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن نفسه ، وإنما علق بقلم المؤلف ـ(علي عبدالرازق) ـ من أثر ديانة أخرى » (١٤) ! ..

وفي الحديث عن موقف علماء الاسلام من الفلسفة يلمح الشيخ الخضر خطر النهج الذي يجعل أصحابه مقلدين « لكل مايلفظ به الغربيون » (١٥) ...

ولم يكن الرجل داعية لإقامة الأسوار بين الحضارات ، ولكنه كان نصيراً للتفاعل الصحي الراشد ، الذي يقوم بين حضارات مستقلة بما تتمايز به وتتميز من سمات وخصائص .. وعدواً للافتتان بزخرف الحضارة الغربية ... وهو يتحدث عن هذا الموقف المتوازن عندما يعرض لموقف حضارتنا من الحضارة اليونانية ، فيقول : « لقد عنى المسلمون من علوم اليونان بالفنون التي كانت معروفة لهم ، أو كانت بضاعتهم فيها مزجاة (١٦) ، وكانوا يصرفون عنايتهم إلى هذه العلوم على قدر مايرون لها من فائدة ، وعلى حسب ماتمس إليه الحاجة ، فأقبلوا على العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والمنطق بمجامع قلوبهم ، وأعطوا جانباً من عنايتهم إلى مانقل لهم من سياسة أفلاطون وأرسطو ، مع علمهم بأن أيديهم مملوءة بمبادئ السياسة الكافية في تدبير مصالح الأمة وصيانة حقوقها على منهج الحرية السامية والعدالة الصادقة .. ومن نظر في تاريخ عظماء الاسلام ببصيرة لم تفتتن بزخرف المدنية الغربية رأي أن سيرتهم العملية وما يلفظون به من نوابغ الكلم مايشهد بأنهم أدركوا في فن السياسة شأوا بعيدا ولم يكن حظهم منها أقل من حظ دارسي كتابي الجمهورية والسياسة » (١٧) .


الشيخ الخضر حسين

لقد أبصر الشيخ الخضر أثر « التغريب » و « الافتتان بالحضارة الغربية » في مجيء دعوى الشيخ علي عبدالرازق جانحة عن مسار الفكر السياسي الإسلامي منذ تبلور هذا الفكر وحتى عصرنا الحديث .. ذلك أن من آفات هذا « التغريب » :

• تصور تطور كل المجتمعات على ذات الدرب وبذات المراحل وعلى نفس النحو الذي سلكها المجتمع الغربي في التطور !

• وتصور كل المدارس الفكرية والمذاهب والمنظومات الفكرية في ضوء مثيلاتها الغربية ـ إلى الحد الذي نرى فيه ذاتنا وتاريخنا وواقعنا بمنظار الاستشراق ! ..

محمد عمارة

الهوامش

(١) انظرها في كتابنا (الاسلام وأصول الحكم ـ للشيخ علي عبدالرازق) ـ

(٢) هو متن في التوحيد ، للامام البيضاوي : ناصرالدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي .

(٣) لشمس الدين أبي الثناء محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني .

(٤) الأبضاع : الفروج .

(٥) الباب الأول من الكتاب الأول (ص ١١ من طبعة الأصل) .

(٦) الاسراء : ٣٦ .

(٧) النجم : ٢٨ .

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٣٨ ، ٣٩ من طبعة الأصل) .

(٩) الباب الأول من الكتاب الثاني (ص ١٣٠ ، ١٣١ من طبعة الأصل) .

(١٠) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٧٢ من طبعة الأصل) .

(١١) الباب الأول من الكتاب الاول . (ص ١٤ من طبعة الأصل) .

(١١) الباب الثاني من الكتاب الأول (ص ٢٩ من طبعة الأصل) .

(١٢) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٦٥ من طبعة الأصل) .

(١٣) الأنعام : ١١٠

(١٤) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٦٦ من طبعة الأصل) .

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٥١ طبعة الأصل) .

(١٦) أي رائجة

(١٧) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٤٨ من طبعة الأصل) .



عندما ينصرم شهر شعبان يبدأ الاستعداد لرؤية هلال رمضان المبارك فيصعد أحد قضاة الشرع إلى أعلى مئذنة فى المدينة ومعه مساعدان وينتظر حتى تغرب الشمس تماما . فإن ظهر له الهلال أوقد مصباحا معلقا فى قمة المئذنة ، وبذلك يعرف أن شهر الصوم قد بدأ ، ثم ينزل القاضى ويبلغ ذلك إلى أولى الأمر ، ويتبادل المسلمون التهانى وأطيب التمنيات . وفى ذلك الوقت يكون موكب الرؤية فى الانتظار تتقدمه فرقة من فرسان الشرطة ويشترك فيه أصحاب الحرف ومشايخ الطرق الصوفية ذاكرين الله . حاملين أعلامهم ، ويطوفون بشوارع المدينة ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة ، ويخرج الأطفال إلى الشوارع وبيد كل منهم مصباح صغير وتنتشر محلات بيع الكنافة والقطائف فى كل مكان . وتوقد المصابيح على واجهات المنازل ومآذن المساجد . وقد وصف الرحالة المغربى أبو بكر العياشى الذى زار مصر فى القرن العاشر الهجرى ماكان يجرى فى الجامع الأزهر من الاحتفالات العظيمة . قال : «... وبتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر لأنها ليلة سبع وعشرين من رمضان ، وفى الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كليلة القدر ، لأنه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم آناء الليل وأطراف النهار ، صيفاً وشتاء » .

وكان شيوخ الأزهر يختارون بعض كتب التفسير والحديث يدرسونها بحيث يفرغون منها مع نهاية الشهر ، وتقام احتفالات بهذه المناسبة . قال العياشى « فلما كان فى يوم تسعة وعشرين من الشهر ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقانى . ويبدأ الاحتفال بعد صلاة الصبح بقراءة آيات من القرآن ، ومنهم من يقرأها بالقراءات السبع . ثم ينهض أنجب التلاميذ فيلقى قصيدة من نظمه فيها مدح للنبى ﷺ والترضى عن صاحب الكتاب المقروء والدعاء للشيخ ويدعو للحاضرين بقلب حاضر وصوت خاشع . ويؤمن الناس على دعائه . ويحضر هذا الاحتفال عدد كبير من أفاضل الناس والمجاذيب » .

وأغلب الظن أن هذه العادات نشأت فى عصر الدولة الفاطمية واستمرت مع مرور الزمن . وقد ظل حى الأزهر مقصدا للناس طوال شهر الصوم . كان سكانه ينامون النهار ويسهرون الليل . فإذا أقبل العصر بدأوا يتحركون لإعداد الطعام وكثر البيع والشراء وشرعت المقاهى تستعد لاستقبال الوافدين عليها . وكان بعض الأدباء يجتمعون ويقضون شطرا من الليل فى مسامرات أدبية . وكان الشاب طه حسين أحد هؤلاء الأدباء وقد عنى بتصوير سلوك الصائمين حين يقترب موعد الإفطار . قال « ... فإذا دنا الغروب خفقت القلوب ، وأصغت الآذان لاستماع الأذان . وطاشت نكهة الطعام بالعقول والأحلام .. فترى أشداقا تتقلب . وأحداقا تتقلب بين أطباق مصفوفة وأكواب مرصوفة . تملك على الرجل قلبه وتسحر لبه بما ملئت به من فاكهة واترعت من شراب » .

« الآن يشق المسمع دوى المدفع . فانظر إلى الظماء وقد وردوا الماء . وإلى الجياع أطافوا بالقصاع ، تجد أفواها تلتقم ، وحلوقا تلتهم ، وألوانا تبيد ، وبطونا تستزيد ، ولاتزال الصحائف ترفع وتوضع ، والأيدى تذهب وتعود ، وتدعو الأجواف : قدنى ، قدنى وتصيح البطون : قطنى قطنى » .

« على رسلكم أيها الناس . إن الله لم يأخذكم بالظمأ والجوع لتربحوا بالليل ما خسرتم بالنهار . وإنما أراد أن يذيقكم ألم الجوع وحر الصدى لتحسوا مايحس إخوانكم الفقراء من ذلك فترق لهم قلوبكم » .

وكانت الإذاعة المسموعة بدأت تظهر فى مصر ، وتبث أجزاء من القرآن الكريم فكتب الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سنة ١٩٢٥ مستنكرا بث القرآن من محطة الإذاعة . قال « وأى استهانة بكلام الله القديم واستخفاف بشأنه أشنع من نقل ألفاظه الشريفة وآياته المقدسة بآلات لاتدار إلا للطرب بالأناشيد الغرامية والمداعبات الفكاهية واللهو بالهجر من القول » إلا أن رأى المفتي لم يؤخذ به . وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت محطات الإذاعة المسموعة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وأخذت تهتم بالبرامج الدينية والمدائح النبوية وبث القرآن الكريم بأصوات كبار المقرئين . وكانت عاملا عظيما فى تعميق الوعى الدينى بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بل بين المسلمين فى أوربا وأمريكا .

وخير مانختم به هذا المقال حديث رواه ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال لامرأة من الأنصار : مامنعك أن تحجى معنا ؟ فإذا كان رمضان اعتمرى فإن عمرة فى رمضان حجة ، قال ابن حجر العسقلانى « الحاصل أنه اعلمها أن العمرة فى رمضان تعدل الحجة فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لايجزىء عن حج الفرض » .



في اكتمال الضحى

العَصافير تهجرُ غُبْطَتها
في اكتمال الضُحى
وتُبعثِرُ يومي ،
العَصافيرُ تتركُني لِلهَجير وَحيدا
وَتَقْتُلُني مرتين
هكذا بينَ بينْ
بَينَ موت وَصَمتْ
بينَ منفى وَبَيتْ
يَعْبُرُ الوَقتُ لاخاتمَ أو بَريدْ
لامَناديلُ تأتي مِنَ الأُغنيةْ
لا خُطىً تَقْتَربْ
لا أيادٍ تُعانقُني ، أو سَلام حَميمْ
وَتمرُّ الوُجُوهُ ، تمرُّ
لماذا أرى في الوُجوهِ البَريقَ القَتيلْ
لا كَلامْ
فَسَلاماً على مايَموتُ ، سَلاماً على ماسَيحيا
سَلاماً سَلامْ
وَسَلاماً على مايظَلُّ عَميقاً ،
وَيَذْهَبُ في عَرَبات الرَحيلْ
وَسَلاماً على أمسِنا ياحَبيبي

سَلاماً على يَومِنا
لم نكُنْ جاحدين لِننسَى
فَلا نِعمةٌ غيرُ نُعمى يَديكْ
غيرُ هذى الحقائب ،
غيرُ السُكُون .
ولاَ يَمَّحي غيرُ ظلّي لَديكْ
وبعيدٌ هُوَ الحَقْلُ عنّي ،
فَلا حِنطَةٌ أو عَنبْ
لاحَبيبي ، حَبيبي ابتَعدْ
لانَخيلُ يُظلِّلُني لا أحدْ
غَيرُ فُضتهِ في المَساءِ تُعاوِدُني .
فَيَعودُ التعبْ
لانَديً ، لاصَدىً ،
لِلبَنفسَجِ والياسمينْ
لَيسَ إلاّ الحَنينْ
ليسَ إلا أنينَ القِطاراتِ في داخلي
أنتَ تُجلي خيامكَ عنّي بَعيداً وَتَمضي
وَتترُكُ بَعضي لبعضي
فَأيُّ شجار معي أبداً الآنَ .
أيُّ شِجارٌ !

شعر: محمد القيسي

تشكيل

مقهى ،
وزاوية يظللها الصنوبر
وسطوح أبنية . وقرميد قديم
آثار جدران مشققة ،
وباب غير مقفل
وعلى اليسار من الإطار
ظل لشباك ،
ودار
وخيوط أغنية تجيء من البعيد كما الصدى

*

في الجانب الثاني من التشكيل تظهر نخلتان يتيمتان
ريح تهب خفيفة ،
وفتى يميل إلى الهدوء ،
فتى تجمع غيمة ،
قطف الصباح ، وأبعد القاموس عن يده وفكر
مقهى يظلله الصنوبر
يمتد في هذا السدى .



الهـــودج

هودجها الريح ،
وهودجي الكلمات
مولاتي راحلة في الغيم ،
وروحي في الفلوات
أصطاد لها ماينفر من أيل ،
أو يسكن من صبوات
وأحرك أغصان الأشجار بشجوي ،
ونديمي الليل ،
نديمي ماهو آت
مولاتي ألتاع وحيداً في البعد .
فشكراً للأزمات
مولاتي هودجك الريح ،
وهودجي الكلمات .



عن المال والشهرة والمعرفة



بقلم:
الدكتور عبد السلام العجيلي

أصبحت المجلة الانكليزية التي كانت في يدى محور الحديث في جلستنا. فقد تناولها أبو عماد وراح يقلب صفحاتها، وما لبث أن اطلق من بين شفتيه صفير تعجب وسألني :

ــ من أين جئت بهذه المجلة ؟

قلت : أعجبتك ولا شك. ورقها الصقيل من أفخر نوع، وطباعتها أنيقة وصورها جميلة.

قال : ليس هذا ما أعجبني.. بل ما أدهشني. انظروا ياشباب..

وعرض أمام أصحابنا المتحلقين حول طاولة المقهى إحدى صفحات المجلة، واضاف : انظروا الى هذه الصورة على صفحتين.

فمد الرفاق أعناقهم متطلعين الى الصورة التي بسطها أمامهم. قال هشام :

ــ صورة جميلة لبيت ريفي، تحيط به الأشجار ووراءه يرتفع الجبل. ماذا بها مما يدهش ؟

قال أبو عماد : لم تقرأ ماتحت الصورة. انها لبيت في كاليفورنيا معروض للبيع بمبلغ بسيط يستطيع كل منكم أن يمد يده الى زاوية جيبه فيجده فيها.. فقط ثمانية ملايين دولار امريكي !

تناولت أنا المجلة من يد أبي عماد وقلت له : اذا وجدت هذا الثمن غاليا فما لك الا أن تستعرض بقية الصفحات لتجد مايناسبك. تفضل... هنا شقة في الجادة الثالثة في نيويورك قد يناسبك ثمنها.. سبعة ملايين دولار. ثم انظر. هذه شقة في قلب لندن. تأمل ما أجمل العمارة التي تقع فيها، وما أفخر أثاثها الداخلي. ثمنها فقط مليونان وخمسمائة ألف جنيه استرليني.

وهنا قال عبد الرزاق : ما هذه الأرقام الفلكية التي تعددها ؟ وما هي مناسبتها في هذه المجلة ؟

قلت : انها دورية متخصصة بالعقارات والأملاك الفاخرة المعروضة للبيع في كل أنحاء العالم. اذا كان أبو عماد غير راض عن شقة لندن فهنا إعلان عن قصر بالقرب من العاصمة الانكليزية لايتجاوز ثمنه أربعة ملايين وتسعمائة وخمسين ألف جنيه استرليني..

رد ابو عماد عليّ بقوله : اسخر بي كما تشاء، ولكن خبرني من اين جئت بهذه المجلة.

قلت : اني أتلقاها منذ عامين بصورة منتظمة.. ومجانا. كل عدد من أعدادها له هذا المظهر الفاخر وهذا المحتوى الذى يثير الدوار بأرقامه الخيالية. لاأدرى من هو ابن الحلال الذى أعطى ناشريها إسمي وعنواني فأصبحوا يوافونني بها دون انقطاع.

قال هشام : ما فعلوا هذا الا لأنهم يتصورونك قادراً على أن تشترى، عن طريقهم، شقة بسبعة ملايين دولار أو قصراً بخمسة ملايين جنيه. يجب أن تغتبط بهذا. فالمثل يقول : صيت غنى ولا صيت فقر.

قلت : الحق معك، لولا الحسرة التي تحس بها وأنت تقلب صفحات المجلة فترى أمائر الترف والبذخ والثراء التى يعيش فيها غيرك وأنت على ما أنت عليه.

قال ابو عماد : ولا يهمك. يمكنك أن تداوي تلك الحسرة بالتفلسف. يكفي لاطفائها أن تتذكر كلمة الحسن بن علي رضي الله عنهما عن ظلم الفقراء للأغنياء..

سأله أحد الجلوس : وماذا قال الحسن بن علي ؟

فأجابه أبو عماد : قال رضي الله عنه وكرّم وجه ابيه : ما أنصَفَنا الأغنياء.. نأكل كما يأكلون ونشرب كما يشربون. وهم يوم القيامة في عذاب ونحن مستريحون !

* * *

نطق أبو عماد بكلمته التي نسبها الى الحسن بن علي بجد، وبلهجة اقتناع أضحكتنا جميعا، بينما قال محمود :

ــ لم يبق الا أن يتقدم الأغنياء بشكواهم علينا، نحن معشر الفقراء، بأننا لم ننصفهم. دعونا من هذا ولنسأل أخانا. ألمْ يمل ناشرو هذه المجلة الثمينة من ارسالها اليك مجانا ما دمت لم تشتر منهم ماقيمته فلس واحد خلال عامين تلقيتها فيهما ؟

قلت أنا : لم يملوا. بل انهم على مايبدو قد زودوا باسمي وعنواني دوريات ومطبوعات أخرى أخذت تأتيني ويأخذ تصفحها من وقتي الكثير، عدا ما تسوقه اليّ احيانا من المزعجات.

قال أحد الرفاق متسائلا : مثلا ؟

قلت : مثل نشرة تصل اليّ باستمرار، قد تكون ذات فائدة لصنف من الناس أنا لست منهم، بأن تقدم اليهم معلومات عن تقلبات البورصة وأسعار الأسهم وتتنبأ بمستقبل الانتاج في مختلف بلدان العالم. إنها معلومات موثوقة تبينت أكثر من مرة دقتها وصحتها، الا أنها بالنسبة لي تعطي الانجاص لمن ليست له اضراس، كما يقول المثل الشامي. منذ خمسة شهور ذكرت لربة بيتي، بناء على ما قرأته في هذه النشرة، ان أسعار الفلفل سترتفع في أسواق العالم، وربما فقد الفلفل من بعض الأسواق فقداناً تاماً. وحين فقدت هذه المادة حقا من السوق وعجزت أم البنين عن أن تجد حاجتنا منه أنحت عليّ باللوم لأني لم أتزود بكيس كبير من الفلفل، نتبّل به طعامنا وربما بعنا بعضه فكسبنا منه زيادة مال. بل انها قالت في ذات مرة ان من أصفهم بالجهل أقدر على حسن التصرف مني، لأني رجل أعلم ولكني لا أستفيد مما أعلم..

قال هشام : أما تستطيع أن تحوّل هذه المنشورات التي تضايقك الى اخينا عبد الرزاق ؟ اذا لم تكسبه مالا فسيكسب منها شهرة وصيت غنى خيرا من صيت الفقر الذى عرف به.

قلت : عن الشهرة، له عندى نشرات من صنف آخر. انها دعوات يقترح عليّ مرسلوها إدراج اسمي في موسوعات من نوع «هوز هو» التي تعني «من هو»، تلك التي تضم

أسماء مشاهير الرجال في العالم وترجمات حياتهم .

قال عبد الرزاق : هذه تناسبني . ماذا أخسر اذا برز اسمي في هذه الموسوعات الى جانب أسماء أقطاب السياسة ونجوم الفن وأثرياء العالم ؟

قلت : مبدئيا ، لست ملزما بأية خسارة . ولكنك من الناحية المعنوية تجد نفسك ملزما بشراء نسخة واحدة على الأقل من الموسوعة التي تشرفت بنشر اسمك ، ثمن النسخة البسيطة ثلاثمائة دولار ، والمجلدة مع التذهيب خمسمائة ، ومائة دولار فوقها للتي تحوى صورتك . هناك ست موسوعات على الأقل تطلب التشرف بنشر اسمك في مجلداتها ، وعليك انت ان تحسب كم تكلفك من المال ست نسخ منها .

قال عبد الرزاق : عند هذا قف ، أرجوك . أنت ، مثلا ، بكم موسوعة اشتركت ؟

قلت : ولا بواحدة . شعرت ببعض الحرج أمام ناشرين أرسل لي كل منهما صورة من ترجمة حياتي في طبعة سابقة لموسوعته ، مع اقتراح بأن أزوده برسمي ليظهر مع الترجمة في الطبعة الجديدة . فهممت باجابتهما ولكني تماسكت ولم أفعل .

قال عبد الرزاق : أحسنت بهذا . من ناحيتي أجدني أظلم نفسي حين أدفع ألفا ومائتي دولار لأرى صورتي على صفحة ورق ، مادامت هذه الصورة تطالعني في المرآة ، كل يوم ، دون أن تكلفني فلسا .

وهنا قال أبو عماد : أنت ياعبد الرزاق انسان قليل الطموح . ماقيمة المال أمام الشهرة الطائرة التي تضمنها لك هذه الموسوعات ؟ الدولارات لاقيمة لها امام المجد . كأنك لم تسمع قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

مرة أخرى ضحكنا من جد أبي عماد المتصنع في كلامه . وتابعت أنا حديثي عن الدوريات التي يحفل بها بريدي كل اسبوع ، اذا لم يكن كل يوم . قلت :

ــ هناك حرج من نوع آخر ينتابني أمام مطبوعات معينة ، هي المجلات العلمية والفكرية والأدبية التي يكرمني ناشروها بارسالها اليّ دون مقابل . حاجتي الى ما تحتويه هذه المجلات كبيرة ومتعتي بها كبيرة . الا أن تراكمها أمامي ، في الوقت القليل الذى أستطيع اقتطاعه من ساعات عملي ، يثير في نفسي احساسا مزعجا من الشعور بالذنب ومن الحسرة ومن الحنق لأني لاأستطيع الاستفادة من نفيس مايهدى اليّ .

قال أبو عماد : انت مرهف المشاعر أكثر مما يجب ياصاحبي ، ولا أجد مبررا لهذا الاحساس المزعج الذى تصفه لنا .

قلت : قد اكون مغاليا فيما وصفته . ولكن تصور أمامك ثلاثين دورية ، بين أسبوعية وشهرية وفصلية ، بثلاث لغات واحيانا بأربع ، ملأى بثمار العلم والفكر والفن وانت لاتستطيع أن تتذوق من هذه الثمار إلا القليل القليل ... ما من لذة أجمل من المعرفة ، ولا أزعج للنفس من أن تحرم من هذه اللذة وهي تحمل اليك على طبق ...

قال أبو عماد : مرة أخرى اقول لك لاتهتم ... تداو من حالاتك هذه بالتفلسف تشف منها .

قلت : أنا معك . فهل عندك من أقوال الحسن بن علي ، أو من أشعار المتنبي ، شيىء في هذا المجال ؟

قال : عن المعرفة وحب الوصول اليها عندى حكاية تفيدك .

قلت : تفضل وارْوِها لنا ، فكلنا آذان صاغية .

قال : زعموا أن ملكا توفي وخلف على العرش ابنه الصبي اليافع . كان الملك الجديد محبا للعلم مولعا بالمعرفة ، فبدأ بأن استدعى اليه نخبة من علماء المملكة وتوجه اليهم بالحديث قائلا : رغبتي هي في ان أحكم بلادى بأكمل الأساليب التي وصلت اليها البشرية في تاريخها الطويل . ولذا فاني آمركم بأن تدونوا لي تاريخ الانسان على ظهر البسيطة في مؤلف مستكمل أدرسه واطبق زبدة نتائجه في حكمي . قال له كبير العلماء : ما تأمر به يامولاى عمل جليل ، ولكنه يأخذ في انجازه جهدا كبيرا ويستغرق وقتا طويلا . قال الملك : خذوا من الوقت ماتريدون ... أنا في أول عمرى وبمقدورى الانتظار . وانكب العلماء على عملهم حتى أنجزوه في عشرين عاما بلغ الملك اثناءها متوسط العمر واستبدت هموم الملك ومشاكل الرعية بأفكاره ، واستغرقت أوقاته . وكانت حصيلة ذلك العمل اربعين سفرا ضخما ، محمولة على جملين ، تقدم بها كبير العلماء الى مليكه قبل الأرض بين يديه وقال : هذه يامولاى رغبتكم السامية تحققت .. المعرفة الانسانية في تاريخ البشر كله مدونة في اربعين مجلدا . فصرخ الملك مستنكرا : اربعون مجلدا ؟! لاوقت عندى لها ... إنني حريص على معرفة تاريخ الانسان ، وآمركم أن تختصروه في عدد من الأجزاء أستطيع قراءته ... اختصروا ! وانصاع كبير العلماء لأمر الملك ، فانكب هو وزملاؤه خمسة عشر عاما أخرى حتى اختصروا المجلدات الأربعين في أربعة مكثفة . ولما جاؤوا بها ..

وهنا اعترض عبد الرزاق المتحدث قائلا : هذه حكاية طويلة ياأبا عماد . اختصر انت ايضا .

فهزّ أبو عماد رأسه مستهينا بكلام المعترض وتابع يقول : بعد خمسة عشر عاما عاد كبير العلماء الى الملك بأربعة آلاف صفحة في أربعة مجلدات ضخمة تحوى موجز تاريخ الانسان ، محملة على حمار . أمسى الملك بعد هذه السنين كهلا عصبي المزاج حاد الطباع ، فصاح بكبير العلماء الذى أمسى بدوره شيخا محدودب الظهر : أربعة آلاف صفحة ؟! لا وقت عندى لقراءة كل هذا الهذر ... لازلت تواقا الى معرفة تاريخ الانسان ، فاختصره لي في مجلد أستطيع قراءته ... قلت لك اختصر !

عند هذا صاح أكثر من واحد من الرفاق ، متوجهين الى أبي عماد : اختصر ... اختصر وتعالت الضحكات حول طاولتنا بينما تابع أبو عماد : مرت عشر سنوات ، ثم عشر سنوات أخرى عاد بعدها كبير العلماء يحمل كتيبا صغيرا واستأذن على الملك ليبلغه أنه ورفاقه نفذوا الأمر فكثفوا تاريخ الانسان في مائة صفحة يستطيع جلالته ان يقرأها في ساعة واحدة . كان الملك وقتها مريضا . بل انه كان في حياته في ساعاتها الأخيرة . فحين تقدم كبير العلماء اليه بالكتيب وقال : هذه يامولاى طلبتك .. تاريخ الانسان مكثفا في صفحات قليلة ، رد هو بصوت هامس اخفتته شدة المرض : واحسرتي من أن أموت قبل ان أبرد غليلي بمعرفة تاريخ الانسان ... لم يبق من عمرى ما يتسع لقراءة هذه الصفحات ! عندما سمع كبير العلماء مليكه البائس ينطق بهذه الكلمات إنحنى عليه في سريره ، وهمس في أذنه بصوته المرتعش : تستطيع يامولاى أن تغادر الحياة قرير العين ... سأختصر لك تاريخ الانسان ومعرفته بثلاث كلمات : انه يولد ، ويشقى ، ويموت !

أتم أبو عماد حكايته والتفت اليّ قائلا : هذه هي الخلاصة . المعرفة التي تضني نفسك وراءها ياصاحبي تنتهي الى الكلمات الثلاث التي همس بها كبير العلماء لمليكه قبل مفارقته الحياة ألا توافقني على هذا ؟

ولم أجد ما أرد به على أبي عماد ، ولم ينتظر هو ردي . فقد قام مغادرا جلستنا ، وتبعناه نحن في القيام مغادرين المقهى كل الى غايته .

كيف تواجه أجسامنا الإيقاع السريع في حياتنا اليومية؟

بقلم
الدكتور: عبدالله الباكر



أصبح الوقت في أيامنا هذه يسيطر على حياة الانسان ، واستطاعت وسائل العصر الحديث أن تجند كافة إمكاناتها من أجل تلبية حاجاته السريعة اليومية ، فالطائرات العملاقة اليوم تنقلنا من مشارق الأرض الى مغاربها في ساعات معدودة ، لدرجة أنك إذا كنت على موعد مع الغداء في لندن فيمكنك أن تلبي ـ أيضاً ـ دعوة على العشاء في لوس انجيلوس !

وهكذا نرى أن وقع الحياة الحديثة وسرعتها ، جعل الانسان قادراً على استغلال وتغطية كل دقيقة في الأربع والعشرين ساعة اليومية ، ولايتوقف هذا الأمر على الأدوات فقط ، ولكن يمتد الى الخدمات المستمرة التي تتوفر طوال الوقت ، بحيث لوأردت أن ترى طبيباً أو شرطياً أو تستفسر عن رقم أحد الهواتف في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، فسيكون أمر ذلك ميسوراً .

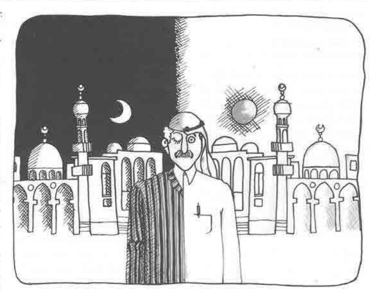
ولكن ، وفي زحمة هذا الوقع السريع للحياة اليومية وتلبية احتياجات الانسان في كل وقت ، هل فكرنا في الذي يجري في أجسامنا من تغيرات تسهل لنا الحصول على معظم طلباتنا حسب رغبتنا ومشيئتنا ؟.. إذا كنت لم تفكر من قبل فأنت مدعو معنا الى رحلة نتعرف أثناءها على مايحدث في أجسامنا من تغيرات أثناء حدوث الايقاعات البيولوجية اليومية !

تعتبر الايقاعية والتكرار النظامي للأحداث في الطبيعة من أكثر الظواهر اعجازاً ومدعاة للاعجاب . هذه الايقاعية منتشرة بشكل واسع ، فهي تبدأ على مستوى الذرات وتمتد في الخلايا ومكوناتها والأنسجة والأعضاء والكائنات بمختلف تركيباتها حتى البيئة بما فيها من تغييرات يومية وفصلية . ان تكرار حدوث هذه الايقاعات في الطبيعة يغطي كل جزء من وقت الانسان إذ أن هناك ايقاعاً أو انتظاماً يحدث مرة في كل جزء من الثانية ، مثل ايقاع ألفا في رسم المخ . وآخر يحدث مرة في مجموعة من الثواني ، مثل « انتظام التنفس » . ويستمر التكرار في ازدياد زمني حتى يصل الى الايقاع السنوي وايقاع المد والجزر والدوران الذي يحصل بين الكواكب حول نفسها أو حول بعضها : وبالرغم من أن الايقاعات مهمة لنا إلا أن أهمها بالنسبة للكائنات الحية هو انتظام الليل والنهار والتبادل بينهما بسبب دوران الأرض المعتاد حول محورها والذي يتم في ٢٤ ساعة ، إذ أن طبائعنا في النوم واليقظة والراحة والنشاط والعمل واللهو والأكل والشراب ... الخ تخضع بشكل عام لتعاقب الليل والنهار والعلاقات الاجتماعية الناتجة من هذا التعاقب « CIRCADIAN RHYTHM » .

ولذا ليس بمستغرب إذن مشاهدة مجموعة كبيرة من العمليات الفسيولوجية والسيكولوجية والبيوكيمائية في انتظام وايقاع مضبوط مع تردد وانتظام اليوم الشمسي . هذا الانتظام يعرف « بانتظام مايقرب من اليوم » .

لماذا يسمى مايقرب من اليوم أو من ٢٤ ساعة بالتدقيق ؟

لأن تصميم الانسان والتفاعلات في داخله بمختلف أشكالها تخضع لساعات بيولوجية داخلية انتظامها ما بين ٢٣ ـ ٢٧ ساعة في اليوم وفي أكثر الأحيان لو تركت هذه الساعات لفضل الانسان ونظم تفاعلاته وافرازاته في يوم طوله ٢٦ ساعة كما يحدث في بعض العميان والمصابين منهم في الطفولة أو عند الولادة بالذات . ولقد بينت غالبية الدراسات التي أجريت على مجموعة مختلفة من البشر في كهوف تحت الأرض أو في أماكن مغلقة لايصلها النور ولاتوجد معهم ساعات يعرفون منها الوقت ، أن الانسان يترك وقته يجري بحرية وينظم ايقاعاته على اليوم الأطول ولقد



ماذا يجرى من الايقاعات البيولوجية اليومية في الانسان ؟

سجل بعض الأشخاص ايقاعات تنتظم في شكل ٤٨ ــ ٥٠ ساعة ، لكننا في الانتظام ننجرف ونجر ايقاعاتنا لكي توافق الأربع والعشرين ساعة ، أي أننا نختصر الوقت بينما هناك بعض الحيوانات تحتاج إلى زيادة في الوقت لأن انتظامها أقل من ٢٤ ساعة .

ولكن ماهي العوامل التي تساعدنا على ذلك ؟ .

هناك مجموعة من العوامل تتعاون مع بعضها البعض لجر الايقاعات الداخلية إلى انتظامها اليومي وتعرف جميعها بضوابط الوقت « ZEITGEBER » ، وهذه الضوابط تشمل الليل والنهار الذي يعتبر أقواها والذي اعتمد البشر عليه منذ بدء الخليقة وقبل دخول التيار الكهربائي والتحول للمدينة وابتعادنا عن النور الطبيعي ، وتشمل العوامل والظروف الاجتماعية وقوانين المجتمع ، فالمنبه الذي يدق في الصباح ويدعونا للنهوض لأداء مختلف الوظائف ماهو في الحقيقة إلا إحدى الوسائل التي تذكرنا بضرورة اتباع قوانين ونظم المجتمع اليومية . والواقع أن المؤثر الاجتماعي يشمل ــ أيضاً ــ العلاقات بين الأفراد والجماعات والمنظمات والهيئات ويشمل أماكن التسلية ، إلى جانب أماكن العمل ، ويشمل الأوقات سواء أوقات الأكل أو الاجتماعات أو المواعيد أو الساعة التي في معصمنا والتي تذكرنا دائماً بالزمن ، وتعتبر واحدة من أقوى ضوابط الوقت !

المنظمات والضوابط الداخلية

وهناك ارتباط وثيق بين الضوابط الوقتية الخارجية والساعات الداخلية . مع أنه بإمكان الايقاع الداخلي ان يستمر بدون الايقاع الخارجي ولكن بشكل مغاير ، هذه الساعات لم يعرف منها حتى الآن إلا واحدة بالتأكيد تابعة لمنطقة « الوطاء » في الدماغ وتعرف باسم نويات فوق التصالبة « SCN » ، SUPRA CHAISMATIC NUCLEI » وهذه المنطقة تتأثر بالنظر ومقدار تأثير الضوء عليها .

« هذا المركز له علاقة وثيقة بالضوء والظلام أما المراكز الأخرى والتي أهمها مركز ايقاع الحرارة في الجسم فلا يزال البحث عنها جاريا » .

هذا المركز تأكد وجوده في تجارب أجريت على الإنسان وعلى الحيوان وتبين أنه يتكون في الجنين منذ الأسبوع الثامن والعشرين من فترة الحمل ويتأثر بالنور والظلام من خلال تأثر الأم وسقوط النور أو الظلام على الشبكية في عيونها ، لذلك أصبح من المهم جداً في المستشفيات مراعاة قوة الاضاءة وحدتها في غرف العناية بالأطفال الرضع حيث أن لها دخلاً في الانتظام اليومي .

ماهي الايقاعات اليومية المهمة ؟

إن جميع الايقاعات والانتظام اليومي مهمة لاستمرار الكائن الحي ، إلا أن الايقاعات الكبرى هي :

١ ــ ايقاع النوم واليقظة « شكل « ١ » « أ »

حتى الآن لايوجد اجماع لدى العلماء على أهمية النوم بالنسبة لنا ، وما هو سببه ، ولكنه أحد الايقاعات الكبرى التي باضطرابها يضطرب مزاجنا وتتأثر قوانا العقلية والنفسية وتصاب أجسامنا بالارهاق وتنتشر فيها الآلام ، المهم أن النوم في حد ذاته عملية منظمة تدريجية ، كشفت مختبرات النوم الحديثة المنتشرة الآن أكثر اسرارها . فالنوم من حيث المحتوى ينقسم الى قسمين :

« نوم حركة العين غير السريعة (NREM) ويسمى ايضا نوم الموجة البطيئة ويمر هذا النوم في درجات خمس ، يبدأ من اليقظة الى النوم العميق الذى تصل فيه سرعة وتردد الايقاعات في الجسم الى درجة البطء الشديد . هذا النوم يعتقد أنه مهم للراحة الجسدية .

« نوم حركة العين السريعة (REM) وهو نوع من النوم يحدث كل ٩٠ دقيقة تقريباً أثناء النوم ويكثر كلما قرب الصباح ، وقد يحصل من ٥ ــ ٦ مرات في الليلة الواحدة وفيه تحدث الأحلام وترتخي جميع عضلات الجسم ويتغير الوضع أثناء النوم وتصدر من النائم حركات لاإرادية . هذا النوم يعتقد أنه مهم من الناحية السيكولوجية والانتاج العقلي والتركيز والمزاج .

٢ ــ ايقاع حرارة الجسم الداخلية (شكل « ١ » « ب ») .

« حرارة جسم الانسان السليم تتغير أيضاً بشكل ايقاعي طوال اليوم ، فهي تبدأ في الصباح في الارتفاع من ٣٦,٤ درجة مئوية وتستمر كذلك طوال اليوم حتى تصل قمتها ٣٧,٥ تقريباً في المساء ثم تنحدر أثناء الليل إلى أقل مستوى من بعد منتصف الليل حتى الصباح .

هذا التغير الانتظامي الثابت في الكثير من الناس يقدم لنا الدليل على أن ارتفاع درجة الحرارة في الجسم ملازم للنشاط والحركة وضروري لهما ، إذ أن ارتفاع درجة الحرارة يزيد من سرعة التفاعلات الكيمائية في الجسم ويبين أن الانخفاض يصاحبه النعاس والنوم .

٣ ــ ايقاع الافرازات الهرمونية :

تخضع غالبية الهرمونات في الجسم إلى الايقاع اليومي في افرازاتها ولقد كثرت

كيف تواجه أجسامنا الإيقاع السريع في حياتنا اليومية؟

الدراسات عن مختلف الهرمونات في الانسان والحيوان ، وأهم هذه الهرمونات هو هرمون النمو والكرتزول و الكتيكولامين ، أما هرمون النمو « هرمون البناء » (شكل ـ ١ ـ ج) فيزداد افرازه بشكل ملحوظ ولفترة قصيرة قرب منتصف الليل ثم ينخفض قرب الصباح ويستمر منخفضاً بعد ذلك حتى منتصف الليل مرة أخرى .

هذا الهرمون مهم للنمو في فترة ما قبل النضج ، ومهم لترميم واصلاح الأنسجة التي استهلكت وتلفت نتيجة للنشاط أو بسبب المرض ، أما الكرتزول والكتيكولامين ، هرمونات النشاط والاستهلاك ، فإن هذه الهرمونات تعدنا لمواجهة الضغوط سواء كانت الآنية « المعركة أو الهرب » أو الاستمرارية منها ، حيث أنها تعمل على توفير الطاقة عن طريق تحويل مختلف الأنسجة إلى مواد قابلة للاحتراق ومدنا بالطاقة من أجل تشغيل أجهزة الجسم المهمة وبالتالي استمرار النشاط . لذلك فالكرتزول (شكل ـ ١ ـ د) ويشبهه إلى حد ما الكتيكولامين يرتفع إلى معدلاته في الصباح الباكر ويستمر بعد ذلك مرتفعاً حتى بعد الظهر حيث ينخفض تدريجياً حتى منتصف الليل ويستمر منخفضاً حتى الساعات الأولى من الصباح .

٤ ـ افرازات الكلية للأملاح :

أيضاً تدخل افرازات الكلية للأملاح في مجموعة الايقاعات اليومية ، وأهم تلك الأملاح هو الصوديوم والبوتاسيوم ، إذ أن الكلية تحافظ بكل دقة على الصوديوم وتتخلص من البوتاسيوم الزائد ، حيث أن زيادته في الدم تشكل خطورة على القلب . ويتم ذلك الافراز تحت تأثير هرمونات الغدة الكظرية حيث نجد أن افراز البوتاسيوم يرتفع أثناء النهار أو اليقظة بسبب النشاط الكثير من خلايا الأنسجة ويهبط أثناء الليل أو النوم (١ ـ هـ) .

من هذه النبذة عن أهم الايقاعات يتضح مايلي :

• أن هذه الايقاعات ترتبط ببعضها البعض حتى يظن أنها تحت تأثير وتوجيه نفس الساعات ، إذ نجد أن اليقظة مرتبطة بارتفاع الحرارة وهرمونات الغدة الكظرية وزيادة افراز البوتاسيوم مع زيادة افراز البول أيضاً وهؤلاء جميعاً يمثلون في هذه الفترة « مرحلة النشاط » ونجد أن العكس هو الصحيح ، لذلك فإن الانتاج الجيد والاستيعاب والممارسة تصل بناء على هذه الايقاعات إلى أحسنها عند المساء ثم تقل بالتدريج حتى منتصف الليل لتنخفض إلى أقل مستوى بعد ذلك ، ولهذا تأثير مهم على العاملين بالليل في مختلف المجالات .

• إن هذه الايقاعات الداخلية تتأثر بضوابط الوقت الخارجية مجتمعة أو منفصلة كل حسب قوته ولكنها قد تعمل بمعزل عنها ، وتستمر أيضاً حتى في غياب الايقاعات الأخرى . ولهذا أهمية حين نتناول موضوع السفر عبر المناطق الزمنية المختلفة .

• إن هذه الايقاعات قابلة للتأقلم والتكيف ويحتاج كل منها إلى وقت مختلف عن الآخر حسب استعداد كل ايقاع للتأقلم مع الاعتماد على العوامل الأخرى وسنرى ذلك في موضوع العمل بنظام المناوبة وتأثيره .

• إن هذه الايقاعات ذات أطوار ثابتة أو ظهور ثابت بالنسبة للزمن في الانتظام اليومي ولكنها قد تتغير للأمام أو للخلف معتمدة على الطور الذي يقع عليها أحد ضوابط الوقت ، فلو كنت تقطن في لندن وسافرت إلى لوس أنجيلوس ستضطر إلى تأخير ساعة يدك إلى الوراء مايقرب من عشر ساعات . هذا ماحصل لساعة يدك وماتمليه عليك ضوابط الوقت ، لكن طور أي ايقاع داخلي يتفق مع الزمن في لندن ، أي أنك بالنسبة للنوم واليقظة والحرارة والهرمونات والبول في طور الاستعداد للنوم بينما الناس في لوس انجيلوس في أوج نشاطهم ، لكن حذار أن تنام لأنك ستفيق في منتصف الليل وستبقى سهراناً حتى الفجر لأنه وقت يقظتك في لندن . هذا الطور يسمى « طور التأخير » والعكس صحيح عندما تذهب من امريكا إلى لندن ويسمى طور التقديم حيث تضطر إلى تقديم ساعة يدك بينما ايقاعاتك الداخلية متأخرة .

• يتم التأقلم بسرعة أكثر عندما تكون في بلدك أو عند عودتك إليها ، وكذلك يكون أسرع عندما تسافر من الشرق إلى الغرب « طور التأخير » بينما هو أبطأ وأصعب عند السفر من الغرب إلى الشرق « طور التقدم » .

الايقاعات اليومية والخدمات الطبية

وقد كثرت الدراسات في السنوات الأخيرة عن أهمية هذه الايقاعات بالنسبة للمؤسسات الصحية ، وأصبح من الضروري في حالات مرضية مهمة كالسكر والربو وأمراض ارتفاع الضغط والقلب والسرطان أخذ هذه الايقاعات بعين الاعتبار :

• في المختبرات حين أخذ العينات من أجل اجراء بعض الفحوصات الدقيقة مثل الهرمونات والأملاح والايونات في البول والدم ونسب السكر والأنسيولون ونسبة أنواع معينة من الكرات الدموية البيضاء « اليوزينية » .

• في حالات العلاج بالأدوية :

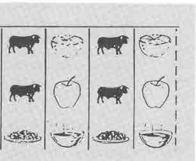
(١) امتصاص الأدوية المأخوذة عن طريق الفم أيضاً يتأثر بالايقاع إلى جانب افراغ المعدة من محتوياتها وافرازاتها ويرتبط أيضاً بنشاط الأنزيمات في الأمعاء .

(٢) استقلاب الأدوية ومعادلتها في الكبد ترتبط بالايقاع أيضاً حيث تبين أن نشاط بعض الأنزيمات الكبدية تختلف في مختلف الأوقات وهذا مهم في بعض الأنزيمات المضادة للعقاقير المنومة حيث وجد أن نشاطه أكثر عند الثانية صباحاً عنه في الثانية بعد الظهر .

(٣) اخراج الدواء عن طريق الكلية أيضاً يرتبط بالايقاع الزمني فالسليسيلات « الأسبرين » اخراجه قليل في الصباح الباكر مثل بعض أدوية السلفا وهذا مهم معرفته بالنسبة للمصابين بأمراض نزف الدم .

(٤) قابلية تأثر الأنسجة بالأدوية : لقد تبين بالدراسات على الحيوانات أن تأثير الأدوية المضادة للسرطان خاضع للايقاعات إذ أن التأثير العلاجي أحسن في وقت من اليوم عنه في وقت آخر ، ولقد تبين في دراسة حديثة نشرها ريفرد ومجموعته « G.RIVARD etal » أن مجموعة الأطفال المصابين بسرطان الدم والذين تماثلوا للشفاء بشكل أحسن كانوا من المجموعة التي كانت تأخذ الدواء في المساء ، كذلك وجد في دراسة أخرى أن استعمال الأشعة لعلاج سرطانات الرأس والرقبة تؤدي إلى الزيادة في ضمورها إذا أعطيت في فترة ارتفاع حرارة الجسم الداخلية .

(٥) تأثير بعض الأدوية على ايقاعات محددة أصبح معروفاً ومأخوذاً به في الاعتبار عند وضعها فالكثير من الأدوية المنومة تؤثر على مراحل معينة من النوم وتؤدي إلى اضطراب



رسم توضيحي لجدول وجبات الطعام حسب توقيت بلد المسافر، وترى تفاصيل هذا النظام في الجدول المنشور

	اكل اليوم الأول	صوم اليوم الثاني	أكل اليوم الثالث	صوم اليوم الرابع
الفطور	بروتينات حيوانية	عصير	بروتينات حيوانية	عصير
الغداء	بروتينات حيوانية	فواكه	بروتينات حيوانية	فواكه
العشاء	نشويات كثيرة	شوربة	نشويات كثيرة	شوربة

مراحل أخرى، وبالذات المرحلة الرابعة من نوم الموجة البطيئة ونوم حركة العين السريعة، ويكون تأثير هذه الأدوية واضحاً في اليوم الثاني من خلال مايشعر به المريض من هبوط وآلام متفرقة ورعشة. أيضاً في العلاج بالهرمونات يؤخذ الايقاع بعين الاعتبار. هذا ولقد تبين من دراسات نشرت أخيراً أن مضادات التجلط كالهيبارين مثلاً له علاقة بالايقاعات، إذ تبين أن قدرته على منع التجلط تصل في الليل الى أقصاها بينما هي في الصباح في أدناها.

• الحالات المرضية الأخرى والايقاع:

(١) أمراض القلب: تجمع غالبية الدراسات التي بدأت تنشر منذ عام ١٩٧٥ من منظمة الصحة العالمية حتى آخر دراسة حديثة نشرت في أواخر ١٩٨٥ من الدكتور ملر ومجموعته (J M Muller etal) والتي اوردتها بعض الصحف اليومية العربية على أن الاصابة بالاحتشاء القلبي يظهر ايقاعا واضحا اثناء اليوم في تردد حدوثه وفي حدوث الألم معه، حيث يحدث ما بين الساعة السادسة صباحا والثانية عشر ظهرا، وقمة حدوثه في الساعة التاسعة صباحا الأمر الذى أكده بالفحوصات المختبرية ايضا.

هذه المعلومات اضافت بعدا جديدا الى علاج هذه الحالات والاهتمام بها.

(٢) الضغط ومرض ارتفاع الضغط:

يأخذ الضغط ايضا شكلا ايقاعيا فيرتفع في حوالي الساعة السادسة صباحا قبل الاستيقاظ مباشرة، وهذا الارتفاع ليس له علاقة بالنشاط اذ أنه سيرتفع حتى لو ظل الانسان مستلقيا في سريره، ويستمر أكثر ارتفاعا حتى الساعة التاسعة صباحا. إن هذا الأمر مهم اذ أنه يأخذ نفس الشكل في المرضى المصابين بارتفاع الضغط إذ يكون ضغطهم أعلى ايضا في الصباح لذلك يجب الانتباه الى أدويتهم الصباحية.

(٣) مرض السكر: هناك ظاهرة تسمى ظاهرة الفجر أو الشروق، تحدث بشكل انتظامي في مرضى السكر رقم (I) المعتمدين على الأنسيولين، اذ يحدث أن نسبة السكر في الدم تصل الى ذروتها في ساعة أو ساعتين قبل الفطور، ويعتبر العلم بهذا الأمر مهم جدا من أجل وضع برنامج زمني ملائم لاعطاء الانسيولين، حتى لايؤدى تراكم السكر الى مضاعفات خطيرة.

(٤) الايقاعات اليومية والأمراض النفسية:

تتجه بعض الدراسات الى الربط بين اضطراب الايقاعات والتغير في الأطوار سواء الى الخلف أو الى الامام ببعض الأمراض النفسية كالكآبة واضطرابات النوم والشيزوفرانيا، وهناك بعض العلاجات لهذه الحالة مصممة على أساس الايقاعات، وبالذات في اضطرابات النوم. ويتضح أن بعض الدراسات ايضا تربط بين السفر — وبالذات من الشرق الى الغرب — وظهور بعض الأمراض النفسية الى الشكل العلني، ولقد نشرت هذه الدراسات من المستشفيات الغربية من مطارى هيثرو بلندن وجون كينيدى بنيويورك.

(٥) الايقاعات اليومية والولادة والوفاة:

يظهر أن الولادة بناء على الدراسات الاحصائية ايضا لها انتظام، فغالبية الولادات الطبيعية تحدث بعد منتصف الليل بين الساعة الواحد والرابعة صباحا. أما الوفيات فلقد وجد أن أغلبها يقع حوالى السادسة صباحا ويقل حتى يصل الى أقل نسبة قبل منتصف الليل، وكانت هذه استنتاجات سمولنسكى عام ١٩٧٧ (Smolensky) بعد تحليله لتسع وأربعين دراسة على ٤٠٠٠٠٠ حالة وفاة.

متى تضطرب الإيقاعات ؟

إن الدقة المتناهية والمطاطية الموجودة في النظام البيولوجي تغطى بسرعة أي اضطرابات تحدث في الايقاع، وقد يحدث أحيانا بعض الأثر ولكنه سرعان ما يتلاشى، والجميع هنا يتذكر أنه لابد لسبب أو لآخر قد سهر ليلة متواصلة أو أكثر، ويتذكر ايضا مايحس به في النهار من عدم اتزان، ولربما يحدث ذلك لبعض الناس في اليوم التالي للعطلة الأسبوعية مع بداية اليوم اذا كان الشخص متعودا أن ينام متاخرا ويصحو متأخرا، ولقد بينت الدراسات في أوربا حيث أن العطلة الاسبوعية طويلة أن الموظفين الذين يغيرون أسلوب نومهم أقل تركيزاً أو انتاجية في العمل مع شعور بالكسل صباح يوم الاثنين. أما الاضطرابات الواضحة والتي تشغل بال الهيئات الصحية وأرباب العمل فهي التي تحدث في العمل بالمناوبة أو بعد السفر الطويل عبر المناطق الزمنية المختلفة.

كيف تواجه أجسامنا الإيقاع السريع في حياتنا اليومية؟

نظام الورديات

ومع تقدم الانتاج والرغبة في زيادته ومع زيادة الدقة في العمل واستعمال الآلات الغالية الثمن ومع رغبة الدول في توفير الخدمات المهمة على مدار الساعة دخل نظام المناوبات في حياتنا العملية ، لكنه حتى الآن لايوجد نظام متفق عليه عالميا . ويبدو الاهتمام بدراسة هذا الموضوع واضحا بعد أن كثرت الشكاوى سواء الاجتماعية أو الصحية ، وكثر التغيب وزادت حوادث العمل وزاد استعمال العقاقير والمخدرات من قبل العاملين في المناوبات الليلية ظنا منهم أنها ستساعدهم على اليقظة والنشاط وقوة التركيز ولكنها أتت في الحقيقة بنتائج عكسية أدت في بعض الأحيان الى كوارث بدأت تتكشف الآن . فالدراسات التي أجريت على سائقي القطارات وعمال مصانع السكر بينت أن هناك نقصاً في أدائهم أثناء عملهم الليلي ، وبالذات في الذين لايحصلون على نوم كاف في النهار بسبب انشغالهم أو بسبب الضوضاء في منازلهم . وفي دراسات أجريت على العاملين في المناوبات الليلة في المستشفيات ظهر في واحدة منها أن الأطباء الصغار الذين ناموا مايقرب من ساعتين فقط كانت نسبة الخطأ عندهم في معرفة اللانظمية القلبية ، كان الضعف مقارنة بالذين ناموا بساعات . أما الطيارون فالتركيز عليهم في السنوات الأخيرة واضح بعد أن كثرت حوادث الطيران لأنهم الى جانب تأثرهم بمشاكل المناوبة فهم ايضا يتاثرون بالسفر عبر المناطق الزمنية المختلفة « التخلف النفاث » ، ولقد وجد « جريير » الخبير في وكالة الفضاء الأميركية في دراسته أن ترتيب جداول الطيران تعطى فيها الأولوية في الاختيار للطيارين الأكبر سناً ، وهؤلاء يختارون الأوقات التي تعطيهم مردودا ماديا أكبر قبل تقاعدهم مع أن اللاتزامن الذي يحدث في الايقاعات الداخلية يتأثر بالسن ، ومعنى ذلك أن كفاءتهم ستكون أقل . وهناك مشروع دراسة تشترك فيه الدول الأوربية وأميركا واستراليا وكندا واليابان للوصول الى أحسن السبل لابقاء التزامن في الايقاعات الداخلية للطيارين ، ويتضح أن الاتجاه الى تخصيص غرفة نوم في الطائرة لهم هو أقرب الحلول بالنسبة لطيران المسافات الطويلة وسنرى نتائج هذه الدراسة .

لذا فاننا ننصح عمال الورديات بالتالي :

١ ــ حاول أن تنام في وقت محدد كل يوم .

٢ ــ أن تكون غرفة النوم مظلمة وبعيدة عن الازعاج قدر الامكان .

٣ ــ تناول نفس النوعية من الطعام في أوقات ثابتة يوميا .

٤ ــ لا تتناول الشاى أو القهوة او الكولا الا بكميات محدودة .

٥ ــ لا تستعمل المنومات أو المهدئات او المخدرات .

٦ ــ في حال تغير الوردية اتبع نظام (Argonne) في الأكل ان أمكن .

٧ ــ اذا كنت تعاني من بعض الأمراض مثل القرحة أو السكري فحاول قدر الامكان أن تبتعد عن نظام الورديات .

هذا وان العلماء يحاولون تطوير نظام الورديات بشكل يجعل أثرها السلبي قليلا ، وقد وجدوا أن الوردية الصباحية والتى تتلوها الوردية المسائية ثم الليلية أسهل من الليلية ثم المسائية ثم الصباحية ، كما أظهرت بعض الأبحاث أن الورديات التي تتغير باستمرار كل أربع أيام كحد أقصى أقل أثرا من الورديات التي تستمر أسبوعاً ، الا أن الورديات التي تطول عن ثلاثة أسابيع هي أفضلها حيث يكون الانسان قد تأقلم وضبط ايقاعه لكنه يحتاج الى ثلاثة أسابيع أخرى ليتأقلم للوقت الجديد ، أما اذا استطاع أو رغب شخص أن يعمل في الليل باستمرار بدل النهار أو لعدد من الشهور فسيكون ذلك أفضل حيث أن كل شيء فيه أصبح ليليا وانتظمت ايقاعاته على هذا الأساس .

التخلف النفاث

سواء كنت من المسافرين دائما أو أحيانا لابد وأنك تعلم الآن بأن عبورك لمناطق زمنية مختلفة في ساعات قليلة لابد وأن يؤدى حتما الى ظهور مجموعة من العلامات والأعراض بسبب اللاتزامن الذي يحدث لمختلف ايقاعات الجسم . هذه الأعراض تظهر في شكل اضطراب في النوم وارهاق عام وشعور بالتوتر والضغط الداخلي مع عدم القدرة على التركيز والاحساس بأنك غير مرتبط بالمكان والزمان ، مع شعور بالغثيان بغض النظر عن كمية النوم ونوعه ، ويصاحب ذلك اضطراب في الجهاز الهضمي وفقدان للطعم مع امساك في معظم الحالات . وهذه جميعا تسمى (Jetlag) .

لكن هناك من الأمور ما يؤثر عليها تأثيرا مباشرا :

١ ــ السفر من الشرق الى الغرب أقل تأثيرا وأسرع في التأقلم والتكيف بالنسبة لمؤشرات الانتظام اليومى كالنوم والحرارة والهرمونات والعكس صحيح بالنسبة للمسافرين من الغرب الى الشرق . أما المسافرون من الشمال الى الجنوب أو العكس فان تأثرهم ضئيل جدا لأن ذلك لايستدعى عبور مناطق زمنية كثيرة .

٢ ــ استعمال المؤثرات الخارجية والضوابط الزمنية له دور كبير في تقليل الأثر فالانخراط في الحياة اليومية العادية والمشاركة الاجتماعية والانتظام في تناول الوجبات في أوقاتها حسب الوقت الجديد يقلل من آثار التخلف النفاث ويقصر من فترة التأقلم ، لذلك تجد أن السواح أسرع تأقلما من المرتبطين بأعمال معينة وأن الذين يقضون أكثر وقتهم في غرف الفنادق تطول لديهم فترة التأقلم عن الذين يقضون الوقت في الخارج .

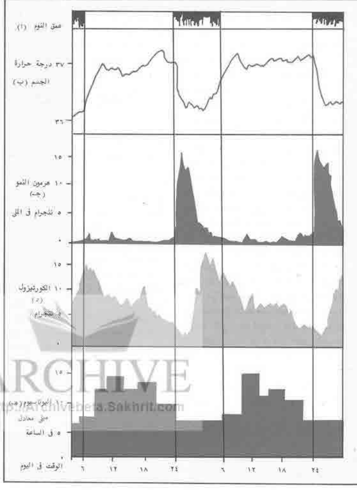
٣ ــ هناك ايضا عوامل أخرى لها أثر على الايقاعات لابد من وضعها في الاعتبار :

• عامل السن : كبار السن يعانون أكثر من أعراض التخلف النفاث وكذلك الأطفال الصغار .

• الأدوية والعقاقير : يتغير مفعول العقاقير بناء على ماقدمنا حسب الوقت الذي يتناولها فيه المسافر ، هذا وينصح بعدم استعمال الأدوية المنومة اذ انها قد تساعد على النوم ولكنها لاتؤثر على الأعراض الأخرى وينصح بالاستعاضة عنها بمحاولة النوم الطبيعي .

• كذلك الاجهاد وقلة النوم قبل السفر ، وهذا يحدث للكثير من المسافرين مضافا الى ذلك التوتر الناتج عن السفر لمسافات طويلة .

هناك الآن برنامج وضعه الدكتور شارلز اهرت (C. Ehret) من مختبر ارجون الوطني ويستعمل على نطاق واسع ومعروف



شكل (١) بعض التغييرات الفسيولوجية التي تحدث في جسم الانسان على مدار يومين متتالين ·

لدى شركات الطيران لمنع حدوث آثار التخلف النفاث وقد استعمله الجيش الامريكي بنجاح في مناورة النجم الساطع ومناوراتهم في المانيا ، اذ استطاع الجنود الامريكيون أن يقوموا بالمهمة والعودة دون أن يتأثروا بتغيير الوقت والشكل « ٣ » يبين باختصار فكرته التي تعتمد على صيام خفيف ثم افطار في اليوم الذي يليه ويكرر مرتين .

عند السفر في اتجاه الغرب مثلا من شيكاغو الى طوكيو أو من لندن الى لوس انجيلوس ، اتبع نفس البرنامج وفي يوم السفر تناول فطورا خفيفا مع زيادة من الشاى أو القهوة لانها لا تؤثر على الطور المتأخر ولا تأخذ بعد ذلك شيئا ، ثم تناول وجبة غذاء خفيفة ايضا في نفس اليوم . بعد ذلك وقبل الفطور في البلد الذي ستتجه اليه ، استرخ جيدا أو اذا كان من الممكن النوم فيفضل ذلك حتى ولو لمدة ساعة ، وهذا يعادل تقريبا الساعة الثالثة أو الرابعة توقيت لندن اذا كنت ذاهبا الى لوس انجيلوس ، وعندما يحين وقت الفطور في البلد المتجه اليه الذي يعادل تقريبا وجبة العشاء في الطائرة وفي البلد التي سافرت منها تناول وجبة عالية البروتين وعليك الاستمرار يقظا بعد ذلك محاولا استعمال كل الوسائل الاجتماعية للاستمرار في هذه الحالة ، وحين تصل هناك « لوس انجيلوس » ستكون الساعة قاربت الثالثة أو الرابعة ، وحتى تنهي معاملاتك وتذهب الى الفندق ؛ خذ بعد ذلك وجبة عالية النشويات وستكون الساعة آنذاك قد قاربت السابعة أو أكثر وسيكون الوقت مناسبا للنوم مبكرا . طبعا هذه الأشياء بالامكان ترتيبها بالاتصال بشركات الطيران في موعد سابق لإخبارهم عن نوع الطعام ووقته ولتسهيل مهمة ضبط الساعة البيولوجية وعمل موظفي الطائرة يفضل السفر في مجموعات تسير على نفس البرنامج أو السفر على خطوط تعرف عن هذا البرنامج وتقدمه .

وإذا كنت تود السفر شرقا من نيويورك الى لندن أو باريس مثلا وفي هذه الحال غالبية الطائرات تغادر في المساء ، فتذكر أن القهوة والشاي اذا أخذت منها مقدارا معقولا بين السادسة والحادية عشر مساء ستساعدك في التأثير على الطور المتقدم .

وعند السفر قدر ما هو وقت النوم الحقيقي في باريس أو لندن واسترسل في النوم عند ذلك الوقت ، بعد أن تطلب من المضيفة إيقاظك قبل تقديم وجبة الفطور . عند الاستيقاظ تحرك في الطائرة لفترة وتحدث مع الناس ان لم يكن معك مرافقون على نفس الرحلة ثم اطلب وجبة الفطور من النوع عالية البروتين « وجبة النشاط والحركة » وعند وصولك الى باريس لا تذهب الى السرير بل اندمج في الحياة اليومية وتناول وجبة غذاء بروتينية ثم عشاء من المواد النشوية وتوجه الى النوم مبكراً .

قد تكون هذه البرامج صعبة التنفيذ ولكنها ناجحة ومهمة لرجال الأعمال ، فلقد انتبهت الكثير من المؤسسات ومنها شركات الطيران الى مشاكل التخلف النفاث فاتخذت الكثير من الاحتياطات عند حضور الاجتماعات أو توقيع العقود أو عند وضع برنامج للمناوبات الليلية الذي يشبه تأثيره ما يحدثه السفر عبر المسافات الزمنية .

هذا الحقل من حقول المعرفة ينتشر بسرعة جدا ، وكلما توغل الباحثون فيه كلما وضعوا الكثير من النقاط على الحروف ونظموا الكثير من البرامج التي تسهل أعمالنا أو اسفارنا أو علاجنا .

عبدالله الباكر



طفل طائش مُضلّل

ابني البالغ من العمر ثماني سنوات، والمقيم معي في بلاد الانكليز منذ خمسة أعوام، لغته العربية شديدة القرب من اللغة الأرمنية، وهو ككل الصغار كثير الأسئلة.

وفي أثناء المشاجرة الليبية الاميركية، سألني ابني: «ما الحرية ؟».

فقلت له وأنا أشعر أني قطعة قماش بالية سوداء تجلل نعشا: «اسكت. أنا لا أحب التحدث عن الموتى».

فأثار جوابي فضوله، وكان سببا لأن يشيد حولي سورا خانقا من الأسئلة. ولكني لم أنطق بكلمة لثقتي بأن محادثته مضيعة للوقت، فهو ولد أفسدته المدارس الانكليزية، وعلمته أمورا وهمية طائشة، منها أن الانسان حر، وأن الحرية والقانون مقدسان، وأن لا أحد فوق القانون.

وفي مساء اليوم نفسه، شاهدت برنامجا ساخرا قدمه التلفزيون البريطاني، فاذا إحدى فقراته تقلد برنامجا تلفزيونيا آخر اسمه (رجل واحد وكلبه). وهو برنامج يتحدث عادة عن رعاة انكليز وكلابهم، والراعي الناجح هو الذي يمتلك كلبا أكثر طاعة لأوامره.

وفي البرنامج الساخر، كان الراعي هو الرئيس الاميركي، وكان الكلب الشديد الطاعة هو رئيسة وزراء بريطانيا، فازددت ايمانا بما قلته لابني عن الحرية العربية.

عصا النقد العمياء

كاتب ما من كتاب القصة القصيرة، كان لايترك فرصة تسنح له إلاّ واغتنمها للتحدث بسوء عن النقد والنقاد.

ناقشته يوما، وقلت له ناصحا: «أنت مخطىء. الحياة الأدبية من غير نقاد تصبح كسفينة بلا أشرعة، ومعرضة كل لحظة للارتطام بالصخور والتحطم».

قال كاتب القصة: «أنا مؤيد لكلامك وموافق عليه، ولكنك تتجاهل أن معظم النقاد حاليا هم لايشبهون الأشرعة بل يشبهون عصا غليظة حمقاء، تضرب المبدع وتحمي التافه وتدافع عنه».

قلت: «النهر ذو الماء العذب لايضيره أن يعيش فيه ضفدع. ومن المستحسن التذكر دائما ان هناك نقادا جادين أكاديميين...».

فقاطعني كاتب القصة قائلا: «لاتذكرني بهم ولا بكيت ولطمت الخدود ومزقت الثياب. إنهم كمتسولين يركبون سيارات رولزرويس».

فقلت وأنا أبتسم بخبث: «لابد من أن أحدهم وجه الى قصصك نقدا موجعا لاينسى».

قال كاتب القصة: «من كتب منهم عني لم يهاجمني بل امتدحني».

قلت: «غريب أمرك! هل كنت تريد أن يهاجمك لترضى؟».

قال كاتب القصة: «سأحكي لك عن تجربتي مع واحد من هؤلاء النقاد الأكاديميين».

قلت: «احك فليس لنا في الحياة سوى الحكي والانصات للحكي».

قال كاتب القصة: «إنه أستاذ جامعي نال لقب دكتور في الآداب من جامعة غربية، وتسميه الصحف مربي أجيال، ولا يستطيع أحد في الأوساط الجامعية أن يذكر اسمه إلاّ اذا كان متوضئا. وقد أصدر يوماً كتاباً نقدياً ضخم الحجم عن القصة العربية، وتحدث فيه عن أحد كتبي، واستعرض قصصه قصة قصة، وتناول كل قصة بالعرض والتحليل والتقويم، وذكر اسم قصة معينة، وأسهب في الحديث عن أحداثها وشخوصها ومضمونها الفكري وشكلها الفني. ولما قابلته، قلت بتهذيب إن تلك القصة ليست منشورة في كتابي الذي هو موضوع نقده، ولا في أي كتاب من كتبي الأخرى إنما اكتفيت بنشرها في احدى المجلات، فإذْ ما قلته هو الخطأ المميت، وأصبحت منذ تلك اللحظة عدوه المطلوب حيا أو ميتا».

فقلت: «أنت فعلا قد ارتكبت الخطأ المميت».

قال كاتب القصة: «كيف؟».

قلت: «احتراما للنقد الأكاديمي، كان ينبغي لك أنّ تكذب حقائق كتابك وتصدق باطل الناقد».

الكواكبي الجديد

يخيل الي أن حقيّ في النوم تكفله الدساتير كافة وبمختلف اللغات، ولذا فقد استسلمت باطمئنان للنوم العميق، وقابلت آنذاك المفكر المشهور عبد الرحمن الكواكبي، فاذا هو يعمل بائعا للسجائر.

ابتهجت بلقائه، وقلت له: «أنا جد فخور بلقائك».

قال عبد الرحمن الكواكبي مستغربا: «ولماذا هذا الفخر وما الداعي اليه؟».

قلت: «وكيف لا أفخر اذا كنت الآن



أقابل الرجل الذي قال في كتاب : من كتبه إن المستبد انسان ، والانسان أكثر ما يألف الغنم والكلاب ، فالمستبد يودّ أن تكون رعيته كالغنم دوراً وطاعة ، وكالكلاب تذللاً وتملقاً ؟ ما رأيك اليوم فيما قلته قديما ؟ » .

فتطلع عبد الرحمن الكواكبي فيما حوله بنظرات زائغة مفعمة بفزع أثار دهشتي ، ثم قال متجهم الوجه : « لا أعرف شيئاً مما قلته ، ولم أؤلف أي كتاب ، وأنا أميّ ، ولدي وثائق رسمية تثبت أني أميّ » .

قلت : « أنت تمزح بلاشك ، فأنت الذي قال : لقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم ، والاستبداد قلب الموضوع ، فجعل الرعية خادمة للرعاة » .

فحدق اليّ عبد الرحمن الكواكبي باستياء لا مبرر له ، فتابعت الكلام ، متسائلا : « أنسيت انك أنت الذي قال أيضا : إن رجال عهد الاستبداد لا أخلاق لهم ولا حمية ، ولا يرجى منهم خير مطلقا ، وان كل ما يتظاهرون به أحيانا من التذمر والتألم يقصدون به تغرير الأمة وخداعها ؟ » .

فقال عبد الرحمن الكواكبي : « أنا لم أقل مثل هذا الكلام التافه » .

فقلت له : « أولست الذي قال : إن خوف المستبد من نقمة رعيته أكثر من خوفهم بأسه لأن خوف المستبد ينشأ عن علم ، وخوف الرعية ينشأ عن جهل ؟ » .

قال عبد الرحمن الكواكبي : « هذه آراء مبتذلة لاتمت اليّ بصلة » .

فقلت : « ولكن تلك الآراء منشورة في كتب مطبوعة تحمل اسمك » .

قال عبد الرحمن الكواكبي : « اذا كانت هذه الكتب موجودة فعلا كما تدعي ، فهي ملفقة ، ومن صنع خصومي ، وهي ليست سوى وسيلة قذرة من وسائل محاربتهم لي » .

فحاولت مناقشته ، ولكنه قال بغضب ووعيد : « اسمع . اذا كنت ترغب في شراء سجائر فلدي جميع الأنواع وبأسعار لاتنافس ، أما اذا كنت تريد الثرثرة فقط واضاعة وقتي فمن الأفضل الابتعاد عني بسرعة قبل أن أجعل خنجرى يأكل من لحمك » .

فابتعدت عنه راكضا كأني أرنب وجد نفسه بغتة محاطا بأسوار من بنادق الصيادين ، ولم أحاول بعد استيقاظي من النوم أن أعلم الأسباب التي أدت الى تبدل عبد الرحمن الكواكبي ، فالنهار يليه ليل ، وصانعو الظلمة من ذوي البأس .

تراثنا الجليل

أمسكت كتاباً من كتب التراث العربي ، وفتحته على صفحة معينة ، وقلت لصديقي : « مادمت تتذمر من زوجتك ، فسأقرأ عليك ما قاله اعرابي في وصف زوجته » .

قال صديقي بلهفة : « اقرأ اقرأ لأقارن بين الزوجات قديما وحديثا » .

وابتدأت أقرأ في الكتاب وصف الاعرابي لزوجته : « نحيفة الجسم ، قليلة اللحم ، كثيرة الشحم . معراض ، سلطة ، بطرة ، نفرة . سريعة الوثبة كأن لسانها حربة . تضحك من غير عجب ، وتبكي من غير سبب . منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد . تدفن الحسنات ، وتفشي السيئات . تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان . ليس في قلبها عليه رأفة ، ولا عليها منه مخافة . كثيرة الدعاء ، قليلة الارعاء . تأكل لمّاً ، وتوسع ذماً . ضيقة الباع ، مهتوكة القناع . صبيها مهزول ، وبيتها مزبول . اذا حدثت تشير بالأصابع ، بادية من حجابها ، نباحة عند بابها . تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة .... » .

فصاح صديقي مقاطعا : « لا تكمل القراءة . لقد خدعت شرّ خدعة » .

قلت بدهشة : « ومن خدعك ؟ » .

قال : « زوجتي خدعتني . هذا الاعرابي يصف زوجتي نفسها ، ولا بد من أنه كان زوجا لها » .

قلت : « اهدأ وحكم عقلك . كيف يكون هذا الاعرابي زوجا لها وهو كان يعيش قبل أكثر من ألف سنة ؟ » .

قال : « أنا لا ألومك اذا كذبت بسبب حرصك على ألا تخرب بيتي ، ولكني سأخربه » .

وغادر صديقي بيتي شديد الغضب ، وعلمت فيما بعد أنه طلق زوجته ، وعاش حتى موته حرا ضاحك الوجه والقلب .

وما جرى لصديقي يكشف ضلال المعادين للتراث ، والزاعمين أنه غير نافع لبني البشر في العصر الحديث .

قصتي مع الطيران

"صقر الخليج" يحكي أسرار رحلته المثيرة حول العالم ويكشف عن جوانب جديدة في حياته

تحقيق: السيد حجازي

فجأة أصبح حديث العالم بعد أن حقق المعجزة، ودار حول العالم بطائرته الخاصة محققا رقما قياسيا عالميا.

ولقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يتجاسر فيها «عربى» ويقوم بهذا العمل الجرىء.

فقد كانت هذه المغامرة وقفا على «الخواجات» الأجانب..

ومن هنا تابع الجميع رحلته بكل اعجاب وتقدير.. وبكل أمنيات التوفيق والنجاح والتقدم..

وحطم «صقر الخليج» الأسطورة، وكانت كل القلوب معه، تحوطه، وهو يقوم بكل خطوة من خطوات رحلته الموفقة..

وأصبح الشيخ «حمد بن على بن جبر آل ثانى» حديث الناس، ومصدر فخر لكل الأسر، ونموذجاً يجب أن يحتذيه الشباب..

مع «صقر الخليج» دار حديثى معه حول قصته مع الطيران، متى بدأت، وكيف، ولماذا الطيران بالذات..

مع «صقر الخليج» قررت أن أغوص فى أعماق حياته، وفى أعماق تفكيره، لأنقل صورة حية عن نموذج «فريد» من الشباب..

فماذا كانت نتيجة هذه الجولة الفكرية الحية معه.. مع الشيخ حمد بن على بن جبر آل ثانى؟!..



الشيخ حمد بن علي بن جبر آل ثاني



كنت منذ صغرى أحب الطيران..

وكنت أصر وأنا مازلت فى الخامسة من عمرى على أن أتردد على المطار. وكانت المربية الخاصة بى تلبى دائما هذه الرغبة. وكانت تنتظرنى هى والسائق وأنا أقضى بعد الوقت داخل المطار.. أجلس تحت برج المراقبة، حيث توجد بركة من الماء مازالت موجودة حتى الآن. وأظل أراقب الطائرات وهى قادمة، ثم وهى تتحرك وهى مقلعة إلى مختلف بلاد العالم..

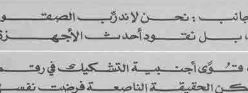
هكذا بدأ الشيخ «حمد» حديثه معى، واستمر يحكى عن هذه الهواية التى تملكت منه وهو مازال فى سنوات الطفولة الغضة..

ــ كنت إذا سمعت صوت طائرة فى الجو وهى تمر من فوق بيتنا، لا أطيق الاستمرار فى مكانى، وأحدث «جوا» من الازعاج داخل البيت، حتى يسمح لى بالذهاب إلى المطار، لأشاهد الطائرة وهى تنزل إلى أرض المطار.. ثم وهى تعمل..

هواية.. وموهبة

كانت هواية لا أدرى لها سببا..

إنها من تلك الهوايات التى تخلق مع



■ تقول للأجانب : نحن لا ندرّب الصقور فحسب ، بل نقود أحدث الأجهزة !

■ حاولت قوى أجنبية التشكيك في رقمي القياسي .. لكن الحقيقة الناصعة فرضت نفسها



الانسان ، كالمواهب التي يغرسها الله سبحانه وتعالى في نفوس الكثيرين من عباده ..

ولقد كانت هذه هي موهبتي التي تفجرت في نفسي منذ الصغر ..

وكانت بالفعل هواية غريبة في تلك السن .

ولكن ماذا أفعل وقد كان حبها قد استولى على كل كياني ؟ .. ماذا أفعل وأنا لا أجد طعما للحياة بدونها ؟ ..

وهكذا وبدون أي قصد من جانبي أخذت أقبل على شراء كل الألعاب التي تأخذ شكل الطائرات ، ولا شيء غيرها ..

لم يكن : يستهويني أي نوع من لعب الأطفال سواها ..

ولقد لاحظ الوالد العزيز ذلك منذ البداية ، وأخذ يشجعني عليه ، بل ويشترى لي المزيد من هذه اللعب التي على شكل الطائرات .

« لكن ياشيخ حمد ألم تعكس هذه الهواية في تلك السن الصغيرة رغبتك الدفينة في أن تصبح طياراً ، وهل كانت هناك موافقة على أن تكون هذا الطيار ؟ » .

هكذا قطعت عليه الاسترسال بهذا السؤال ، وبابتسامته الرائعة الهادئة ، أجاب قائلا :

ــ في الحقيقة لم يكن أحد يظن في تلك الفترة ، ولمجرد اهتمامي بلعب الطائرات ، وذهابي إلى المطار بشكل مستمر ، أنني سأصبح طياراً ..

كان الأمر حتى ذلك الوقت يدخل في باب الهوايات ، ومجرد رغبة من رغبات الطفولة البريئة ..

لكن بدأت الصورة تأخذ مساراً آخر بعد أن وصلت إلى مرحلة الدراسة الثانوية .

كنت في مدرسة الدوحة الثانوية ، وفي أحد الصفوف المقابلة للمطار ..

وكان هذا يجعلني دائم السرحان أثناء ساعات الدرس ، فالطائرات دائما تشد انتباهي ، وتستولي على كل تفكيري .

لكن لا تظن أنني كنت طالبا مهملا في دروسي ..

بالعكس ..

لقد كنت متفوقاً ..

لكن كانت الهواية تزداد معي وتكبر ، وتولدت لدى الرغبة الجارفة في أن أصبح طياراً ، بعد الحصول على الثانوية ..

لكن هنا بدأت العقبة ..

لقد ووجهت بمعارضة من الأهل ..

وفعلا ورغبة مني في ارضائهم اخترت دراسة الهندسة .

معارضة الأهل

وإلى الولايات المتحدة الأمريكية سافرت من أجل هذا الغرض ، حيث كان استقراري في مدينة دنفر بولاية كلورادو ..

ومرت السنة الأولى .. وكانت لدراسة اللغة الانجليزية ، وكانت السنة الثانية هي بدايات الدخول في دراسة الهندسة ..

كنت قد قررت أن أمضي في دراسة الهندسة ، فهي فرع علمي كبير ، لكن كانت الهواية داخل نفسي تزداد نحو الطيران ..

ولذلك ما أن عدت إلى الدوحة في عطلة رأس السنة في بداية عام ١٩٧٩ ، حتى فاتحت الأهل من جديد في رغبتي في دراسة الطيران الذي استولى حبه على كل كياني ..

وفي هذه المرة وجدت تشجيعا كبيرا من السيد الوالد ..

كما شجعني المسؤولون في وزارة التربية على المضي في دراسة الطيران ، مادامت هذه هي رغبتي الأكيدة ..

وعدت إلى أمريكا مرة أخرى لتبدأ صفحة جديدة في حياتي ..

وهنا سألت الشيخ « حمد » الذي وضح من حديثه « إصراره » على دراسة الطيران ، وإقناعه الأهل بذلك بطريقة هادئة ، وموصلة للهدف ، هنا سألته عن كلية الطيران التي درس فيها ، كيف تسير الدراسة فيها ..

وأجابني الشيخ « حمد » وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح ، ويسترجع أحلى الذكريات ، قائلا :

ــ تقع هذه الكلية الخاصة بالطيران في ولاية كليفورنيا ، وفي وادي يسمى وادي نابا ، وهو مشهور بكثرة مزارع العنب ..

هذه الكلية تدرب مثلا كل سنة ١٥٠ طياراً تابعين للخطوط الجوية اليابانية ..

وهذا مجرد مثل من أمثلة نشاطها في هذا المضمار الحيوي الهام ..

وقد استقبلت في ذلك العام (١٩٧٩) ضمن طلبتها مجموعة من شركة طيران الخليج ، بالاضافة إلى وجودي معهم أنا وزميل الدراسة فريد المطوع ، وهو يعمل الآن طياراً في شركة طيران الخليج ..

واختصرت المدة

كنت أنا و« فريد » مبعوثين من قبل وزارة التربية لدراسة الطيران ..

ولقد كانت الدراسة في هذه المدرسة تستمر لمدة سنتين ونصف السنة ..

لكنني استطعت اختصار هذه المدة ..

وكان سبيلي إلى ذلك العمل المتواصل كل يوم ، وبالنهار والليل ، وخلال أيام العطلات ..

لهذا تمكنت من اختصار مدة البرنامج الدراسي إلى سنة واحدة فقط ..

وكانت الدراسة ذات جانب نظري وهو ضروري وهام ..

لكن إلى جانبه كانت هناك الدراسات العملية ..

وقد تركزت هذه الدراسات في التدريب على أجهزة « المحاكي » أو « السميلتر » ثم بعد ذلك بدأت التدريبات على قيادة الطائرات المروحية الصغيرة ، ذات المحرك وذات المحركين ..

وانتقلنا بعد هذا النوع من الطائرات إلى ما يسمى بالمرحلة التحويلية من المروحية إلى النفاثة ..

ولقد تدربت على طائرة فرنسية الصنع هي « فولكن ٢٠ » .

ثم انتقلنا بعدها إلى حيث شركة البوينج بمدينة سياتل على الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية ، وتدربنا نظريا وعمليا على طائرة ٧٠٧ ..

قصتي مع الطيران



وأصبحت بعد هذه الدراسة طياراً مؤهلا معترفا به ، وحققت حلم حياتي الذي استولى على تفكيري منذ الصغر..

وهنا عدت أسأل الشيخ «حمد» عن فصل جديد من فصول قصته مع الطيران ، بعد أن أصبح بالفعل طياراً ، كيف سارت به الحياة بعد ذلك.

وابتسم : صقر الخليج نفس الابتسامة الوديعة ، وأخذ يحكي بأسلوبه البسيط ، غير المتكلف :

ـ بعد التخرج حولت إلى شركة طيران الخليج ، وكانت بدايتي فيها مع طائرة تليستار ، ومن أجلها بعثت إلى مدينة هونج كونج ، حيث شركة الكاثي باسفيك ، لأخذ المعلومات النظرية والعملية عن هذه الطائرة.. وكانت مدة البعثة ثلاثة شهور. بعدها بعثت من أجل الغرض نفسه الى شركة «بريتش ايرويز». ثم زاولت العمل كطيار في شركة طيران الخليج لمدة سنة .

ثلاثة أيام

ويصمت الشيخ «حمد» برهة ثم يعاود حديثه قائلا :

ـ وبعد هذه المدة القصيرة وللظروف التي كانت تمر بها الشركة في ذلك الوقت ، فضلت ترك العمل فيها ، واستلمت عملي في إدارة الطيران المدني في عام ١٩٨٢ ، حيث أتولى مسئولية وكيل الإدارة..

والحقيقة أن هذا لا يعني اطلاقا أنني قد ابتعدت عن عملي الأساسي ، وهوايتي الأصلية ، وهي الطيران..

أبدا..

إنني وخلال عملي في إدارة الطيران المدني أزاول الطيران في شركة طيران الخليج لمدة ثلاثة أيام ، قائدا للطائرة ٧٣٧ على جميع الخطوط التي تعمل عليها هذه الطائرة..

وهذا العمل في حد ذاته يمنحني خبرة لا بأس بها

لكنه في نفس الوقت يعطيني أفكاراً متجددة باستمرار عن المطارات التي أزورها ، والأجهزة الحديثة فيها..

وهذا في رأيي ضرورة لكل طيار..

فالعلم لا يتوقف في هذا المجال الهام ، ولابد من الالمام بكل جديد فيه ، حتى يمكن مسايرة العصر ، وملاحقة أحداثه المتلاحقة..

• لكن ياشيخ «حمد» كيف بدأ تفكيرك في رحلتك المثيرة حول العالم ، ومتى وكيف اتخذت قرار التنفيذ الجريء والشجاع ؟..

وكأنه كان ينتظر مني هذا السؤال ، فقد استرسل «صقر الخليج» في حديثه المتدفق ، وهو يقول :

ـ كانت بداية التفكير في الرحلة في الواقع منذ سنتين..

كان كل شيء في حياتي كطيار يسير سيرا عاديا ، أطير بالطائرة البوينج ، وليس هناك جديد يذكر..

لهذا فكرت في نوع جديد من «التحدي» لم يقم به غيري..

ولكن الفكرة «نامت» فترة ، بحيث لم تر النور ، لكنها عادت وبإلحاح شديد على ذهني ، عندما وصلت للولايات المتحدة الأمريكية للدراسة النظرية في مجال الادارة بالنسبة للطيران والمطارات..

كفاءة العربي

كانت في الحقيقة مسألة «تحدى».. وازداد التحدي في نفسي وكبر..

وكانت الدوافع كثيرة وعديدة..

فبالاضافة إلى رغبتي الشخصية في أن أكون أول عربي يقوم بهذه الرحلة ، كانت هناك رغبة أخرى في إثبات كفاءة العربي في هذا المجال الهام..

إذ أن الكثيرين في الخارج لا تتوفر لديهم هذه الثقة في كفاءة الطيار العربي..

وكان جهدي في هذا المجال جهدا فرديا خاصا..

قمت بالتخطيط بنفسي ، واشتريت الطائرة على حسابي الخاص ، وكنت أقوم بكل متطلبات الرحلة وأنا أستعد لامتحانات في أمريكا بعد الدراسة الأخيرة ، دون أن ألقى مساعدة من أحد..

وتوكلت على الله وتجاوزت كل الظروف الصعبة ، ونجحت رحلتي نجاحاً ملأني بالفخر كعربي ، وحملني مسئولية أن أكون دائما على مستوى الأعمال الكبيرة والمؤثرة..

وأسأله ، والحديث مازال متصلا بيننا عن الرحلة ، عما قيل من دعايات مغرضة عن رقمه القياسي ، ورقم ذلك الطيار الاسترالي الذي سجله من قبل ، والملابسات التي جرت حول هذا الموضوع..

ويحكي الشيخ «حمد» صقر الخليج ، الحقيقة بكل وضوح وثقة :

ـ لقد سجل هذا الطيار الاسترالي رقما باسمه في عام ١٩٧١ هو الدوران حول العالم في مدة ١٢٥ ساعة . هذا هو رقمه . وأي طيار آخر يريد أن يتفوق عليه لابد أن يسجل رقما أقل منه ولو بواحد في المائة..

ولقد استطعت والحمد لله أن أسجل رقما جديداً هو ١٢٤ ساعة و٥٧ دقيقة وبذلك حطمت رقم الطيار الاسترالي وحققت رقما قياسيا جديداً..

لكن ولأجل التشكيك في قدرة العربي ظهرت «ملابسات» سرعان ما تبددت سحبها أمام شمس الحقيقة الواضحة..

لقد اتفقت معي الجهة المسؤولة عن تنظيم

مثل هذه الرحلات وهى : ناشيونال ايرناتك أسوسييشن ، فى واشنطن ، وهى تابعة لجهة أخرى فى فرنسا ، على أن مدة الرحلة تبلغ ستين يوما من البداية إلى النهاية .. ويمكن أن يزاد عليها ثلاثون يوما أخرى ..

لكنها حاولت بعد نجاح الرحلة فى مدة أقصر أن تلغى هذا الاتفاق ، بل وتقول إن المدة المفروضة هى خمسة أيام فقط !

شهـــادة تقدير

إلى هذا الحد يحاولون التشكيك فى قدرة العربى ..

لكن أمام النجاح الذى حققته عادت وسجلت هذا الكلام ، بل واعترفت أن الطيار الاسترالى لم يكن بمفرده ، بل كان معه طيار آخر ..

بل واعترفت أيضا أن طائرتى التى قدتها حول العالم كانت أقل قوة من هذا النوع الذى يطير حول العالم ..

وكانت كل هذه شهادات تقدير وفخر لى ولكل عربى ..

فلابد فى النهاية من انتصار الحق ..

ويمتد الحديث بينى وبين صقر الخليج دون ملل ، ويستمر جلسة أخرى ، فأعود أسأله :

• فيم كنت تفكر بصراحة وأنت تقود طائرتك بمفردك حول العالم ؟

ويجيب ..

ــ صدقنى إذا قلت لك إننى لم أكن أفكر فى شىء إلا الهدف من هذه الرحلة ، وهو إكمالها بسلام ، حتى تكون دافعا للجيل الجديد من الشباب الخليجى والعربى لحب الطيران ، وزوال خوفه من الطيران ..

فليس من المعقول أن يقال دائما إن الأجانب هم الذين يزاولون هذه الأعمال يقصدون بذلك الطيران وغيره ..

إن الشباب العربى قادر عليها .. وهو يستطيع أن ينافس فى مجال الطيران ، ويتفوق ، وهذا المجال ، والكلام موجه لكل شاب ، يمثل مهنة من أجمل المهن وأحبها إلى النفس ، بشرط أن يقبل عليها الانسان بشغف وحب وهواية ، وأن يدرس كل شىء فى مجالها دراسة علمية متكاملة ..

• ومن هو الطيار الذى أثار انتباهك ولفت نظرك وكان محل اعجابك ، بل وكان مثلك الأعلى ؟

ــ فى الحقيقة أن تركيزى دائما هو على الطائرة لا الطيار . فمنذ أن بدأت معى الهواية وأنا أحاول الوصول إلى كنه الطائرة ، وكيف يمكن قيادتها ، والتفوق فى التدريب عليها ، وهكذا ..

ولم يكن هناك انبهار من جانبى بأى طيار ..

لكن بلا شك أحمل معزة خاصة لكثيرين منهم ، ويلفت نظرى ويستولى على احترامى دائما الكابتن محمد القاضى من دولة البحرين ، فهو من أمهر الطيارين فى شركة طيران الخليج ..

يجوز مستقبلا

• وهل يمكن أن تصبح الطائرة فى رأيك فى متناول الجميع مثل السيارة ؟

ــ يجوز أن يحدث ذلك مستقبلا . لكن الآن وفى مجتمعاتنا العربية فإن ذلك يبدو صعبا ومستحيلا لظروف كثيرة .. لكن فى الكويت على سبيل المثال بدأ نظام الطائرة « الايرباص » ، لخدمة رجال الأعمال فى أى وقت .. وفى الدول الأجنبية فإن الطائرة فى متناول أى شخص يستطيع أن يدفع ثمنها ، أو يؤجرها .. وقد يصبح ذلك فى مجتمعاتنا أمرا عاديا .. من يدرى ..

لكن ألا يمارس « صقر الخليج » هواية أخرى إلى جانب هوايته الكبيرة الطيران ؟

ــ فى الحقيقة أنا أحب التصوير إلى درجة كبيرة ، ولى محاولات فى مجاله لا بأس بها ، وحتى لا تسألنى ماذا أصور ، فأنا أجيبك بسرعة إن لدى مجموعات من صور الطائرات والطيور ، والورود ، من انتاجى الخاص ..

• وكيف رأيت وترى الشباب العربى فى الخارج من خلال ترددك على دول العالم ؟

ــ بخير والحمد لله . صحيح أن هناك نوعيات غير مكترثة بالدراسة ، وأخرى متهورة ، لكنها فى الحقيقة قليلة إذا ما قيست



بالنوعيات الأخرى المجتهدة ، والمثابرة ، والراغبة فى المعرفة ، والمتفوقة ، والمشرفة أيضا ..

• وما رأيك فى إقبال البعض من شبابنا العربى على الزواج من أجنبيات ؟

ــ هذه فى الحقيقة تجربة فاشلة . فقد يندفع الشاب فى البداية إلى هذه الخطوة وهو مبهور بما قد يسمى بهجة الحب الأولى . لكن بعد زوال هذه البهجة تتحول الحياة بين الطرفين إلى جحيم . إذ يصبح هناك تنافر مؤكد ؛ ولا يجمع بينهما سوى الأطفال ، ويكون المصير المؤلم هو الطلاق . فلا شىء يمكن أن يعزز استمرار العشرة والألفة والمحبة بين الطرفين : لا الديانة ، ولا العادات والتقاليد ولا أى شىء آخر ..

• وهل يعنى ذلك فى رأيك أن الحب قبل الزواج لا يدوم ؟

ــ ليست هذه قاعدة فى كل الحالات ، لكن فى رأيى أن الحب الأول ينتهى بسرعة ، والحب بعد الزواج يطول ، وهو أقوى ، وأبقى ..

• وماذا عن عمل المرأة فى رأى صقر الخليج ؟

ــ المرأة يجب أن تعمل . ولقد كانت المرأة ، وهذا ثابت من خلال تاريخنا الاسلامى ، هى معلمة النشء ، ومربية الرجال . لكن هذا لا يعنى أن تنافس المرأة الرجل فى المجالات العسكرية وغيرها . إن هناك أعمالا يكون عطاء المرأة فيها كبيرا وعميقا مثل التعليم والتمريض وغيرها ..

• وماذا عن عطاء المرأة فى الطيران ، هل يمكنها أن تكون طيارة ناجحة ؟

ــ فى الحرب العالمية الثانية كانت المرأة الأوروبية تقف وراء تصنيع الطائرات . ولكننى لا أومن بأن تركب المرأة طائرة وأن تصبح محاربة . بل إننى لا أشجع أن تكون المرأة طيارة عادية ، رغم أنه توجد فى شركة عالية الأردنية ثلاث طيارات عربيات على أعلى مستوى !

• وأولادك فى المستقبل ياشيخ حمد .. كيف تحب أن تراهم ؟

ــ بودى أن أراهم طيارين متفوقين . لكننى مع ذلك سأترك لكل واحد منهم إن شاء الله أن يختار طريقه بنفسه ، حسبما لظروفه ..

• أخيرا ماذا تقول ياشيخ حمد للأجانب الذين ينظرون الينا كعرب نظرة قاصرة ؟

ــ اننا لا ندرب الصقور فحسب ، بل نقود أحدثها أجهزة !

السيد حجازى

الجمـــال العاقـــل

التقينا من قبل على هذه الصفحات حول نشأة وتطور الفن الانجليزي الذي تتصل جذوره الى فناني قبائل (الكلت)، وهذه القبائل هي التي أغارت من موطنها الأصلي في شمال فرنسا، على الجزيرة المقابلة .. منذ زمن سحيق ومن اسم (بريتاني) وهي المقاطعة التي كانت موطن قبائل الكلت في فرنسا، أطلق على الجزيرة منذ ذلك الحين اسم «بريطانيا».

ثم ضم الرومان هذه الجزيرة وتوابعها لأملاكهم. وظلت تحت سيطرتهم حتى أغارت عليها قبائل من الانجليز والسكسون والجوت، وكانت تسكن مايعرف الآن بألمانيا، وبهذا أخذت اسمها المعروف «إنجلاند» وفي أواخر القرن السادس الميلادي (عام ٥٩٧) ظهر راهب يدعي (أوجستين)، نشر الدين المسيحي بين هذه القبائل التي تناحرت وتنازعت فيما بينها، حتى تحولت البلاد إلى مناطق متصارعة لاتعرف الاستقرار أو الاتحاد. وظلت الأحوال على هذا المنوال من الحروب والقلاقل، حتى تولت أسرة تيودور التي أنشأت التاريخ الانجليزي الحديث، وتولى مؤسسها «ريشموند» الحكم تحت اسم «هنري السابع»، ومما ساعده على تثبيت دعائم الحكم ووحدة البلاد، زواجه بالأميرة (اليزابيث) سليلة أسرة يورك العريقة التي حكمت انجلترا في القرن الخامس عشر.

ومضى التصوير الانجليزي يركز خلال القرون الوسطى على خدمة الكنيسة الكاثوليكية، فيقدم للمباني الدينية أجمل اللوحات المستوحاة من حياة المسيح عليه السلام، كما أضفت على الحياة الانجليزية داخل البيت جواً دينياً من الرسوم والزخارف التي كان الفنانون يرسمونها بروح كنسية ميزت طابع العصر آنذاك. وما أن حل المذهب البروستانتي محل الكاثوليكي، حتى أصبح الفنانون مهددين في أعمالهم وإبداعاتهم وأرزاقهم، فقد وقف رجال الدين الكاثوليكيون موقفاً عدائياً من الفن والفنانين.. وحرم مثل هذه الأعمال من منحوتات وصور في الكنائس والمرافق الدينية..

وكان هذا الموقف بين رجال الدين والفنانين هو السبب الأساسي في تحول وجهة النظر الابداعية إلى مصادر إلهام شيقة أخرى غير القصص الديني وخدمة الكنيسة واتجه الفنانون إلى الطبيعة ومافيها من مناظر موحية، وإلى الشخصيات البارزة في مجتمعهم — من ملوك وأمراء ونبلاء وأثرياء — يرسمون صورهم ويخلدونهم في لوحات فنية تجوب المعارض والمتاحف.. ولتستقر في صفحات التاريخ.

وقد لاقى الفنانون الانجليز نفوراً وإعراضاً من المجتمع في أول الأمر. حيث أن الانجليزي بطبعه لم يتفاعل مع الفن إلاّ إذا كان نافعاً له نفعاً مباشراً في حياته اليومية، أي أن الانجليز يفضلون الفنون التطبيقية الذهنية عن الابداعات الوجدانية.. ولكن القرن الثامن عشر شهد تحولاً هاماً في النهضة الفنية الحديثة بفضل ظهور بعض الفنانين الأفذاذ من أمثال هوجارث (وهو رائد النزعة الفنية الاجتماعية)، ثم فناننا رينولدز الذي أطلق عليه: أستاذ الطابع القومي في الفن الانجليزي. ولاشك أن انجلترا تفخر عن جدارة بهذا الفنان الموهوب (رينولدز ١٧٢٧ — ١٧٩٢)، الذي استطاع أن ينهض بتصوير الأشخاص Portraits حتى وصل بهذا الفن الرفيع إلى القمة، وتفوق فيه على كبار المصورين الأجانب الذين كانوا يفدون على ملوك انجلترا وعظمائها لرسم صورهم وتزيين قصورهم. كما استطاع رينولدز بفضل صفاته الذاتية من ثقافة، وسعة اطلاع، وخلق رفيع، أن يتقلد منصب عميد المجمع الملكي للفنون بلندن، وأن يهز التقاليد العريقة في مجتمعه، تلك التقاليد المحافظة التي طالما وقفت حائلاً بين الشعب وممارسة اقتناء الفنون الجميلة.

وقد جاء بعد رينولدز كثير من العباقرة الذين أثروا الحياة الفنية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.. إلا أن رينولدز كان أستاذ هؤلاء الأساتذة. وكانت كلمته أو شهادته عن فنان أو عن عمل فني بذاته، بمثابة الحكم والمرجع والميثاق.. ويكفي أن يقال: إن رينولدز رأى.. أو أنه أشار بكذا.. ويذكر قراؤنا أننا عندما استعرضنا من قبل الفنان الانجليزي (لورانس): وجدنا أنه قد بنى شهرته ودعم مجده الفني بشهادة من رينولدز. يقول: بأن أعماله قمم فنية خالدة! ولم تتوقف أمجاد رينولدز الفنية على براعته التشكيلية فحسب، ولكن التاريخ يسجل له أنه أول من فصّل معنى (الفنون الجميلة)، وفرّق بينها وبين الفنون التطبيقية، ولأول مرة تضم (الأكاديمية الملكية البريطانية للفنون الجميلة) الأقسام الثلاثة التي اصطلح على أن تسمى بالفنون الجميلة وهي: الرسم والنحت والعمارة.. ولذلك استحق عن جدارة أن يصبح: السير جوشوا رينولدز.. فنان التاريخ العظيم.

وعلى الصفحة المقابلة، نرى إحدى روائع رينولدز التي اسماها: المفكرة.. وهي صورة للسيدة براديل.. وقد خص فناننا أسرة براديل بالعديد من اللوحات، كانت هذه اللوحة من أبدعها فناً وأكثرها تصويرا للجمال العاقل.

ج - ق



شعر:
درويش مصطفى الفار



يا حادىَ العيسِ من طابا الى الثَّمَدِ
دعِ الملامَ ولا تَعْتِبْ على أحَدِ
واحْذَرْ مَغَبَّةَ أقوالٍ بلا عمل
وكُنْ صَدُوقا ، فلا تَنْقُصْ ، ولا تَزِدِ
فالقوم فى التِّيه صُمٌّ لا حَرَاكَ بهم
عَمُوا ، عَجِبْت ، وما بالعَيْنِ من رَمَدِ
هانوا على الناس حتى صار سامِرُنا
غُثَاء سيلٍ وكم للسيلِ من زَبَدِ
يا مجلسَ الأمنِ سَحْبانُ مَنابِرُهُ
تَنُوءُ بالشَّجْبِ والتَّنديدِ والفَنَدِ
قميص عُثْمانَ مظلومٌ بساحتِنا
إذْ كُلُّنَا قاتِلٌ عَمْداً بلا قَوَدِ
هلْ من جلاء لِهَمٍّ كادَ يَحْرِقُنا
وَهَلْ لنا مَخْرَجٌ من رِبْقَةِ الصَّفَدِ؟
قُمْ طُفْ بسيناء تَلْقَ الطورَ تارِكَةً
مَضيقَ تيرانَ في ضِيقٍ وفى كَمَدِ
واحذرِ مِنَ الدَّرْبِ ، دَرْبُ الحَجِّ ، مُوصَدَةٌ
مُذْ قامت إيلاتُ بَيْنَ الصُّلبِ والكَتَدِ
قَدْ غِيضَ مَبْعُوقُ والشَّعْوِى مُقْفِرَةٌ
وَدارِسٌ كلُّ ما فى الرِّيدِ مِنْ بُرُدِ
كَمْ من شَهيدٍ رَوَتْ سيناء مُهْجَتُهُ
أسْرى بِهِ الرُّوحُ مِنْ بَدْرٍ الى أُحُدِ
سَلِ البُرُوكَ ورِجْمَ الحَصْ عَنْ أُسُدِ
غُرٍّ مَيَامِين مَجْهولينَ للأَبَدِ
يا دَرْبَ حِطِّينَ مِنْ صَدْرٍ الى يَلَقٍ
إنِّى وَجَدْتُ صَلاحَ الدِّينِ لَمْ يَجِدِ
على قَرِينٍ ولَمْ يَغْدِرْ بِلاَ شَرَفٍ
ولم يكُنْ بأسيرٍ مُتْعَةَ الجَسَدِ
بل وحَّدَ الصَّفَّ فى حِلْمٍ وفى أَدَبٍ
وفى وَفاءٍ لِدِينِ الواحِدِ الأحَدِ

فعادتْ القدسُ من أسرٍ مُطَهَّرةً
وَلَنْ تعودَ لنا بالخُلْفِ واللَّدَدِ
عَرِّجْ على العجْمَةِ الغَرّاء تُقْرِئُها
مَعَ السَّلام ، تباريحاً من الكَبِدِ
واسْتَشْرِفِ الدَّيْرِ رأسَ السَّيحِ تُبْصِرُهُ
وَحَيِّ حَتْحُورَ والفَيْرُوزَ مِنْ بُعُدِ
وقُلْ لمَجْمَرِ أضحى جَمْعُنَا بَدَداً
قَدْ هزَّنا الشَّوقُ للوديانِ والنُّجُدِ
وعاطِرِ الشيحِ والقَيْصُومِ فى خَرِمٍ
وأُمِّ شِيحانَ ذاتِ الطَّلْحِ والجَعَدِ
أبا الُّقَيْنَ وما قَلبى بِمنْصَرِفٍ
عن مَعْدنِ المِلْحِ والفُوسْفَاتِ والجُدَدِ
فَخْمُ الغَارَةِ فى وادى الصَّفاةِ بَدا
بِفضْلِ رَبِّى ، جزاءَ الجَهْدِ والجَلَدِ
وادى الخمارات فى مهد الرُّخامِ لَهُ
ذِكرَى تَدُومُ مَعَ الأيَّام فى بَلَدِى
دَعِ العَرِيشَ تَرَيَّثْ صَوبَ ساحِلِها
وخَفْ غَوامِضَ بَحْرِ الرُّومِ واتَّئِدِ
وحاوِرِ الرَّمْلَةَ السَّوْداءَ عَنْ قَصَصٍ
عَبْرَ القُرُونِ بِلا حَصْرٍ ولا عَدَدِ
طريقُ جُورِيسَ مَمْدُودٌ الى رَفَحٍ
مِنْ شاطِىءِ النيل بَيْنَ الرَّمْلِ والجَنَدِ
رَنَا لأَخْمُسَ والهكسوسُ شارِدةٌ
فلولُها تكتسي شُؤماً على نَكَدِ
سَلِ المَساعِيدَ عَنْ عمروٍ وصُحْبَتِهِ
لأوَّلِ الفَتْحِ والرُّومانُ فى مَدَدِ
نَشيدُنا كان فى قَطْيَا وفى الفَرَما
الله أكْبَرُ لَمْ يُولَدْ ولَمْ يَلِدِ
فَكَانَ أنْ قامتِ الفُسْطاطُ شامِخَةً
وأصْبَحَ القَوْمُ بالاسلام فى رَغَدِ

قصة قصيرة

مشوار

بقلم : إبراهيم أصلان

في عتمة الحجرة الأرضية المغلقة . استند الطفل بصدره على حافة الكنبة ، وربت بيده على صدر المرأة النائمة وقال : « ماما . ماما . ماما » .

والمرأة الشابة فتحت عينيها ، وتطلعت إلى الوجه القريب ، ومدت يدها وتحسست مؤخرة الولد جيداً . كانت جافة . حينئذ ربتت بيدها على شعره الخفيف المنكوش ، وابتسمت له وهي تغمض عينيها . وتنام . الولد ضرب الأرض بقدمه الصغيرة . ومد أصبعه ودسه في فتحة أنفها وقال : « ماما . ماما . ماما » .

خلصت المرأة وجهها . ومالت بجسدها وأحاطته بذراعها النحيلة العارية . أرادت أن تحمله من تحت إبطه ، وهي راقدة ، ولكنه قاوم بثني ركبته :

« لأ ماما . لأ . فول » .

« فول ؟ » .

« آه ماما . فول » .

« بتاع الفول لسه قافل . روح العب بالخرطوم لغاية ما يفتح » .

استلقى الولد على ظهره . بدأ يقلب نفسه حتى وصل إلى المساحة العارية أمام مدخل الباب . وشرع يدق رأسه بالأرض ويصرخ باكياً دون دموع :

« لأ ماما . لأ » .

صاحت : « اخرس خالص » .

سكن الطفل عن الحركة تماماً . بدا أطول قليلاً من البلاطات الثلاث . ثم انفجر يبكي ، فجأة ، بدموع . جلست هي على الكنبة وقد باعدت مابين ساقيها المكشوفتين . تمطت ، وأزاحت الشعر عن جانبي وجهها ، وقامت . اتجهت إلى المنضدة المعدنية في ركن الحجرة بينما انقلب هو على بطنه يتابعها وقد كف عن البكاء . بحثت على سطح التليفزيون وهي ترفع زجاجة القطرة وتعيدها إلى مكانها . استدارت إلى قاعدة النافذة ورفعت الجريدة المطوية . تناولت القطعة الوحيدة ذات الخمسة قروش . والتقطت سترة بيجامه رجالي من على الكنبة الأخيرة وارتدتها . أسرع هو بالوقوف معتمداً على يديه وقدميه . احتضن ساقيها وقال : « أشيلك ماما . أشيلك » .

تطلعت الى الوجه الذي بللته الدموع . كانت عيناه باسمتين : « أشيلك بقى » . حملته ومسحت وجهه بكفها ، وقبلته في فمه المفتوح . وخرجت إلى الحارة المتربة . اعتلت جانب مقلب القمامة الكبير وانحدرت الى الناحية الأخرى . كان الولد يتكئ بمرفقه على كتفها وقد أدار وجهه كله الى الأمام . ورأى الرجل الذي يرش الطوب الأحمر بماء الخرطوم وقال :

« عمو؟ ماما ، عمو؟ » .

« آه عمه » .

« ميه ماما ؟ ميه ؟ » .

« أيوه ميه » .

« أشرب ماما . خطوم » .

« لما نروح » .

وانحرفت بين البيوت القديمة المتقاربة . وخرجت حيث الشمس الحارة وعربات الركوب نصف النقل وغبار الطريق غير المهد وعبرت أمام حقل البرسيم المزروع بين مجموعة أخرى من البيوت الجديدة العالية . ونظر الولد الى الحقل وجذبها من وجهها :

« أسد ماما ؟ أسد ؟ » .

ونظرت الأم وقالت : « لأ مش أسد . دي جاموسة » .

« أموسة » .

« آه » .

« أموسة ماما ؟ » .

« أيوه زفت » .

« طيب ماما . طيب » . ونظر الى كومة الزبالة المشتعلة أمام المطعم المفتوح : « نار دي ؟ نار؟ » .

« أيوه نار » .

« يح ؟ » ، ومدت يدها بالقطعة المعدنية وطلب شقة : « من غير شطة والنبي » .

ونظر الولد الى البائع عند القدرة وقال :

« عمو ؟ » .

« أيوه » .

« عمو؟ » .

« أيوه ـ أسكت بقى » .

« عمو ؟ » .

ضربته بيدها على فخذه ، وتناولت شقة الفول وعادت به الى البيت . أنزلته وأغلقت الباب ، وفتحت الورقة وقسمت شقة الفول الى قسمين . أسرع هو بالجلوس وقد ربع ساقيه . ناولته ربع الرغيف . أخذه ونظر الى الربع الآخر الذي في يدها : « هات ماما . هات » .

« أهي جنبك » .

نظر الى اللقمة المجاورة ، جذبها تحت ركبته اليمنى : « قطة كلتها . قطة كلتها ماما » .

« طيب » .

« خطوم بقى » .

« اتفضل الخرطوم » .

« علبه . علبه دي » .

« وآدي العلبة » .

« أغط » .

رفعت الغطاء المعدني المنقوش بقدمها :

« وآدي الغطا » .

قربه من العلبة . ورفع ركبته ، والتقط حبة الفول التي انحدرت على الورقة المفتوحة : « زيون ماما . زيون » .

كانت قد خلعت سترة البيجامه ، وظهر ثديها من حمالة قميصها المقطوع . تهلل وجه الولد وهو يشير بيده الخالية : « بز ماما ؟ بزوز؟ » .

« أيوه بزوز » .

« طيب » . وصاح : « زيون بقى . زيون دي » .

اتجهت المرأة الى الجهاز المستقر على المنضدة المعدنية ، أدارت المفتاح واستلقت على الكنبة . توقف فم الولد عن الحركة حتى اتضحت الصورة : « عمو » . ثم عاود المضغ وهو يتطلع الى الوجه المضيء ، الذي كان يتكلم . ويبتسم .

هو ــ بلاشك ــ عنوان قد يثير فكر الناس ، وقد يجعلهم يضربون أخماسا في أسداس ، ولهذا كان لابد من تمهيد نوضح فيه العلاقة التي تجمع بين برما والناس وثمرة الأناناس ، فبرما قرية مصرية يشتهر أهلها بانتاج البيض والكتاكيت ، ولها قصة طريفة يضرب بها المثل عندما تستعصى مسألة حسابية على الحل ، والناس ــ بطبيعة الحال ــ هم وحدهم الذين يتعاملون مع الحسابات دون سائر المخلوقات ، لكن ثمرة الأناناس مع غيرها من أجزاء النباتات ، قد جاءت بلعبة حسابية أغرب من حسبة برما ، وألغاز ، وفوازير الناس .. بما في ذلك الفوازير الرياضية التي تحتاج الى حسابات ومعادلات .. لكن ، ماهي القصة بالضبط؟

"حسبة برما" مع الناس .. وثمرة الأناناس!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

يحكى أن فلاحة من قرية برما (في محافظة الغربية بمصر) كانت تسير بسلة من البيض ، فاحتك بها حمار أوقع السلة ، وتكسر البيض ، وأراد صاحب الحمار أن يعوض الفلاحة عما أصابها ، فسألها هو ومن معه عن عدد البيض الذي كانت تحمله ، فقالت : أنا لا أعرف عدده بالضبط ، لكن عندما عددته على هيئة زوج من وراء زوج ، بقيت بيضة ، وعندما عددته ثلاثا ثلاثا ، بقيت بيضة ، وأربعا أربعا بقيت بيضة ، وخمسا وستا بقيت بيضة ، لكن لم يبق شيء عندما عددته سبعا سبعا .. فتحير الرجال في الحل ، وأخذوا يضربون أخمسا في أسداس ، الى أن مر بهم قروي بسيط من القرية ذاتها ، فعرضوا عليه المسألة ، وأخبرهم بأن الحل بسيط ، فعدد البيض كان ثلاثمائة وواحدا .. ومن هنا يضرب المثل بأية حسبة تبدو معقدة ، فيقال بعصبية : أهي حسبة برما؟!

وسواء أكانت القصة مزحة أم حقيقة ، فهي لن تقدم ولن تؤخر ، اللهم فقط إلا في إثارة العقل وتدريبه على حل مثل هذه الألغاز الطريفة التي يغرم بها بعض الناس .

هذا هو الجزء الأول والثاني المقصود من حسبة برما مع الناس ، ثم يأتي الدور على حسبة نوع آخر من الناس مع ثمرة الأناناس ، وعلينا أن نقدم الأسباب التي من أجلها قد أقحمناها في حسابات لاتخص الا المفكرين والأذكياء الذين يتلاعبون بالأعداد وألغازها ، فواقع الأمر أن ثمرة الاناناس قد جاءت بغلاف مقسم الى وحدات سداسية ، لكن الغريب أنها تراصت في صفوف حلزونية أو لولبية (شكل ١) .. أو هكذا تبدو للعين ، لكنها ــ مع ذلك ــ لاتثير في الذهن شيئا ، فنمر عليها مر الكرام .

بين نظرتين

لكن نظرة الناس لتكوين غلاف ثمرة الأناناس ، تختلف عن العلماء الذين يبحثون في أسرار الخلق ، أو الذين يرون أن الكون والحياة قد قاما على أساس من المعادلات والحسابات والشرائع التي تعبر عن نفسها في نظم جميلة قد تفصح عن نفسها ، أو تخفى



شكل (١) جاء غلاف ثمرة الأناناس بتكوينات سداسية ، تتراص في صفوف حلزونية وعلى نفس نمط الأوراق التي تتوجها ، لأنها نظام مشتق منها ، وهي فوق ذلك تخفى سرا جميلا من أسرار تسلسل الأعداد (راجع المقال لمزيد من التفاصيل) .

مكنونها، فلا يتكشف ذلك إلا للباحثين المنقبين فيما أودع الخالق فى خلقه من أسرار وألغاز!

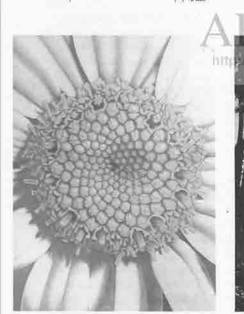
إن واحدا مثل البروفيسور فيرنرهوجات، أستاذ العلوم الرياضية بجامعة سان جوزيه، وهو ـ فى الوقت نفسه ـ رئيس تحرير مجلة فيبوناكى ربع السنوية (وسوف نعود الى فيبوناكى هذا بعد قليل) قد كتب دراسة ممتعة فى مجلد العلم والمستقبل عن نظرية الأرقام، وركز بصفة خاصة على علاقتها بنظم التشكيلات النباتية، ومنها غلاف ثمرة الأناناس، لأنه يحوى لغزا مثيرا من سلسلة الأرقام.. ثم نراه يعلق على هذه التشكيلات بقوله: إن الدراسات الهادفة نحو تعميق واتساع معرفة الانسان بالعلاقات التكوينية فى طبيعة الأشياء، قد دفعت بعض العلماء الى أنماط رياضية علها تستطيع شرح نظم تبادل الأجزاء النباتية، وكأنما هى تريد ـ أى النباتات ـ أن تتجنب التكدس فى مكان أكثر من مكان آخر، أو مايسمى بالضغوط التلامسية، وهو يقصد ـ بطبيعة الحال ـ التناسق الذى نراه فى امتداد الفروع بنظام فى



شكل (٢) هذا التناسق الواضح فى انتظام الفروع على جذوعها فى نوعين من الأشجار، ثم خروج الفروع الأصغر من فروع أكبر، وانتشارها فى الهواء فى اتجاهات محدودة، وبتباديل محسوبة.. كل هذا وغيره لاينشأ هكذا اعتباطا، بل من ورائه فكرة مبتكرة (انظر أيضا شكل ٣)

كل الاتجاهات، وبروز الأوراق على محاورها بهندسة فراغية، وبحيث لاتحجب ورقة نصيب ورقة أخرى من أشعة الشمس أو من الهواء ـ أى كأنما نحن أمام انشاءات هندسية، تساندها عمليات حسابية، ومعادلات رياضية.. مما يثير فى العقل الواعى قدرة خالق مبدع، ذى صنع متقن (شكل ٢).

وبنظرة أخرى يكتب روبرت ديكسون العالم الرياضى والفنان الطبيعى فى مجلة «رجل العلم العصرى» البريطانية دراسة بعنوان: زهرة الربيع الرياضية ـ يقصد طبعا أن النظام الذى جاءت به الزهرة يتبع الأصول الرياضية التى عرفها الانسان دون سائر المخلوقات (لكن الزهرة عرفتها ـ كما هو واضح من العنوان).. ولقد استهل دراسته بتساؤلات عدة، منها: لماذا تبدو النباتات مطيعة لنماذج وأنماط محددة أثناء نموها؟.. وكيف تدرك نوع النمط الذى ستسير عليه؟.. وهل نستطيع شرح هذه الأنماط باستخدام نظرية الأعداد؟.. واذا كان ذلك كذلك.. فلماذا؟!



شكل (٤) زهرة عباد الشمس المركبة.. لاحظ كيف تتراص الزهيرات فى صفوف حلزونية تتجه يمينا ويسارا عند نشأتها من المركز، ولهذا ترى الزهيرات الصغيرة فى الوسط، والكبيرة عند الحافة.. لكن لهذه الصفوف حسبة مثيرة.

شكل (٣) لو دققت النظر فى تفاصيل الصورة فسوف ترى أربعة أنواع من النخيل وقد توجت هاماتها بعدد من الجريد الذى يتبادل مواقعه بنظام، وكذلك يكون الحال مع أوراق وفروع النباتات والأشجار الموجودة داخل اطار الصورة، أو خارج هذا الاطار.. كيف حدثت هذه البرمجة الهندسية، ولماذا؟.. (راجع المقال لمزيد من التفاصيل).

حِسْبِةٌ بِرْمَا مع الناس .. وثمرة الأناناس !

والواقع أن بداية المعرفة تساؤل ، لكن لايكفي أن تسأل وتسكت ، بل ان التساؤل هو بداية البحث في أسرار الخلق ، لتجميع حصيلة من الحقائق ، ثم هضمها واستيعابها ، ومحاولة الخروج بنتيجة أو نظرية أو معادلة تساعد على فهم ماغاب عن مداركنا .

ولاشك أن الطبيعة بمثابة كنز هائل من المعرفة ، ومرجع أصيل لكل الأنماط الهندسية ، أو التكوينات الفنية .. كل ما هنالك أنها بحاجة الى عقول تتحلى بالصبر والمثابرة والذكاء واستخلاص الأسس التى نشأت على هداها تلك الانماط ؛ وكل هذا يعيد عظمة الخلق ، وتناسق التكوين ، الى موجد مبدع ، فيتجلى إبداعه في خطط وراثية ، أو تعليمات مبرمجة ، تطيعها الكائنات في الخفاء ، ثم تتجسد بالصورة التى نراها بها عليها .

خذ على سبيل المثال هامات النخيل ، وتأمل فيها جيدا ، وعندئذ ستتوصل الى أن جريد النخلة لم ينشأ هكذا اعتباطا ، بل هو يتبع نظاما لايسمح لجريدة أن تركب فوق أخرى ، أو تحجب عنها أشعة الشمس (شكل ٣) .. ويرجع ذلك — في المقام الأول — الى أن النخلة تطبق نظرية من نظريات الأعداد المعروفة باسم سلسلة أعداد فيبوناكي ..

لكن .. ماهى أعداد فيبوناكي تلك ؟

الواقع أننا قدمنا ذلك في مقالة سابقة ، ولكي لانشق عليك في الرجوع اليها كان من الأوفق أن نجملها هنا في فقرة مختصرة : ان فيبوناكي رياضي إيطالي نشر كتابا في عام ١٢٠٢ أسماه لغز الأعداد ، وفيه طرح لغزا يجيء هكذا : لو أن هناك زوجا من الأرانب في حيز مغلق ، وأن هذا الزوج يستطيع أن ينجب زوجا آخر في بداية كل شهر ، وان كل زوج جديد يستطيع أن ينجب بدوره زوجا بعد مرور شهرين من ولادته .. فكم عدد الأزواج التى يمكن حصرها في نهاية عام كامل ؟

الجواب يتضح في سلسلة من الأعداد : ١، ١، ٢، ٣، ٥، ٨، ١٣، ٢١، ٣٤، ٥٥، ٨٩، ١٤٤، ٢٣٣، ٣٧٧ — في أول يناير ١ ، وأول فبراير ٢ ، وأول مارس ٣ ، ابريل ٥ ، مايو ٨ .. الخ ، حتى نصل الى ٣٧٧ زوجا في يناير الذى يليه .. لاحظ أيضا أن الرقم الأخير ٣٧٧ هو حصيلة جمع الرقمين السابقين : أى ٢٣٣ ، ١٤٤ كذلك يكون ٢٣٣ هو حصيلة جمع الرقمين السابقين ١٤٤ ، ٨٩... وهكذا !

بين فيبوناكي وزهرة عباد الشمس

لكن قبل أن نعرض لغز أرقام غلاف ثمرة الأناناس ، دعنا نقدم أولا لغز زهرة الربيع وزهرة عباد الشمس المعروفة لنا جميعا .. فكلاهما من العائلة المركبة (أى ذات الزهور المركبة من زهيرات على قرص زهرى) .. وكلاهما مع زهور أخرى من نفس العائلة يتبعان سلسلة أرقام فيبوناكي .

ان زهرة عباد الشمس مثلا مركبة من زهيرات صغيرة على تخت زهرى مستو ، والذى يتأمل هذه الزهيرات قد يجذبه النظام الحلزوني الذى تتراص فيه صفوف منها (أو البذور بعد النضج) لتدور في اتجاه عقرب الساعة ، أو في عكس هذا الاتجاه ، (شكل ٤) ولو استطاع أن يحصيها ، فسوف يجد أن عدد الصفوف الحلزونية التى تتجه مقوسة الى اليمين تصل الى ٨٩ صفا ، والتى تتجه يسارا ٥٥ صفا ، ثم تظهر صفوف يمينية ثانوية (أى أقل تقوسا) يصل عددها ٣٤ صفا ، وطبيعى أنك قد لاحظت أن الأرقام ٣٤ ، ٥٥ ، ٨٩ هى نفس الأرقام في سلسلة أعداد فيبوناكي .

وهناك سلالات من نبات عباد الشمس قد تعطى زهورا مركبة صغيرة أو متوسطة او كبيرة ، وفي هذه أو تلك يتضاءل عدد الصفوف أو يكبر — يتوقف ذلك على حجم الزهرة المركبة ، ومع ذلك فلا زالت كل الزهور — رغم اختلاف عدد الصفوف — تحتفظ بحسبة فيبوناكي .. خذ على سبيل المثال أكبر زهرة جمعت من هذا النبات ، وأجرى فحص على عدد صفوف الزهيرات أو البذور التى تتراص في صفوف حلزونية ، فاتضح أن ١٤٤ منها يمينية الاستدارة ، ٨٩ يسارية الاستدارة ، ثم ٥٥ أخرى يمينية الاستدارة ، وهى كما ترى تسير على القاعدة .. ثم نرى أحد المراجع يذكر أن المدعو دانييل أو كونيل قد نجح في انتاج زهرة عباد شمس « سوبر » فكانت زهيراتها اليمينية ٢٣٣ ، واليسارية ١٤٤ ، ومجموعهما ٣٧٧ .. أى أنها لم تشذ عن القاعدة كذلك !

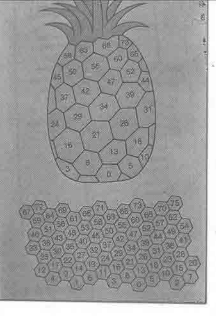
وكزهرة عباد الشمس تكون زهرة الربيع (ديزى) .. فعدد زهيراتها جميعا ٥٥ — منها ٣٤ يمينية الاستدارة ، ٢١ يسارية .. والأرقام ٢١ ، ٣٤ ، ٥٥ هى أيضا أرقام فيبوناكية ! .. ومثلها أيضا موجود في زهور نباتات كثيرة .

وثمة ظاهرة أخرى مثيرة اكتشفها العلماء في أجزاء من الزهرة تعرف باسم البتلات ، والبتلات هى الوريقات الملونة التى تحيط بالزهرة أو الوردة ، وتعطيها شكلها الجذاب ، المهم ان هذه الأجزاء تسير بدورها على نمط حسبة فيبوناكي .. أى أن هناك زهورا ببتلتين ، أو ٣ ، أو ٥ ، أو ٨ ، أو ١٣ ، أو ٢١ ، أو ٣٤ .. الخ .. فزهرة الربيع الافريقية مثلا تحاط بـ ٥٥ بتلة ، وللألفوانيا أو عود الصليب المزدوج ٢٣٣ بتلة ، ولنبات الثلج ٣٧٧ بتلة .. وكلها — كما ترى — أرقام في سلسلة فيبوناكي !

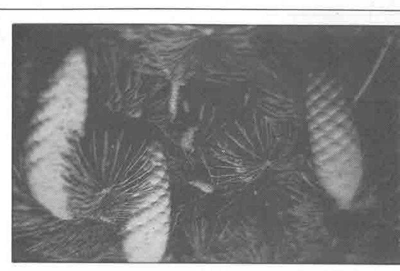
لكن .. ماذا يعنى كل ذلك حقا ؟ .. وماهى الصلة الغريبة التى تجمع بين حسبة فيبوناكي مع أرانبه ، وبين الزهيرات والبتلات في النباتات ؟ .. الواقع أن أحدا لايعرف بالتأكيد ، وربما يكون ذلك من قبيل الصدفة البحتة ، لكنها من أغرب الصدف وأندرها على أية حال .

لغز ثمرة الأناناس

والآن نأتى الى مسألة قد لاتخطر لأحد على بال ، خاصة وأن اللعب فيها بالأعداد يفوق



شكل (٥) رسم توضيحي لغلاف ثمرة الأناناس وهو يبدو مقسما الى وحدات سداسية (انظر شكل ١) وكل وحدة تحمل رقما بحسب ظهورها أولا أثناء نمو غلاف الثمرة مع الزهور . واللوحة التى الى أسفل تمثل غلاف الثمرة فيما لو نزعناه وفردناه على هيئة مسطحة . حاول تتبع الأعداد التى على يمين أو يسار أو أعلى الأرقام صفر ، ١ ، ٣ ، .. الخ .. هل تستطيع أن تستخلص شيئا من تسلسل الأرقام ؟



شكل (٦) وكغلاف ثمرة الأناناس يكون غلاف ثمرة الصنوبر .. لاحظ كيف تتراص الوحدات أيضا وتسير في صفوف حلزونية .

حد الخيال ، لأنه من ، تأليف ، غلاف ثمرة الأناناس .. وقبل أن نعرض أصول اللغز ، كان من الأوفق أن نسرد الأصول التكوينية التي يتألف منها هذا الغلاف .. إنه يتكون من وحـدات في صفوف حلزونيـة (انظر شكل ١) ، وكل وحدة كانت في الأصل قاعدة ورقة يخرج من محورها زهرة ، لكن الزهور ــ بعد التلقيح ــ قد تساقطت ، والتحمت جميعا مكونة الثمرة التي تأكلها .. ولهذا فان أقرب تصور للوحدات السداسية التي تحيط بثمرة الأناناس ، هو مانراه على جذوع النخيل من بقايا قواعد الجريد الذي يصعد عليه المتسلقون .

المهم أن الوحدات السداسية في ثمرة الأناناس كانت في الأصل نظاما محددا لمواقع أوراق احتضنت زهورا ، فزالت هذه وتلك وبقيت القواعد ، وهي ــ بلاشك ــ تسير على هدى نظام محدد .. بمعنى أننا لو تتبعنا نمو هذه الأوراق على محورها ، فلاشك أن هناك ورقة أولى تتكون أولا ، ولا تحمل رقما ، ثم تتبعها الثانية ، لتحمل الرقم ١ ، والثالثة الرقم ٢ .. وهكذا (وهذا ماتراه في الشكل التوضيحي ٥) .. فكل قاعدة لورقة أخذت رقما بحسب ظهورها أولا ، ثم لو تصورنا أننا نزعنا الغلاف عن الثمرة ، وفردناه كلوحة مستوية ، عندئذ يبدو كما تراه في الشكل التوضيحي (أسفل شكل ٥) .. وقد تراصت عليه كل قواعد الأوراق ، حاملة أرقام تسلسلها في الظهور على المحور ــ أي الرقم الأصغر لأسفل ، والأكبر لأعلى (أو الذي ظهر أولا لأسفل ، والذي بعده لأعلى) .

والآن .. هل تستطيع أن تفحص تسلسل هذه الأرقام ، ثم تستنتج منها شيئا ، خاصة وأن نظام الأشكال السداسية يسرى في ثلاثة صفوف حلزونية (انظر شكل ١ أو شكل ٥ أعلى) .. صف منها يميل نحو اليمين ، والآخر نحو اليسار ، والثالث ذو ميل وسط بين هذا وذاك ؟

والآن دعنا نبدأ بأى رقم في القاعدة (أى أسفل الثمرة) ، وليكن ذلك الرقم هو ١ يتبعه يمينا ومتجها الى أعلى الرقم ٦ ثم ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣١ .. الخ ، أى أن الفرق بين كل رقم والذى يليه هو ٥ دائما .. لكن اذا اتجهت الى أعلى يسارا ، فان سلسلة الأرقام تكون هكذا : ١ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٣ .. أى أن الفرق في تسلسلها هو الرقم ٨ ، واذا سرت مع الرقم الذى فوقه ، لكان التسلسل هكذا : ١ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٤٠ .. الخ ، أى أن الفرق بينها ١٣ دائما .

لعلك الآن قد لاحظت أن الفروق في السلاسل الحلزونية الثلاث هي ٥ ، ٨ ، ١٣ .. وهي نفس الأرقام في سلسلة فيبوناكى .

وطبيعى أن يكون لك الخيار في أى رقم عند القاعدة ، بداية من الصفر ، وانتهاء بما تختار ، ثم اصعد في الصفوف الحلزونية ، تجد الفروق أيضا ٥ ، ٨ ، ١٣ .. جرّب تتأكد !

كيف حدث ذلك ؟ .. لا أحد يعرف على وجه اليقين ، لكن الذى نعرفه أن هذا النظام الحسابى ، أو التسلسل العددى في نشأة تلك الأجزاء بحسب ورودها على المحور لم تشذ عن القاعدة ولو مرة واحدة ، أو هي على حسب تعبير البروفيسور هوجات : بفحص ٢٠٠٠ ثمرة من ثمار الأناناس لم يحدث استثناء واحد عن نمط فيبوناكى .. فكل مجموعة من الوحدات المتراصة في صفوف حلزونية على كل ثمرة ، كانت تمثل في مجموعها رقما من أرقام فيبوناكى بالضبط !

وكثمرة الأناناس تكون أيضا ثمرة الصنوبر (شكل ٦) .. ففى أحد الصفوف الحلزونية تتراص ٨ حراشيف ، وفى الآخر ١٣ .. وهي أيضا أرقام في السلسلة الفيبوناكية .. ونادرا ما تشذ هذه الثمار عن تلك الحسبة .

العدد الذهبى أو المقدس !

والذين لهم هواية في الحسابات والمعادلات والأرقام ، قد توصلوا سويا الى نتيجة أخرى مثيرة ، تبدأ بعمليات قسمة بسيطة في أرقام سلسلة فيبوناكى ، فلو أنك قسمت الرقم الأيسر الأكبر على الرقم الأصغر الذى يليه الى اليمين ، لوجدت أن حاصل القسمة في كل مرة يحوم حول العدد ٦١ ، ٥١ أو العكس ــ أى الأصغر على الأكبر ، تكون النتيجة في كل مرة حوالى ٠،٦١ (جرّبْ ذلك على آلة حاسبة ترى كسورا تقترب من بعضها) .

هذا الرقم يطلق عليه المهتمون بالعلوم الرياضية من قديم الزمن اسم الرقم الذهبى ، وافترضوا تطبيقه في مسائل هندسية ، فتمخض عن ذلك مايسمى بالمقطع الذهبى ، والزاوية الذهبية ، والمثلث الذهبى ، والمربّع الذهبى .. الخ : فلو أن لديك خطا مستقيما ، ثم قسمته الى جزئين غير متساويين ، وبنفس نسبة سلسلة أرقام فيبوناكى (أى بنسبة كل رقمين متتالين ، وهي تساوى ١،٦ الى ١) فان نسبة الجزء الصغير الى الجزء الكبير ، تساوى نسبة الجزء الكبير الى الكل (أى الى كل طول الخط المرسوم) .. ولهذا عبر عنه عالم الفلك الالمانى كبلر (١٥٧١ ــ ١٦٣٠) بأنه ربما كان بمثابة إشارة إلهية تعنى خلق الشبيه من الشبيه ،

حشية يزما مع النـاس .. وثمـرة الأنـانـاس!

« To create Like From The Like » ، وربما يقصد بذلك أن الخلف يأتى على غرار السلف .

وطبيعى اننا لن نتعرض هنا لأصول الحسابات والمعادلات التى تحكم مثل هذه النتائج المثيرة . فليس ذلك مجاله ، رغم أن الموضوع ينطوى على مفارقات غريبة وطريفة ، لكن يكفى ان نشير اشارات عابرة الى أن الرقم الذهبى أو المقدس يمكن استخلاصه أيضا من النسب التكوينية فى جسم الانسان ، ويمكن تحديدها بنقط لها شأن .. فالسرة فى الانسان هى الحد بين طولين ، فمنها الى الأرض ، ومنها الى قمة الراس تحصل على طولين ، لو أنك قسمت أولهما على ثانيهما ، لحصلت على الرقم الذهبى .. كذلك لو قسمت المسافة من السرة الى تفاحة آدم (فى الزور) ، على المسافة من تفاحة آدم الى قمة الرأس ، لحصلت أيضا على الرقم الذهبى !

ولقد استخدم مهندسو الاغريق القدامى الرقم الذهبى فى تشييد معبد البارثينون بأثينا . ويذكر البروفيسور هوجات أن هناك دلائل أولية على أن هرم الجيزة الأكبر مؤسس فى ارتفاعه وانحداره وقاعدته على نسب قريبة من النسبة الذهبية ، أو الرقم الذهبى . وفى القرن التاسع عشر ذهب الفيزيائى الألمانى جوستاف فيخنر الى أبعد من ذلك ، وحاول أن يدرس أذواق الناس الجمالية ، وكيف يختارون الأشكال والتصميمات التى يهوونها ، ولقد استعان بزميله عالم النفس فيلهلم فوندت فى إجراء العديد من الاختبارات والتجارب ، فاتضح أن معظمهم يميل الى الأشياء التى تحمل أبعادا أو نسبا لها مواصفات الرقم الذهبى ، أى أنها مقسمة الى خطوط أو مربعات أو مستطيلات أو دوائر لها أبعاد تعطى عند قسمتها أرقاما ذهبية (مثل كروت المعايدة ، وعلب الهدايا ، والمرايا والصور والمناظر .. الخ) .

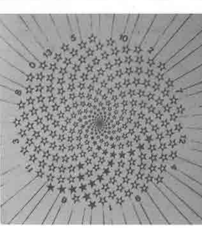
وأنت تستطيع أن ترسم مستطيلا ، وتقسمه الى جزئين غير متساويين بحيث تصبح النسبة بينهما ١,٦١ : ١ (أى التناسب الذهبى) . وعندئذ تحصل على مستطيلين ، ثم لو أخذت المستطيل الأصغر ، وكررت عليه نفس العملية ، لنشأ عندك مستطيلان آخران أصغر (شكل ٧) .. ثم خذ الأصغر منهما ، وكرر العملية .. ثم ارسم فى كل مستطيل قوسا ينطلق من زواية الى الزاوية المقابلة . تحصل على خط حلزونى كالذى تراه فى الشكل ٧ .

لكن .. ماذا يعنى ذلك ؟

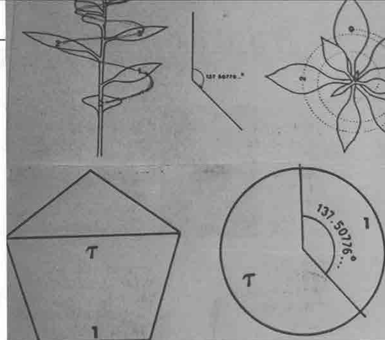
يعنى أننا قد عدنا من حيث بدأنا ، لأن هذا التكوين الحلزونى هو نفس النظام الذى تتراص فيه الأوراق والزهور والزهيرات وأغلفة الثمار .. الخ ، وتتخذ شكلا حلزونيا مماثلا (انظر على سبيل المثال زهرة عباد الشمس تجد الزهيرات تنتظم فى شكل حلزونى طبق الأصل لذاك) .



شكل (٧) المستطيلات الذهبية الأكبر فالأصغر (تبدو كألوان مختلفة) .. وكل مستطيل منها جاء على أساس نسبة العدد الذهبى أو المقدس لاحظ القوس الحلزونى الذى يتكون من مقاطع المستطيلات المتداخلة ، وهو نفس التكوين الحلزونى الذى تراه فى ترتيب الأوراق والزهيرات فى النبات .



شكل (٨) زهرة الربيع الاليكترونية ــ كما رسمها الحاسب الاليكترونى عند ما غذاه ديكسون بمعلومات مستقاة من نظام الزهرة .. لاحظ كيف تنتظم الزهور فى أقواس حلزونية يمينية ويسارية ، وكيف تتقاطع مع بعضها ، فتكون زاوية تساوى ١٣٧,٥ درجة .. وهذه لا تنتج الا من مقطع فى دائرة ، يعرف باسم المقطع الذهبى للدائرة (انظر شكل ٩) .



شكل (٩) عندما تقسم الدائرة الى قسمين غير متساويين ، وعلى شرط أن يتبع كل قاعدة النسبة الذهبية ، فإن الزاوية المنفرجة تساوى بالضبط ١٣٧٫٥٠٧٧ درجة .. وهى نفس زوايا مقاطع حلزونيات زهرة الربيع ، أو هى نفس زاوية التفاف الأوراق على محاورها (الشكل التوضيحي الى أعلى يمين ويسار) .. أما الشكل الخماسي الأضلاع فهو يحمل أيضا صفات النسبة الذهبية .

يتضح ذلك أكثر عندما غذى روبرت ديكسون أحد الحاسبات الأليكترونية بمعلومات عن نمو الزهيرات فى نبات عباد الشمس ، أو زهرة الربيع (ديزى) ، وكيفية خروجها بالترتيب من وسط الزهرة ، فيكون الأكبر الى الخارج ، والأصغر الى الداخل ، المهم أن الحاسب الاليكترونى قد شكل المعلومات على الهيئة التى تراها فى شكل ٨ ، وبحيث تمثل كل نجمة زهيرة .. لاحظ انتظام الزهيرات وهى تتجه فى صفوف حلزونية جهة اليمين ، وجهة اليسار .. لكن هذه الصفوف تسير بالضبط على نفس نمط القوس الذى حصلنا عليه من النسب الذهبية فى مقاطع المستطيلات بالشكل رقم ٧ .

الغريب أيضا أن تقاطع خطوط مسار الزهيرات مع بعضها جهة اليمين وجهة اليسار يعطى دائما زاوية قدرها ١٣٧٫٥٠٧٧٦٠٠ ، وهى نفس الزاوية التى تقسم الدائرة الى نسب فيبوناكية (المقطع الذهبي للدائرة ـ شكل ٩) .. وهى التى تحدد الأشكال الحلزونية التى تنظم مواقع الأوراق والزهور والزهيرات على النباتات التى ذكرناها ، والتى لم نذكرها ، وتؤدى الى سلسلة من الأعداد الفيبوناكية ، وأخيرا فهى التى تجعلنا نرى التناسق البديع فى أغصان خرجت من جذوعها ، وأوراق تراصت على سوقها ، وزهور انتظمت على محاورها ، وجريد تبادل على هامات نخيله .. الى آخر هذه النظم التى حيرت بأرقامها وزواياها ومقاطعها وحساباتها عقول الباحثين .

■ الوحدات السداسية فى ثمرة الأناناس كانت نظاما محددا لمواقع أوراق احتضنت زهورا

■ ماهي حقيقة الرقم الذهبي والأعداد المقدسة وعلاقتها ببناء الأهرام وتكوين جسم الإنسان؟

لكن مما لاشك فيه أن النبات لايدرك شيئا عن حسبة فيبوناكى ، ولا كذلك « مغرم بأرقامه » ، على حسب تعبير بيتر ستيفنس فى كتابه الجميل « أنماط تشكيلية من الطبيعة » ، ولا هو أيضا يهوى الجمال ، فيبحث عنه فى المقاطع الذهبية ، ولا حتى يعرف عدد المحاور التى ينتجها ، بل مهمته أن يخرج الأجزاء لتحتل الفراغ المناسب .. ذلك أن كل اللمسات الجمالية ، والحسابات الرياضية التى يسير النبات على أساسها هى ببساطة شديدة أن يستفيد بالحيز أو الفراغ المتاح له بالبيئة ، ليأخذ كل جزء نصيبه .

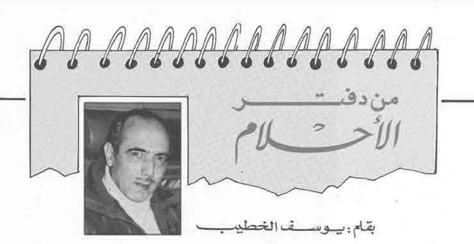
الشيء المحير حقا أن حسبة نسل أرانب فيبوناكى ، والأعداد المقدسة ، والزوايا والأضلاع والدوائر والنسب الذهبية ، وعلاقة ذلك ببناء الأهرام ، وتكوين جسم الانسان ، ومعادلات ترتيب الأوراق والزهور والثمار ، وما ينشأ عنها من محاور حلزونية ، لا نراها فقط فى النبات ، بل تعبر عن نفسها فى التواء قرون الخراف والتيوس ، ومسارات الجسيمات الذرية ، وتكوين الجزيئات الوراثية ، وتشكيل القواقع الحلزونية ، وتوزيع الأجرام السماوية .. الخ ...

أهى حسبة برما ؟

هى بلاشك أعجب وأغرب وأعوص من حسبة الناس ، (بما فى ذلك الطليانى فيبوناكى) .. فلا أحد يستطيع أن يقدم تفسيرا معقولا عن العلاقات التى تجمع كل هذا الشتات حول رقم واحد مشترك ، هو الرقم الذهبى ، وماقد يشتق منه من أعداد تتوزع فى التكوينات التى ذكرناها والتى لم نذكرها .

وهى أيضا دراسة غريبة بالنسبة لأية مجلة ثقافية عربية ، ولقد قدمناها ، لنكشف شيئا عن الغموض الذى يسيطر على طبيعة الكون والحياة ، وبها ندفع العقل الى تدريب ذهنى ، وتنشيط فكرى ، عله يفكر فى بديع صنع الله الذى يتجلى فى كل شيء خلقه فقدره فسيره الى هدف معلوم « لكن أكثر الناس لايعلمون » .

عبد المحسن صالح



بقلم: يوسف الخطيب

تأشيرة دخول

حين يسجو الظلام على الكون، وتنطفىء جميع الحواسات الضوئية المحدّقة بوقاحة في سطوح الأشكال الخارجية للناس والأشياء، كأنها جيش بأكمله من عسس «الأخ الأكبر» في عالم «جورج أورويل»..

وحين ينصرم نهار جديد من على رزنامة العمر، طاوياً بذلك صفحة أخرى ثقيلة من زمن الخيبة والإحباط العربي المقيم. ومؤذناً في الوقت نفسه بانفراج فسحة الأمل أمام كائنات الأحلام الطيفية الرشيقة كي تفعم لوحة الكون كله بأشفّ ألوان البهجة، والمحبة، والحبور..

وحين تنخمد جميع الاذاعات والتلفزات المتصايحة طيلة النهار بتمجيد أفراح الشعب المغامر إلى حد الغرق والاختناق، ولا يبقى من صوت إطلاقاً غير موسيقى النجوم المنسرحة وهي تهمي من عل بحنان المبدع الأعظم، ورحمته، وحدبه الدافىء على جميع عذابات الأرض، وأوجاع الناس..

عند ذلك يستبدّ بي الانعتاق إلى أقاصي الآفاق. فلا أحب أن أخلد للنوم الذي سأشبع منه ذات يوم، كيلا أدع فرصة لأضغاث الليل أن تجيء ارتساماً مطابقاً لكوابيس النهار، بل على العكس من ذلك أسعى جاهداً لأن أضفي لمستي الشعرية الخاصة على أحلامي اللذيذة المحببة. بسبيل أن أجيئها على هواي. قبل أن تجيئني على هواها. ومن أجل أن أتذوق متعتها الحسية والنفسية في آن معاً. بكل مافي الوسع من وعي وحضور واتحاد بها إلى درجة الغياب..

فلذلك سرعان ماأفرد أجنحتي، وأطلق العنان لخيل أخيلتي، وأعلن استقلال مملكتي اللامتناهية الأرجاء والأبعاد، من أقصي رذاذ السديم، حتى أبعد مجاهل اللاوعي في أعماق النفس، متحرراً بذلك كله من جميع اشتراطات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ودوائر الشرطة والمخابرات. لأن فضيلة الخيال العظمى هي أنه لايستمد شريعته المطلقة من خارج ذات الإنسان، بل هو الذي ينتزع لنفسه اعترافه بنفسه، وهو وحده الذي يرسم حدود سلطانه بقدر انفساح مداه: وهو دون غيره الذي يغزل ألوان راياته، ويستعرض حرس شرفه، ويصدح ألحان موسيقاه.. فتلك إذن هي مملكة الأحلام التي أسودها، وأسوسها، بمعزل تام عن تدخل أحد، لاينازعني فيها إنسان...

ثم إنني أشعر، في ملكوت الحلم هذا، بأنني أتراوح بدون انقطاع مابين نهايتين عظميين: مابين انفصال كامل عن جميع محسوسات الواقع الدميمة حتى اللعنة. ثم معاودة اتصال حميم بها. بسبيل تحسينها من هنا، أو تجميلها أو حتى تبديلها من هناك، لأن على المرء أن ينفصل عن موضوعه أولاً، كي يتحقق له أن يتصل به ثانياً.. إذ كيف يحق لأحد من أهل العلم ـ لا من أهل الحُلم هذه المرة ـ أن يتصور وجود اتصال بدون أن يسبقه انفصال ؟!.. فأما اتصالك المادي المزمن بالشيء فهو تماماً قرين انفصالك الروحي عنه.. وأما عن اتصالنا المستديم هذا بمقررات واقعنا العربي الجازمة الصارمة كإملاء عسكري عرفي، بشتى تهافتات العقلانية والموضوعية والواقعية، وبدون أن نجتلب لها رؤى التجميل والتعديل من حصيلة أسفارنا الجريئة في دنيا الأحلام البعيدة، فأي معنى لكل ذلك غير العقم، والتيبس، والموت !!..

وهكذا .. لئن راق لنطاسيّ نفسانيّ بارع ـ أن يلتقط من مجمل اعترافي هذا رأس خيط ينتهي به إلى حد التنظير لحالة انفصام فريدة في بابها ، فلعل من الواجب الأخلاقي عليّ أن أسعف مثل هذا النطاسي المتجهم الرصين بشاهد شعري صريح الدلالة من قصيدة لي بعنوان «الاعتصام في بادية الشام» ، حيث لم أجد من سبيل لأي وصل هوى وتوحُّد وهيام ، بكل من الحبيبين ، سواد العراق ، وبر الشام ، إلا بالانفصال القطعي عنهما ، إلى عراء البادية ، وأحلام الصحراء ..

أحب اثنتين ، وأُعلن تحت سماء المدينة
عصيانَ قلبي على البغض ، والمبغضينَ ..
وحبُّ اثنتين اقتدارٌ
إذا عَدَّ بين الرجال ، الرجالُ
وأُقسِم أني غدوت حيالهما .. اثنين ..
بعضُ فؤادي اتصالٌ ،
وبعضُ فؤادي انفصالٌ .. انفصالٌ
ولو جرَّبَ الوصلَ ، من جرَّب العذلُ
لم يَشِ بي في بلاط القطيعة واشِ
وكيف اتحادي فيمن أحب .. وكيف اختلاقي !! ..

فعلى أية حال ، ومن أية زاوية تحراني التحريون ، ونُقّاد هذا الزمن الملعون ، فإن ماأود أن أعلنه تحت سماء المدينة أيضاً هو أنه مامن ليلة تمرّ بي إلا وأنسلُّ في عتمتها مسافراً إلى جزر الأحلام البعيدة التي لم يكتشفها رحالة من قبل ، عائداً منها قرابة الهزيع الأخير من الليل ، لأُجَيِّش «جيش الدفاع العربي» الذي سأُنيط به مهمة تحرير فلسطين دون أن يتدخل في أي شأن غير عسكري .. لأرد ابتسامة السحر والعذوبة والحنان التي اختطفتها الفتنة من على شفة لبنان .. لأزرع فراديس الأقاحيّ والورود مكان المخافر والحدود .. لأعيد رسم خريطة القارة العربية من جديد .. لأشق الطرقات .. لأصل مابين الجبل الأخضر والدار البيضاء بصهيل القطارات .. لأُجري الأنهار .. لأستجنّ الجنان في رحم القفار .. لأجعل من فلاح الإنسان ركن جميع الأركان .. لأغرف من كنوز الأصالة الإسلامية والتراث العربي ما أتيه به اختيالاً وحضارة في روح العصر .. لأطير على أجنحة الخيال من أدق أرقام الفلك ، إلى أرق أسرار الجمال .. لأشعر أخيراً بلهفة التجسيد والتحقيق ، بعد كل عناء الإقلاع والتحليق ..

ولأنني ، هكذا ، مصاب بمرض الحلم .. ومُدان بتهمته في آن معاً .. فعليّ إذن أن أدفع الثمن باهظاً ، كما قد عبرت عن ذلك ذات مرة في قصيدة «أرجوحة الفرح» ..

«وهاأنذا أُساق لغرفة التحقيق
من نومي ..
وأُجلدُ بين أرتال الجنود
بتهمة الحلم !! ..

ذلك بأن مؤسسة الحلم هذه لم تُعامل عبر تاريخها الإنساني الحافل العظيم بعشر معشار ماقد صادفته في هذا الزمن الخائب ، على أيدي عربنا المعاصرين ، من ازدراء ، وتسفيه ، وإدانة ، وتحقير ، حتى لقد نَصَّت أدبياتنا العربية ـ خصوصاً ـ على أن أعدى الأعداء إطلاقاً لعقل هذه الأمة في نزوعها الجاهد للخلاص والتقدم والفلاح ، إنما تتمثل حصراً في ثلاثي «الأحلام ، والعواطف ، والخيالات» !! .. وفي اعتقادي الجازم ، الآن ، أنه مامن خطل على مر التاريخ قد التاث به عقلنا العربي الجمعي قدر هذا الخطل الفادح الرهيب الذي أخذنا معه نناصب أحلامنا العداء ، ونكن لها الضغينة والسخرية والبغضاء .. إذ مامن إنجاز حضاري قمين بأن يعتز به نوعنا البشري إلا قد ابتدأ حلماً أثيرياً ، غامضاً ومبهماً أول الأمر ، في آفاق انسراحات الخيال ، ابتداءً من إنساننا العربي الفينيقي الأقدم الذي حلم ذات يوم بجذع مجوَّف يخوض به أمواج البحار ، وليس انتهاء على وجه اليقين بإنسان العصر الذي ظل أميناً لميراث ألوف السنين من الأحلام ، وقصائد الغزل ، وآهات العشق العذري ، إلى أن حط أخيراً على سطح القمر ..

بل لقد يبدو لي أحياناً أن كل فاجعة العروبة المعاصرة توشك أن تتلخص في افتقارها المدقع الرديء إلى الحد الأدنى من شرط «الخيال» الذي مايزال ينظر إليه هروباً أو انسحاباً جباناً من مواجهة الواقع ، برغم ماقد تعلمناه جيداً من عبر التاريخ ، ومن سير القادة العظام الأفذاذ ، أنه مامن واقع ذميم قُدِّر له أن يتبدل إلا بدفقة حلم عظيم ، وبرغم ماقد أسلفه لنا أسلافنا الخالدون حقاً من ميراث حي ، حافل ، هائل في هذا المجال ..

بل إن هذا اللسان العربي المبين الذي اختصه الخالق من بين ألسنيات الخلق قاطبة بأن يكون أداة التعبير المثلى عن محكم التنزيل ، ليضع «الخيال» و«العقل» في منزلة واحدة متكافئة ، متكاملة ، إذ تشتق العربية «الحُلم» و«الحِلم» من جذر واحد ، ثم تصهرهما معاً في جمع «أحلام» ، فالحِلم في إعجاز العربية هو بمثابة التوأم السيامي للعالِم ، إن جاز التشبيه ..

في قديم الزمان التمس بعض الإغريق وحدتهم وخلاصهم في محاولة المزاوجة مابين حكمة أثينا ، وعضلات إسبارطة ، في أنموذج الإنسان الكامل بصيغة «المصارع الفيلسوف» .. فكم هو خليق بعروبتنا المعاصرة ، المحشورة في حظيرة الواقعية إلى حد الاختناق ، أن تلتمس خلاصها ، من صميم تراثها ، في صيغة «العالِم الحالِم» الذي يمتاز في آن معاً ، بعصمة العقل ، وروعة الخيال ..

* * *

وبعد .. فليست هذه بأكثر من عريضة استئذان مطولة بأن يتاح لي ، بين الحين والحين ، أن أستفيء ظلال «الدوحة» الوارفة ، كيما أقص رؤياي على إخوتي القراء .. كل مافي الأمر مجرد التماس بالحصول على «تأشيرة دخول» إلى عقل القارئ العربي ، وقلبه ، بهذا القطاف الوفير لديّ من الأحلام ، والعواطف ، والخيالات .. إذ مازلت على اعتقادي الصلب بأنه ليس بالعقل وحده يحيا الإنسان ..

الفنان القطري يوسف أحمد

يتصل بالفنان نيازي مولوي بغدادي بعد قرن من الزمان

بقلم: شربل داغر

هناك مخطوطة ورسوم تخطيطية في «مكتبة المخطوطات» ببغداد تثير البلبلة وتقلب الأسئلة النقدية حول مسارنا التشكيلي رأساً على عقب.

المخطوطة تعود لنيازي مولوي بغدادي، وهو فنان بغدادي متمرس في الخط والزخرفة والرسم، ويعتبرها شاكر حسن آل سعيد، أقدم شاهد على بوادر التطور الحديث في الفن العراقي خلال القرن التاسع عشر. (١)

لا نملك معلومات تاريخية وافية عن سيرة هذا الفنان الشخصية، ولا عن فنه، سوى أن «مكتبة المخطوطات» ببغداد تحتفظ بالعديد من آثاره الفنية كنماذج من خطه ورسومه بالحبر، وبعض المخطوطات من تدوينه، مثل «ديوان المثنوي» لجلال الدين الرومي، كما تحتفظ المكتبة أيضاً بمشروع بدأ به لكتابة القرآن الكريم، وتظهر فيه الخطوات التي كان يتجز فيها العمل، مثل عمل الهوامش والزخارف والخطوط. كما تحتفظ أيضاً ببعض الأدوات التي كان يستخدمها للزخرفة والخط نستدل من الصفحة الأولى في مشروعه لتدوين القرآن الكريم هذه المعلومات: «كتبها المحتاج إلى ربه الغني، نيازي المولوي في مدينة بغداد في سنة تسع وتسعين ومائتين بعد الألف». وهي المعلومة الحياتية الوحيدة التي نعرفها عن هذا الفنان.

لنعد إلى المخطوطة. هي عمل خطي لعبارة: «ربي يسّر ولا تعسّر. ربي تمّم بالخير». يخط الفنان العبارة بقلم الثلث وبالحبر الأسود على الورق، ثم يكرر المحاولة ذاتها بشكل تتابعي من فوق إلى تحت، بحيث تصبح عملاً «متراكباً».

يمكن أن نقرأ هذا المخطوط بصورتين، لغوية وبصرية: تستطيع العين أن تتابع نسق الجملة أفقياً من اليمين إلى اليسار، متأكدة من معناها الذي يتكون تدريجياً، كما تستطيع العين أيضاً أن تتابع نسق البناء «المتراكب» بين الجمل من فوق إلى تحت (أو من تحت إلى فوق)، متأكدة من اللعبة البصرية.

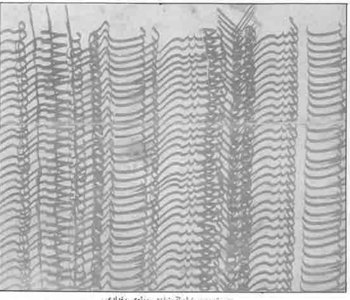
تحتفظ العبارة بمعناها، لكنها تندرج، في آن معاً، في لعبة بصرية جميلة.

شاكر حسن آل سعيد يعتبر هذه المحاولة «سابقة لأوانها في ظهور تقاليد الفن البصري (OP:ART)». (٢)

مسلمات غير حقيقية

لسنا في صدد تأريخ هذه المرحلة، ولا دراسة تجربة هذا الفنان، بل نطمع من هذا كله إلى إثارة عدد من الأسئلة... المحرجة، التي تبلبل، ولو لفترة قليلة، هي فترة صياغة هذه الأسئلة، طريقة نظرنا إلى المسار التشكيلي العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر. فقد بات من المسلم به في العديد من الكتابات العربية أو الأجنبية، أننا لم نعرف «التقنية الحديثة» التشكيلية إلا مع الغرب، إما عند حلوله الاستعماري في بلادنا، أو مع البعثات التعليمية إلى المعاهد الفنية في العواصم الغربية.

تجربة نيازي مولوي بغدادي تثير الشك حول هذه المسلمات: فهو لم يكن خطاطاً ومزخرفاً (كما كان عليه الأمر بالنسبة لأي فنان عربي حتى هذه الفترة) وحسب، بل كان رساماً أيضاً. فنحن نتعرف أيضاً في «مكتبة المخطوطات» ببغداد على رسوم تخطيطية تشهد له بطول الباع الفني. من هذه الرسوم ما يمثل رجلاً بهيئة الجلوس، إذ يبدو وهو يرسم على ورقة يضعها على ركبته. ومنها أيضاً تخطيط آخر لشخصين: الأول واقف والآخر جالس. وفي تخطيط ثالث يظهر أمامنا درويش بأكمام طويلة وهو يمتطي برذوناً. أما



صورة عن مخطوطة نيازي مولوي بغدادي

في الصف القريب من خط الأرض فيبدو شكل جمل غير تام الرسم.

وهناك تخطيطات أخرى مماثلة توضح لنا عمل نيازي في جمع التفاصيل المتفرقة لكي يؤلف منها، على مايراه آل سعيد، مواضيع متكاملة لصوره المصغرة الملونة.

تحمل هذه المحاولة في طياتها «مدى تطور الأساليب الفنية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مسيرتها نحو الرسم الخالص وفق الأساليب الغربية»(٣). مسار فننا التشكيلي يخالف أقوال آل سعيد، لأن الفنانين العرب اللاحقين على نيازي مولوي بغدادي انقطعوا عن رسوم المنمنمات التقليدية (٤)، التي يعود إليها نيازي في رسومه التخطيطية، بادئين بالتعلم من الأساليب الغربية، كما لو أنهم لايفقهون شيئاً في هذا المضمار. إن الفنانين الرواد (مثل راغب عياد في القاهرة أو عبدالقادر الرسام في بغداد أو محمد علي الرباطي في طنجة...) لم ينهلوا من فن المنمنمة أبداً حين تعلموا «الرسم الخالص» مع الغرب، بل وقفوا أمام اللوحة المسندية مثل موهوبين مبتدئين، دون أي تراث فني محلي. يخطئ شاكر حسن آل سعيد حين يؤكد أن رسم نيازي التخطيطي يعتبر من فن الرسم بالذات حلقة الوصل مابين رسوم المنمنمات التقليدية ورسوم اللوحات بالأسلوب الغربي، أسلوب المحاكاة عن العالم المرئي (٥). فمسار فننا التشكيلي اتخذ وجهة أخرى، مغايرة... للأسف. «حلقة الوصل» التي يتحدث عنها آل سعيد لم نعرفها في تاريخنا الفني القريب، فالفنان العربي انقطع تماماً عن الفنون المحلية، تقوده نزعة تشوفية إلى النموذج الغربي، بأساليبه وموضوعاته. «حلقة الوصل» لم تكن موجودة، وإلا لما عرفنا فناننا العربي، في فترة لاحقة (خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ومع الاستقلالات العربية)، أزمة «الهوية»، أزمة البحث عن الذات من خلال هذا «الفن الوافد». «حلقة الوصل» عرفناها لاحقاً، بعد عدة عقود من التمرس بالتقنية الغربية: فناننا العربي عاد إلى الفنون المحلية (منمنمات وخلافها)، ولكن بعد أن انقطع تماماً عنها، متوهماً أنه كان يتعلم أمراً أو شأناً، لامراجع محلية له. الفنان العربي الحديث «اتصل» في وقت متأخر، ومن جديد، بفن نيازي مولوي بغدادي، ولكن بعد أن تناساه ووضعه في قائمة الفن الفولكلوري أو الفن البائد أو الساذج أو التطبيقي. يتصل به من جديد بعد طول تغرب. مثل الحروفيين العرب الذين تعرفوا على قيمة الحرف التشكيلية في المدرسة الغربية، لا عند جارهم الخطاط في الدوحة أو في القاهرة، قبل سفرهم للدراسة الفنية في كاليفورنيا أو مدريد.

العـــــودة إلى المنبـــع بعــد طـــول سفـر وضيـاع في قـاعــات ومعـــارض الفـــن الغـــربي!



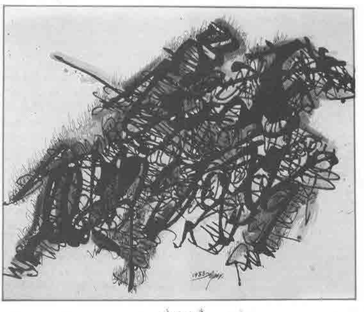
محفورة يوسف أحمد (١٩٨١).

لوحة الفنان القطري

لنعد إلى المخطوطة من جديد: أي شبه بينها وبين لوحة تشكيلية للفنان القطري يوسف أحمد، تصدرت الاعلان عن معرضه الخامس (٥).

عمل يوسف أحمد يقترب من عمل نيازي

نيازي مولوي بغدادي



فارس حروفي

مولوي ، غير أن الفنان القطري وضع تكويناته الحروفية بشكل منحن وفق ٤٥ درجة ، لاوفق الزاوية المستقيمة (٩٠ درجة) ، التي تعني ، هنا ، تقاطعاً تاماً بين العامودي والأفقي في عمل نيازي . هذه الوضعية المنحنية تكسر طريقة النظر ، لابل تجبرنا عليه بطريقة مغايرة ، دون أن تمنعنا من القراءة الأفقية (من اليمين الى الشمال) . نتبين في لوحة يوسف أحمد العبارة الدينية : « بسم الله ... » ، وتكوينات حروفية متكررة للباء والواو والهاء . هذه الوضعية المنحنية لاتمنعنا أيضاً من « القراءة العمودية » (من فوق الى تحت ، وبالعكس) ، حيث تتدرج الشرائط الخطية وفق أحجام متباينة ، غير رتيبة أبداً . التكرارية المنضبطة والمنبسطة في مخطوطة نيازي تصبح أكثر (حيوية » وتركيباً في لوحة أحمد . الصلة بينة وأكيدة (٦) بين العملين ، لكن طريق هذه الصلة كانت متعرجة ، غير متتابعة بأية حال .

جال يوسف أحمد (من مواليد ١٩٥٢) قبل أن يعود من جديد الى فن نيازي مولوي بغدادي ، أو بالأحرى الى استلهام مكونات التراث العربي ـ الاسلامي في اللوحة التشكيلية .

كان يلعب يوسف أحمد مثل العديد من الأطفال بالفحم ، ببقايا رماد الطبخ ، هو الذي كان يلازم أمه في المطبخ : فهو الابن المدلل ، الوحيد والصغير بعد ثلاث بنات . « كانت الفحمة مثل خامة سحرية أخط بها رسوماً عفوية ، حتى أنني نظمت في ١٩٦٢ أو معارضي ، في دهليز البيت . علقت رسومي على الورق بمسامير على الحيطان . كما أنني وجهت دعوات لبنات الحي .. » (٧) . عرض أحمد في معرضه « الشخصي الأول » هذا رسوماً مستوحاة من القصص والأفلام ، عرض قسماً من الخطوط الجميلة التي كان ينفذها لكتابة اليافطات والاعلانات ، في الحي أو في المدرسة . « كنت أخط دائماً . لكنه لم يكن يخطر على بالي أن أوظف الحرف في اللوحة . كان يستحيل عليّ أن اتخيل كتابة الحاء بغير الطرق والقواعد التي عرفتها مدارس الخط العربي » . الرسم عنده كان يعني المنظر الطبيعي ، والموضوع المشهد التقليدي ، الى أن نبهه الحروفي المصري يوسف سيده ، أستاذه في جامعة حلوان (٧٥ و ١٩٧٦) ، الى الاستعمالات الجديدة للخط . وفي « الميلز كولج » بكاليفورنيا راح يوسف أحمد يتبين طريقاً خاصة للولوج الى عالم الحروفية : « بدأت بتشريح الهمزة أو النقطة ، أي تكوينات كل حرف : للدخول الى أعماقه . عين الفنان باتت أشبه بعين المجهر . جربت استعمال الألوان ، فوجدتها غير مناسبة ، خاصة وأن السطح التصويري أبيض . صرت أواجه شيئاً فشيئاً مشكلة الفراغ في السطح التصويري : اتصارع معه ، دون مراجع خارجية ، دون ايهامات مقنعة مثل الحجم والضوء والبعد المنظوري » . يوسف أحمد بدأ يتلمس بنفسه بأن التوصل الى « الواقعي الملموس » أمر سهل ، أي أن الطريق إليه تمر بمراحل وأدوات معروفة ، أما التوصل الى التعبير عن « الأمر الداخلي » فهو الاصعب . يوسف أحمد بات يواجه مشاكل الفن الحقيقية ، والعربي منه بشكل خاص .

يوسف أحمد اتصل بنيازي مولوي بغدادي بعد طول غياب ، بعد طول سفر وضياع وبحث . فن بغدادي يبلبلنا ، لأنه يجبرنا على طرح مثل هذا السؤال : أما كان بالامكان أن يتابع الفنانون العرب الطريقة التي عبر بها نيازي عن فنه ؟ السؤال غير تاريخي بالطبع ، لأن وجهة التاريخ اتخذت مساراً مختلفاً ، هو الاقتداء بالنموذج الغربي (حتى حين جرى تحميله وتضمينه محمولات ودلالات محلية ، ذات مراجع تراثية وقومية) . قد لايكون نيازي مثلاً استثنائياً بين الفنانين العرب ، في العراق وغيره من البلدان العربية ، في نهايات القرن التاسع عشر ، إذا لم تصلنا نماذج فنية مماثلة لغيره . فقد ضاعت ربما مع غيرها من الانجازات الفنية (٨) .

اتخذ التاريخ مساراً مختلفاً : الطلاب المصريون الذين اندفعوا للانتساب الى « مدرسة الفنون الجميلة » بالقاهرة في ١٢ أيار/مايو ١٩٠٨ عبروا طرقاً وشوارع ، لم تكن قد انقرضت فيها الحرف الشعبية والفنية ، دون أن يبالوا بها مطلقاً . هي القيم البائدة والمتخلفة أمام القيم الجديدة الوافدة ، التي كانت تبهر عيونهم بقدر ماكانت تسطع في بيوت الأثرياء ، المصريين مثل الأجانب ، المزدانة باللوحات والتماثيل . كانوا يركضون غير عالمين طبعاً بما يحتفظ لهم التاريخ في جعبته من مفاجآت : عليهم أن يعودوا القهقرى الى محترفات القاهرة القديمة ، ولكن بعد أن أقاموا زمناً في محترفات الغربيين في « حي الخرنفش » .

بعد رحلة الانبهار

هل الانبهار وحده هو الذي يفسر كل هذا ؟ وهل هي عودة « الابن الضال » بعد

الطيش والنزوات ؟ الفنان العربي تعلم شيئاً مختلفاً ، هو تقنيات التصوير الزيتي ومتفرعاته . وحين عاد الى فنونه المحلية لم ينتج هذه الفنون كما توارثها ، بل وفق صيغة محورة ومحرّفة .

لنعد الى المخطوطة ، والى عمل يوسف أحمد من جديد ، هناك تشابه بين العملين ، أو صلة نسب ، وهناك اختلافات أيضاً . المخطوطة تحترم أصول الكتابة وأصول فن الخط أيضاً . أما عمل يوسف أحمد فهو يجعل الكتلة الخطية تنحني . قد تبدو هذه الانحناءة للبعض بسيطة ، طالما أنها لاتخل بأساسيات التكوين الفني ، لكنها ليست بسيطة ولاسهلة أبداً إذا ما أقدم عليها في حينه خطاط مثل نيازي . كان يصعب (حتى لانقول يستحيل) على خطاط مثله أن يكسر مثل هذه القاعدة . إلى هذا نفذ نيازي خطوطة بالحبر الأسود على الورق (كما هو عليه الحال مع الخط) ، أما يوسف أحمد فقد نفذه على محفورة ، وهو حامل فني غربي لم نعرفه قبل هذا القرن .

إنهما عملان مختلفان ، إلا أن الصلة قائمة بينهما . لهذين العملين « مدخلان » للقراءة : لغوي وبصري . هذه البنية المتكافلة ذات السندين نجدها في العدد الواسع من الأعمال الحروفية العربية . اللوحة تقوم على سندين ، لغوي وبصري ، يتكافلان في الأداء الفني .

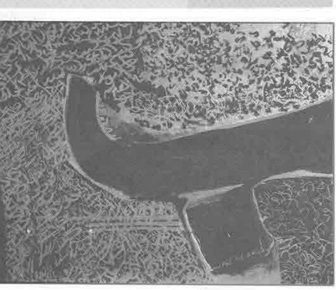
الفنان العربي « حوّر » الحامل الغربي ووظفه لصالح حاجياته التعبيرية . عمل يوسف أحمد يطوّع المحفورة . فهو ليس عملاً غرافيكياً بصورة تامة ، أو تجريدياً بصورة قاطعة ، طالما أن العمل الفني يميل الى « معنى » بيّن وواضح . هذا العمل لا يحاكي واقعاً مرئياً ولايشخص ، لكنه يتعامل مع التجريد من زاوية خاصة مخففة إذا جاز القول ، غير الطريقة الغربية على أية حال . هل ينتسب عمل يوسف أحمد الى الفن الغرافيكي أو الى الفن اللاشكلاني ؟ نعم ولا .

يوسف أحمد يتصل بنيازي مولوي بغدادي بعد رحلة في الفن الغربي انبهر فيها بالفن الوافد ، عاملاً على تملكه ، أي على تحريره ، باحثاً على تحويره وتطويعه لأداء حاجاته التعبيرية .

التاريخ اتخذ وجهة معينة ، ومع ذلك لم يزل نيازي مولوي يبلبلنا ، متكوماً على أجوبته .

شربل داغر




حبر وزيت : أحمد يستقصي معالم الباء الداخلية

الهـوامـش :

١ ــ يعود الفضل في الكشف عن هذا الفنان المغمور للفنان والناقد العراقي شاكر حسن آل سعيد . راجع : « فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق » (الجزء الأول) ــ بغداد ــ دار آفاق عربية ــ ١٩٨٣ وراجع أيضاً : « حضارة العراق » (الجزء الحادي عشر) في فصل عن فنون الكتاب لأسامة ناصر النقشبندي ــ بغداد ــ ١٩٨٥

٢ ــ المرجع نفسه : ش .ح .آل سعيد ــ ص ٤٦

٣ ــ م . ن : ص ٤٩

٤ ــ الفنان الجزائري محمد راسم (١٨٩٦ ــ ١٩٧٦) جدد فن المنمنمة لا بل استعاده وحسب ، وتبعه في ذلك عدد من الفنانين الجزائريين ، من أمثال : محمد تمام ، محمد غانم وعلى الخوجه . إلا أن هذه التجربة ظلت استثنائية عربياً ، ومالبثت أن انطفأت حتى في الجزائر نفسها .

٥ ــ جرى المعرض الخامس في شباط ــ فبراير ١٩٨٣ في فندق الخليج ، وصدر في هذه المناسبة كتيب عن تجربة يوسف أحمد وضعه الشاعر حسان عطوان بعنوان : « حين يتوهج الخليج وجداً وحباً ــ يوسف أحمد يرسم بالكلمات » .

٦ ــ يوسف أحمد لم يكن يعرف تجربة نيازي مولوي بغدادي مطلقاً حين تحدثت معه ذات صيف في المغرب عن هذا اللقاء الذي حدث ... صدفة بينه وبين نيازي .

ولكن يالها من صدفة تحمل معنى الضرورة !

٧ ــ من حديث خاص مع الفنان ، كذلك الاستشهادات اللاحقة .

٨ ــ عائلة نيازي هي التي احتفظت بهذه التركة الفنية النادرة ، لا أية جهة رسمية .

كلمات لها تاريخ

بقلم: عباس خضر

سنة ١٨٩٨ نشر «اليازجي» الأديب الصحفي في مجلة «الحياة» اقتراحاً بإطلاق لفظ «سيارة» على «الأوتومبيل» وكان الاقتراح ورد إلى المجلة من «حضرة أحمد أفندي زكي الموظف بنظارة مجلس الوزراء» وهو الذي صار فيما بعد أحمد زكي باشا شيخ العروبة، وكان من رجال الفكر العربي المعدودين في مصر وفي سائر البلاد العربية. أما ابراهيم اليازجي فهو لبناني الأصل جاء إلى مصر وأقام فيها وأصدر مجلته «الحياة» الشهرية

وقامت زوبعة لغوية كبيرة حول «السيارة». قال المعارضون: كيف نطلق هذه الكلمة على «الأوتومبيل» ومعناها في اللغة القافلة أو الجماعة المسافرة السائرة؟

وقال المؤيدون: ولم لا؟ أليس «الأوتومبيل» يسير ويسافر مثل الجماعة المسافرة بل أحسن منها: ثم هي كلمة عربية خفيفة على اللسان حسنة الجرس، وهي أولى من الكلمة الأعجمية.

وانتصر المؤيدون، وسارت السيارة لا يقف في طريقها أحد.

وكان من المعارضين أحمد لطفي السيد الملقب بأستاذ الجيل. وكان رأيه أن «الأوتومبيل» كلمة لا غبار عليها، وأن الاسم الذي يطلق على شيء في منشاه بأية لغة هو الأجدر بالبقاء. ويشاء القدر أن يكون صاحب ذلك الرأي في أواخر حياته رئيساً لمجمع اللغة العربية الذي كان من أهم أغراضه وأعماله وضع ألفاظ ومصطلحات عربية للمستحدثات بدلاً من أسمائها الأجنبية. وقد تضمن المعجم الوسيط الذي أصدره هذه الألفاظ والمصطلحات التي اقترحها بعض أعضائه ووافق عليها مجلس المجمع.

القهوة

من الألفاظ التي وافق عليها كلمة «القهوة» اسماً للمكان المعروف الذي تعد القهوة أهم مشروب فيه على سبيل التغليب. اقترحها العضو أحمد حسن الزيات ضمن كلمات أخرى. ومما يذكر أن كلمة «المقهى» لا تتفق مع القواعد العربية، لأن اسم المكان انما يشتق من فعل ولا فعل هنا.

غير ذات موضوع

هذا التعبير استظرفه الناس وسار على الألسنة وأقلام الصحفيين ردحاً من الزمن.. قال أحمد لطفي السيد باشا، وكان وزيراً، عن المعاهدة بيننا وبين الانجليز إنها أصبحت غير ذات موضوع.

الثقافة

قال «الفيروزباتي» في «القاموس المحيط»:

«ثقف ككرم وفرح ثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفاً فطناً فهو ثقف كحبر وكتف وأمير» وقال: «ثقفه كسمعه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه»

وأول من استعمل كلمة الثقافة بالمعنى الحديث الذي يشمل الأخذ من كل شيء بطرف وتحصيل المعارف المختلفة والتأثر بها هو محمود عزمي الكاتب الصحفي الكبير الذي كان من أصحاب الأقلام المضيئة بمصر والعالم العربي في أوائل هذا القرن.

الواقعية

لعل أول من نبه إليها في عالمنا العربي هو محمد لطفي جمعة، سماها «الطريقة الحقيقية» إذ كتب مقدمة لرواية له اسمها «في وادي الهمم» ظهرت سنة ١٩٠٥، قال في تلك المقدمة:

«وليعلم القارئ الكريم أن فن الروايات منقسم إلى قسمين القسم الأول يسمونه (رومانتيك) أي الروايات الخيالية والقسم الثاني يسمونه (ريالتيك) أي روايات حقيقية، فالأولى هي التي تصور البشر كما يجب أن يكونوا لا كما هم في الحقيقة. والثانية تمثل البشر كما هم بنقائصهم ومعايبهم ومخازيهم» إلى أن قال عن (بلزاك) انه «أول من بدأ بكتابة قصصه على الطريقة الحقيقية».

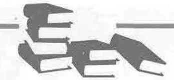
وعندما ظهرت «المدرسة الحديثة» قال أعضاؤها عن (الريالتيك) إنه «مذهب الحقائق» وكان ذلك حوالي سنة ١٩٢٠ وكان أحمد خيري سعيد هو الاستاذ الموجه لهذه الجماعة التي سميت «المدرسة الحديثة» وأغلب الظن أنه هو الذي وضع اسم «الواقعية» نسبة إلى الواقع، وجرى القوم بعده على ترديد هذه الكلمة حتى انتشرت وصارت كما نراها الآن وبدأ أعضاء هذه المدرسة يكتبون القصة القصيرة الحديثة فكانوا روادها في الأدب العربي الحديث، وسلكوا فيها مسلك الواقعية في تصوير المجتمع المصري. منهم محمود تيمور وعيسى عبيد وأخوه شحاته ومحمود طاهر لاشين ثم يحيى حقي الذي كان أصغرهم في السن، أطال الله عمره ومتعه بالصحة.

المجتمع

هذه الكلمة التي تنطقها وتكتبها الآن سهلة ميسورة ـ تعب فيها الأوائل وبحثوا عن اسم لما سمي «المجتمع» فقال بعضهم «الهيئة الاجتماعية» إلى أن جاء الدكتور محمد حسين هيكل فقال في روايته «زينب» التي تصدرت قافلة الروايات العربية الحديثة ـ قال إنها «الجمعية» واستمر الحال كذلك بين «الهيئة الاجتماعية» و «الجمعية» حتى قفزت كلمة «المجتمع» على السطح: فتلقاها قومنا بالترحيب وساروا عليها إلى يومنا هذا. من أين جاءت ومن وضعها؟ لا أدري و «لا أدري» نصف العلم كما يقولون.

عقدة الخواجة

ونصل في خاتمة المطاف إلى «احسان عبدالقدوس» الذي ساءه التهوين من شأن الرواية العربية وفيها شوامخ لا تقل عن الشوامخ العالمية، وهذا حق. فكتب كلمة بعنوان «عقدة الخواجة» في مجلة روزاليوسف حين كان صاحبها ورئيس تحريرها قبل التأميم. وقد انتشرت «عقدة الخواجة» على الألسنة والأقلام، وشملت مختلف الشئون ولم تقتصر على الأدب، وكثر استعمالها في البضائع الأجنبية التي يفضلها البعض على المنتوجات المحلية، ولو كانت هذه جيدة، ولكنها عقدة الخواجة..





بقلم: الدكتور محمد البهي

القناعة

لا يمل الطفل توجيه السؤال لوالديه — وحتى الأجنبي عنهما — لحاجة أو لغير حاجة. فمن خصائص طفولته حب الذات، أو الأنانية. والأنانية من شأنها أن تسعى الى اقتناء مايقع عليه النظر والى جمعه وتحصيله ولو كان مكرراً، ولو لم تكن هناك حاجة تدفع الى تحصيله. وأنانية الطفولة من أجل ذلك: هي المصدر في كثير من الأحايين لبكائه أو لصياحه، أو لاشتباكه مع أطفال آخرين معه يسعون كذلك الى الاقتناء والتملك في الدائرة التي يعيشون معاً فيها.

وظاهرة: الشره في التحصيل والاقتناء — بغض النظر عن الحاجة أو عدم الحاجة — التي تبدو واضحة في الطفولة، تستمر كذلك بعد الطفولة، ولكن في صورة مقنعة. ولا يضع لها حداً في تطور مراحل الانسان الا تكوين عادات أخرى عن طريق الدين والخشية من الله، والتقرب إليه كذلك. وعبادتا الصوم والزكاة لهما دورهما الواضح في الحد من أنانية الانسان ومن دفعه الى وعي «الوجود المشترك» بينه وبين غيره في مجتمعه وأمته. وعن هذا الوعي بالوجود المشترك لايخفف الإنسان من أنانيته، بالإمساك عن «خطف» مابيد الغير فحسب — كما يفعل الطفل — وانما يسلك سلوكاً آخر مقابلا لمسلك الأنانية، وهو: أنه يعطي لغيره، دون أن يأخذ بديلا عما يعطي.

و «الغضب» الذي يباشره الإنسان الذي تجاوز مرحلة الطفولة هو ظاهرة «لشره» الأنانية التي تبدو في سن الطفولة، والتي بقيت رواسبها متمكنة في نفس الغاضب. لأن هذا الغاضب لم يُعَوَّدْ على عادات أخرى، تحمله على الوعي بالوجود المشترك بينه وبين غيره.

و «القناعة» التي يوصف بها الانسان «القنوع» هي: «الرضى» بما يقع في يد الإنسان القانع وبما يقسم له من متع الحياة. فإذا تطورت «القناعة» الى الرضاء «بما يفي الحاجة» من مال القانع كانت القناعة عندئذ خلقاً إنسانياً كريماً.. كانت فضيلة.. كانت إمارة قربى الى الله تعالى. فرضاء الإنسان بما قسم له في الحياة أو بما وقع في يده مما يدفع به الانسان حاجته في الحياة من أجل العيش، هو في واقع الأمر: رضاء «بقدر الله» جل جلاله: «وأنه هو أغنى وأقنى» (النجم: ٤٨).

والرضاء بقدر الله هو طاعة الله وقربى اليه في الوقت نفسه. ولكن الرضاء بما يفي بالحاجة مما يملك القانع مع القدرة على مافوق الحاجة.. أي مع القدرة على الترف، هو رضاء عن إرادة ومشيئة، وليس رضاء عن عجز أو فقر. فهو أكثر قربى الى الله. وهو أدخل في إنسانية الإنسان، إذا أنفق مازاد عن حاجته في سبيل الآخرين.. في سبيل حاجاتهم المتنوعة.

وهنا لايعد البخيل أو المقتر على نفسه وأهله ورحمه «قانعاً»، أي صاحب رضاء بما يفي بحاجته مع القدرة فوق الحاجة. لأن البخيل يمسك مازاد عن الحاجة لنفسه — وربما لنفسه فقط — فهو أناني يشبه ذلك الطفل صاحب «الشره» في جمعه لنفسه كل مايقع عليه بصره؛ وإن لم تكن به حاجة. أما ذلك الذي يأخذ قدر حاجته من ماله ويترك الباقي منه لغيره فهو إنسان تمكنت منه الإنسانية التي تتمثل في الوعي بوجود الآخرين معه، وبحقهم في الحياة.

وهنا الآن ثلاث صور للإنسان في علاقته بما يحيط به من متع الحياة وإغراءاتها:

الصورة الأولى: للطفل في مرحلة طفولته، وهي صورة الأناني الشره في تحصيل مايستمتع به لحاجة أو غير حاجة.

والصورة الثانية: للإنسان الذي تجاوز مرحلة الطفولة، ويرضى بما قسم له في الحياة وبما يصيبه من متعها. فهو إنسان طيع لله وراض بقدره.

والصورة الثالثة: للإنسان الذي يرضى بما يفي بالحاجة من المال الوفير الذي يملكه، على أن يترك الزائد لغيره. فهو لايرضى عن عجز وفقر، وإنما عن قدرة وإرادة.. وانما عن تقرب الى الله وعن مزيد في طاعته. وهذه الصورة الثالثة تعكس الانسانية وقيمها. لأنه اذا كان الانسان الطفل لم يزل بأنانيته وهواه وغرائزه في دائرة الحيوان فلا يعرف الا نفسه وذاته، فهذا الإنسان الذي يشرك غيره فيما يملك: يوجد الآن في دائرة الإنسانية، التي تقابل تماماً دائرة الحيوان في فصائله المختلفة ومن هنا كانت «القناعة» عن مقدرة: تقرباً للانسان لما عليه المولى جل جلاله في غناه.

فإذا وصف سبحانه نفسه بالغنى، على نحو مايذكر القرآن الكريم في قوله: «واعلموا أن الله غني حميد» وفي قوله: «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين».. فغناه جلت قدرته غناء ذاتي، أي أنه اكتفى — ويكتفي — في وجوده بذاته، وليست له حاجة الى غيره. والذي يقنع عن إرادة بما يفي بحاجته من ماله، على أن يترك الباقي لغيره، هو أشبه بأن يحقق لنفسه اكتفاءً ذاتياً. إنه يوم تكون له حاجة يحاول أن يستغني عن تلك الحاجة، ولايسأل غيره. وهو إذ يحاول الاستغناء عن الحاجة وعدم سؤال الغير يستعين بالصبر وبالتحمل. فهو كريم على نفسه، ولا يتركها لذلة السؤال إن احتاج، حين يعطي غيره إن ملك.



في حفل الافتتاح

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السّعوديّة

... الجزيرة العربية وإهتماماتها الروحية ، أرض البطولات والأمجاد وأصالة التراث ورسوخ العقيدة وإنتصار القيم العليا والمثل الرفيعة ... تعايش الحاضر بكل الشموخ والثقة والثبات كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ... وتتطلع الى مستقبل يحدوها الأمل في الله .... ثم في عزائم الرجال المفعمة قلوبهم بالحب والإيمان !

كانت هذه الصورة الوجدانية وإيحاءاتها الخيِّرة ... تصافح أبصارنا ، وتعمر بها بصائرنا طوال أيام المهرجان الوطني للتراث والثقافة على أرض المملكة العربية السعودية ... ذلك الملتقى الفكري الرائع الذي احتفلت به البلاد في النصف الأول من شهر رجب عام ١٤٠٦ للهجرة ، وشهده لفيف من مفكري الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ، تلبية لدعوة كريمة من قيادة الحرس الوطني الذي يتبنى هذه المهرجانات .

لقطة حية من المهرجان



بقلم : جمال قطب

... ما أحوجنا إلى مثل هذه المهرجانات التراثية العربية الاسلامية ... فلم يزل مهرجان العالم الاسلامي الذي أقيم في العاصمة البريطانية في صيف عام ١٩٧٦ عالقاً بالأذهان ... لقد أقام الدنيا آنذاك ولم يقعدها ... وصحح أمام أنظار العالم كثيراً من الأخطاء ، وصحح تراكمات الادعاء والافتراء على الحضارة العربية وعلى الاسلام والمسلمين .

وأخرجت إدارة المهرجان يومها سيلاً من المطبوعات الأنيقة والمراجع النادرة ، تتناول كلها عراقة الحضارة والثقافة العربية وتأثيراتها في تقويم مسار الفكر الانساني عبر قرون التاريخ . وكانت إسهامات المملكة العربية السعودية في ذلك المهرجان ملء الاسماع والأبصار ... وبرز كثير من علماء الغرب الأجلاء المخلصين الذين كرسوا حياتهم لانصاف الحضارة الاسلامية وابداعاتها الرائدة ... ونخص بالذكر عالمين كبيرين هما لويس برناردورتشارد إتينجاوزن ... وهما اسمان شهيران في مجال عبقرية البحث والاستقصاء والنزاهة والأمانة العلمية . وكان مهرجان لندن بمثابة رد فعل عيف ، هز العقل الغربي من الأعماق حتى ينفض عنه ماعلق به من أدران التقولات والأحقاد التي كان الانسان العربي والحضارة العربية هدفاً لها ... وعلى مدى قرنين من الزمان ... ومنذ تفتت الدولة الاسلامية وتولي عهود الفرقة والاستعمار ، جارت علينا الأيام بأهوائها وأعاصيرها وأنوائها ... وتخلفنا عن ركب الحضارة ، منغمسين في مشاغلنا ومشاكلنا الاقليمية ، وتركنا ميدان البحث والتأليف لجموع المغرضين والغرباء المستشرقين ، فرأينا سباقاً غريباً بين علمائهم وفنانيهم ومؤرخيهم للجوء إلى بلادنا في المشرق والمغرب .

وشهد القرن الماضي وأوائل هذا القرن ذروة الهجمة الشرسة على مقدساتنا وأمجادنا وعاداتنا وتقاليدنا ! فتأملات مؤلفاتهم بسيل من الأكاذيب والتحريف والتأويل لترسيخ الأفكار بأن العرب لم يؤهلوا ـ بطبيعتهم ـ للابتكار والبحث والتذوق الفني ! ! ولما كان الميدان خالياً لهم دون غيرهم ، لايسمعون فيه إلا وقع أقدامهم وصدى آرائهم المغرضة ، تسلل فريق منهم الى كل مرافق حياتنا .. بل وتولى بعضهم مناصب ثقافية قيادية في بلادنا ... ومن منطلق هذه المناصب العلمية الرفيعة ، كانت لهم الكلمة العليا والرأي القاطع فيما يتعلق بتاريخنا وآثارنا وتراثنا ، كما حدث في القاهرة مثلاً عام ١٩٣٣ إذ رأينا

مبيتاً ، لم يجد من يضحده أو يحد من تفاقمه ... ومن هنا تأتي أهمية الجمع بين المعاصرة والتطور واللحاق بالركب في سباق الحضارة المادية في عالم اليوم ، والتسلح بالقيم الروحية في أنماط سلوكياتنا الحياتية في الوقت ذاته ، وربما كانت هذه التعادلية عند الانسان العربي المعاصر هي الجوهر الثمين الذي لايجب أن نفقده في هذا الزمان المتخم بالاحقاد والصراع والتسابق اللاهث للتفوق والسيطرة ! ومن هذا المنطلق ، تأتي أهمية الاعتزاز بالثقافة والتراث وتأكيد الشخصية العربية الاسلامية ، وتعميق مفهوم الأصالة والانتماء !

وفي غرة شهر رجب من كل عام ، يأتي مهرجان التراث والثقافة الذي ينظمه الحرس الوطني السعودي على أرض الحرمين ... وكما قال الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز :

« ومهما بدت لنا مفردات هذا التراث بعيدة الصلة بلغة عصرنا المتطورة ، إلا أنها تعايشنا في كل مناحي حياتنا ، لأن هذا التراث هو المسئول عن صياغة الوجدان العام ، وبناء علاقاتنا الاجتماعية ، وأنماط سلوكنا ومواقفنا من الحياة ولأننا أمة ذات عراقة تراثية مجيدة ، فلابد لنا من إضاءة وعينا بهذه الايحاءات الخيرة ، ترسيخاً للانتماء ، وتأكيداً للشخصية ، وتعميقاً للأصالة ، ذلك هو الجسر الذي يقيمه هذا المهرجان بين الأجيال المتعاقبة ... »

الحرس الوطني : درع يحمي ومصباح يضيء

قبل أن تشتط بنا الخواطر ، فلنتأمل كلمات النشيد الوطني السعودي ومعانيه السامية ... إنه دعوة من القلوب المؤمنة إلى أرض الوطن للنهوض والتسبيح :

سارعي للمجد والعلياء
مجدي لخالق السماء
وارفعي الخفاق أخضر
يحمل النور المسطر
رددي : الله أكبر
ياموطني
عشت فخراً للمسلمين ...

ومن هذا الشعار ، ومن إلهاماته الروحية ، استنارت بصائر أولي الأمر ممن سعدنا للقائهم أو سعوا للقائنا بكل التواضع والحفاوة والترحيب . ونحن نعرف أن فكرة المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، نادى بها ونفذها على مسرح الواقع ... الحرس الوطني السعودي ،



الشيخ عبدالعزيز التويجري يرحب بنا في حفل العشاء الذي أقامه لنا في بيته .



الملك فيصل «الفارس» إحدى لوحات الأمير خالد الفيصل

(عالما) أثرياً مثل (كريسويل) يتربع على أخطر منصب للآثار والتراث الاسلامي ... فقد عين حينذاك مديراً لمعهد الآثار الاسلامية ليتخرج على يديه كل باحث ودارس للتاريخ والحضارة والفن الاسلامي ! وتوالت مؤلفاته [التي أصبحت بكل أسف من أوثق المراجع العالمية حتى يومنا هذا] تحمل في طياتها كثيراً من الافتراءات والمغالطات ... وقد عمل جاهداً على إنكار أي فضل للعرب في قيام الحضارة الاسلامية ! كما كان يصفهم بالتخلف والسطحية والبداوة والخشونة ، وبأن عالمهم الفكري لم يتعد خيمة سوداء كالحة وناقة يركبونها ثم مثوى في قبر تحت رمال الصحراء الجرداء ! أما إذا تصادف وتحدث عن أثر علمي أو فني ، فلابد وأن يكون مستورداً ! وقد سبق كريسويل في هذا المضمار عشرات من هؤلاء المستشرقين ، من أهمهم راهب يدعى (لامانس) كانت مؤلفاته تتفجر حقداً على العرب حينما يصفهم بقوله : إنهم ماكانوا يهتمون إلا بالطعام وسعة القدور !

ومن هذه الأمثلة الظالمة ، تضم المكتبة العالمية الكثير والكثير ! وفي هذه الحملات الجائرة نرى ــ كعادة الفكر الغربي ــ أن الوقائع التي ألفوها ونسجوا خيوطها على هواهم ، كلها مادية مجردة من العقيدة والقيم الروحية والسلوكيات الانسانية . وبالرغم من أن أعلام الاسلام ومفكريه وعبقرياته في شتى فروع المعرفة قد تركت آثارها ومآثرها واضحة خالدة في ضمير البشرية يشهد بها المنصفون في كل زمان ومكان ، إلا أن هذه الحملة الباغية في عهود الاضمحلال العربي في العصر الحديث ، قد اتخذت شكلاً استفزازياً وتياراً عدائياً

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعوديــة

ـانظر في أرجاء القاعة الفسيحة ، فلن تجد طفاية سجائر واحدة .

وهو ليس مؤسسة عسكرية بحتة كما قد يتبادر إلى الأذهان ، ولكنه بجانب واجباته والتزماته الدفاعية ونشر الأمن والأمان في ربوع المملكة المترامية الأطراف (إذ تبلغ مساحتها ٢،٢٤٠،٣٥٠ كيلو متر مربع) يشارك مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات الأخرى في بناء الإنسان الحضاري المسلم المعاصر . ويرتبط تاريخ نشأة الحرس الوطني في جذوره مع نشأة وتطور المملكة . منذ أن بدأ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مسيرته عام ١٣١٩ هـ لتحقيق وحدة البلاد تحت راية التوحيد ، ثم إرساء دعائم الدولة بعد ذلك . وفي عام ١٣٧٤ صدر الأمر الملكي بإعادة تنظيم الحرس الوطني ليضم أولئك المجاهدين الذين ساندوا الملك عبدالعزيز رئاسة الحرس الوطني . حيث وضع الخطط الطموحة ليصبح مؤسسة عسكرية حضارية تواكب التطور المعاصر ، ولتقوم بدورها في البناء والثقافة وكافة مرافق الحياة ... ولتكون قوة دافعة في طريق تقدم البلاد وازدهارها ... وفي عام ١٣٨٧ عين الأمير بدر بن عبدالعزيز نائباً لرئيس الحرس الوطني ليسهم في قيادة المسيرة الخيرة ... وكما ذكرنا كان ولايزال الاهتمام الأساسي هو بناء الإنسان ... فبجانب المعاهد والكليات العسكرية المتخصصة التي تأخذ بأحدث معطيات التقنيات العلمية . وتشكل فرق الفدائيين المقاتلة ، وإنشاء سلاح الفرسان للحفاظ على أصول وتقاليد الفروسية العربية ، وتبني المتطوعين والراغبين في احتراف الخدمة العسكرية النظامية ... نجد أن قيادة الحرس الوطني تقوم في الوقت ذاته ببناء المستشفيات والمدن السكنية والنوادي الرياضية ، ودور حفظ القرآن الكريم والمعاهد الثقافية والتعليمية ومشاريع خدمة حجاج بيت الله ... كما تقيم المهرجانات والمؤتمرات والمعارض والاحتفال بأسبوع الشجرة وأسبوع النظافة ... وغيرها من النشاطات والخدمات التي تغطي متطلبات الحياة المعاصرة .

...

ولاغرو أن يتحمل الحرس الوطني مسئولية الحفاظ على التراث وثقافة الجزيرة العربية ... فيقيم المهرجان الأول في العام الماضي ... وهذا هو المهرجان الثاني ، الذي شرفنا بحضوره ، والمساهمة المتواضعة في نشاطاته وندواته بالرأي والفكر والمناقشات .

خواطر ذات شجون

ولندع جانباً الحديث عن روعة الاخراج ودقة الاعداد والتنظيم وحاتمية الكرم ... فكما ذكرت لقد أفاضت وأجادت وسائل الاعلام العامة أو الخاصة بمكاتب الحرس الوطني في تغطية الأحداث بكل تفاصيلها ووقائعها ، ولم يبق لي إلا أن أرجع الى وريقاتي المتناثرة التي كنت أسجل فيها خواطري وانطباعاتي عقب كل جولة أو ندوة أو لقاء ... وجدتها فيضاً وجدانياً مسهباً يغطي صفحات هذه المجلة كلها أو يزيد . وقد عودتنا الصحافة أن نختصر ونختزل لنعطي قطرات صغيرة من نهر كبير ، حتى لانغرق في فيضانه أو نتوه في روافده وشجناته !

** ... كان اجتماع الوفود الثقافية مع الأمير عبدالله في قصره العامر بمثابة سهرة عائلية تتسم بالمحبة والفطرة والتلقائية والبساطة والصراحة ... وتكلم المضيف الكبير ... حديثاً من القلب الى القلب ... اقناع هادئ ، رقيق كنسمة الربيع ... ولكنه مستقيم قاطع كحد السيف ، ودارت المناقشات ، وانسابت الخواطر حرة على سجيتها جادة مسترشدة مستفسرة أو مرحة سامرة باسمة أو معجبة مبهورة شاكرة ... وكان يجلس بجانبي الكاتب المصري خفيف الظل محمود السعدني ... رأيته يخرج سيجارة من علبته ، فهمست في اذنه :

ـ يبدو أن التدخين ممنوع في مجلس الأمير .

ـ هذه مشكلة .. ولكن كيف عرفت ؟

ـ أنظر الى أرجاء القاعة الفسيحة ، فلن تجد طفاية سجائر واحدة

ووجدها السعدني فرصة للتعليق والمزاح لايجب أن يضيعها كعادته ، ولاسيما وأن روح المرح التي سادت الجلسة الطويلة الممتعة قد أضفت على الحضور جواً من الألفة ورفع الكلفة . فانبرى قائلاً :

حقاً ياسمو الأمير أنهاساعات هانئة ممتعة . ومن أهم فوائدها النفسية والصحية أن (دمنا محبوس) فلم نستطع أن ندخن على مدى الساعتين الماضيتين ...

واستغرق الأمير والحاضرون في الضحك والتعليقات الجانبية المازحة .

** ... حكى لنا الأمير عبدالله أن أحد الاعلاميين الأجانب طلب من سموه أن يحضر مجلساً ليرى بنفسه استقبال الأميرلجموع المواطنين على اختلاف طبقاتهم والاستماع اليهم وتحقيق طلباتهم ... وحضر الرجل .. وشاهد ماأراد وعندما انفض الناس قال للأمير وهو بين الذهول والعجب والاعجاب : استطيع أن أؤكد لكم أن هذا الذي رأيته اليوم لايمكن أن يحدث في أي مكان في أكثر دول العالم ديمقراطية ! وبالرغم من أنه شيء رائع ولكنه خطير في الوقت ذاته فقد يندس أحد بين هذه الجموع الحاشدة التي تدخل عليك دون رقابة أو تحفظ أو تفتيش .

فنظر الأمير عبدالله الى ضيفه وقال له : لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا . وإذا حان أجلنا فلن نقدمه أو نؤخره لحظة واحدة ! وأضاف الأمير موجهاً حديثه الى ضيفه :

اسمع هذه القصة : كان أعرابي يجاهد في سبيل الله بسيفه بغير درع ولاحيطة ولاحذر ، فقيل له . لماذا لاتحترس وتحمي نفسك تحسباً من أن يغدر بك أحد . فقال الأعرابي المؤمن قولته الموجزة البليغة :

إن الله صادق ، وإني لست طماعاً ! !

وقصد بذلك أن الله سبحانه وتعالى صادق في وعده الحق : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .. « إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » . وأنه (أي الأعرابي) لايطمع في إطالة عمره ساعة إذا حان أجله الذي حدده له خالقه .

وتفرعت الأحاديث ، وناقشنا أمور الثقافة والفن والصحافة ... ومسئولية المفكر والكاتب العربي وأدلى كل منا برأيه . وتركز الحديث لبعض الوقت على مهمة الكاتب السياسي ووجوب أن يتوخى الصدق وأمانة الكلمة



معارض الفنون التشكيلية واللمسات الجمالية في كثير من فعاليات المهرجان

وشرف المهنة الصحفية، وألا يخشى في الحق لومة لائم...

وقلت للأمير مشاركاً في هذه المناقشات المثيرة: ياسمو الأمير: ان مهمة الكاتب السياسي في عالمنا العربي صعبة وحساسة وشائكة، فلابد أن تفسر آراؤه من وجهتي النظر المتعارضتين: الرأي والرأي الآخر... فريق المؤيدين وفريق المعارضين.. هذا يمين وهذا يسار... كان الله في عون من يكتبون في السياسة، ولكن الفن والأدب والثقافة الانسانية، هي الوحدة الوجدانية للانسان العربي في كل مكان ونتفق جميعاً على مكانتها ورسالتها السامية، وهانحن أولاً نشارك المملكة مهرجانها التراثي الثقافي في انطلاق ايجابي وبغير عقد أو تعقيدات، وسيظل الفكر الابداعي هو الوحدة الحقيقية التي يجب أن نرعاها ونشجعها لتصقل بصائرنا العربية في منأى عن التقلبات السياسية أو التعصبات الاقليمية أو النزعات المتباينة المتعارضة!

وأجاب الأمير في سماحة ورضى: ان ديننا الحنيف يحضنا على العلم والثقافة والتزود بالمعرفة، ولعل هذه المناسبة التراثية هي ثقافية فنية في المقام الأول... وأراكم جميعاً من أصحاب الابداعات الفكرية التي نعتز بها، فعليكم أن تؤدوا الرسالة... وأنتم جديرون بتحمل أعبائها... عمقوا الشعور بالانتماء الى أصولنا العريقة... الى جذورنا العربية الاسلامية الخيرة... ولاتيأسوا، فكما يقال: كثرة الدق تفلق الحجر!

وهكذا دارت الأحاديث... وتهادت الأفكار في الجو الأسري الجميل... ومرت الساعات وكأنها لحظات... فما أقصر الأوقات الهانئة وان طالت في حساب الزمان.... وخرجنا بانطباع مشترك هو الاعجاب الى درجة الانبهار بشخصية الأمير عبدالله بن عبد العزيز... تلك الشخصية الفذة المتواضعة الواعية المهيبة...

في نادي الفروسية... ودعـوة الى القاهـرة

في نادي الفروسية... أقام لنا الأمير بدر بن عبدالعزيز حفلة عشاء كريمة، حضرها الأمير حمود بن عبدالعزيز وجمع كبير من الأمراء ورجالات المملكة. وأفاض الأمير في كرمه على المجموعة المصرية، فدعا القائم بالأعمال في السفارة المصرية متصدراً الحفل الى جواره... وكان عشاء سامراً زاخراً بصنوف الأطعمة الشهية والأحداث الشجية على مدى ساعات طوال امتدت الى منتصف الليل... وكنا ــ نحن أعضاء الوفود الثقافية ــ قد ارتضينا الدكتور يوسف ادريس في أغلب الأحيان وعلى مدى أيام المهرجان ليتحدث باسمنا ويلقي كلمات التحية معبراً عن مشاعرنا في شتى المناسبات، وذلك لما عرف عنه من بلاغة خطابية وأسلوب رشيق، وحان الوقت لالقاء كلمته أو كلمتنا في هذه المناسبة... ووقف يوسف ادريس خطيباً... وكانت كلماته مفعمة بالأحاسيس الرقيقة والعواطف الجياشة والعرفان والتأثر... وقال في ختامها: «ان الدموع لتكاد تطرف من عيني عندما أتذكر أننا في الغد القريب سوف نودع هذا البلد المضياف، وهذا الجمع الرائع الكريم...!» وأطبق على القاعة الفسيحة صمت وقور... ولم تمض لحظات معدودة حتى كان الميكرفون مع محمود السعدني... وكعادته أخذ على عاتقه إضفاء روح المرح والحديث الفكه بين الحضور... انه يحظى بمقدرة خارقة على إذابة التهيب وإزالة التوتر ورفع الكلفة وتحويل الحديث ــ مهما كان جاداً ــ الى فكاهة ومزاح قد يصل الى درجة الاستغراق في الضحك المتواصل... كما أنه يتمتع بموهبة روائية جذابة تشد الانتباه وتنتزع الاعجاب انتزاعاً... واذا به يفاجئنا بقوله:

إنني باسم أعضاء الوفد الثقافي المصري الموجودين هنا أدعو سمو الأمير بدر وسمو الأمير حمود الى القاهرة... ضيوفاً علينا لا على الحكومة، بشرط واحد هو أن يخبرونا قبلها بعشرة أيام على الأقل، لكي نتجمع ونهرب من القاهرةقبل وصولكم!! واستغرق الجميع في الضحك لهذه الدعوة العجيبة... ولكنه مالبث أن أتم حديثه مبرراً هذا الهروب قائلاً: لأننا لو بعنا كل ما نملك وما لانملك فلن نستطيع أن نوفيكم حقكم وما يليق بكم من كرم لانقدر عليه. ورد الأمير بدر ممازحاً: سوف ننتظركم في القاهرة الى أن تعودوا، فأسرع السعدني يقول: حينئذ ياسمو الأمير سنصحبكم مرة أخرى الى الرياض لنقوم بكرم ضيافتكم في هذا المكان على حسابكم!!

الانسان الفنان عبدالعزيز التويجري

لن اتحدث عن كرم الرجل أو صفته الرسمية كوكيل للحرس الوطني، ولا عن دعواته العديدة لنا في بيته العامر، وزياراته لنا في فنادقنا والسؤال عنا فرداً فرداً طوال أيام المهرجان... ولكنني أتمثله في خاطري ووجداني: المفكر الشاعر المثقف المحدث الفنان الانسان!

في أمسية شاعرية دافئة على المسطح الأخضر الذي تحفه خمائل الربيع المزهرة، تلك التي تحتضن بيته الجميل في وداعة حانية ولمسات عطرة ندية... وبين حفيف أوراق الأشجار السامقة وهمسات الورود من حولنا، كأنها مناجاة أو تسبيح... أو كأنها ترانيم السلام والحب الذي يعمر به قلبه الكبير، أوكبسمة الأمل والتفاؤل التي تعلو

محياه حتى أصبحت سمة مميزة من سماته ومثله وخلاله الرفيعة ، قضينا ساعتين نتجول في عالمه الفكري الرحيب ... كانت رحلة مثيرة مع الأيام والذكريات ... مع حلو الحديث وسحر البيان .

ووقفنا طويلاً أمام معنى (الفطرة) التي فطر الله الناس عليها ، وعلاقتها بالوعي والصدق والأصالة والتراث الذي نحيا أعياده ومضامينه ومعطياته ، ودار حديث رائع وممتع بين عبدالعزيز ورجاء النقاش حول هذه المفاهيم الانسانية . وتحدث الرجل ... ومن فيض معارفه ورشاقة تعبيره وشمول اطّلاعه ، أخذنا ننصت إليه محلقين معه في أفلاكه ، هابطين خلفه إلى صحرائه التي يذوب هياماً في حبها والتغني بها ... حاضرين في معيته مجالس المتنبي بين اليمامة والدهناء .

إن عبدالعزيز الفنان مفكر من نوع ابداعي خاص : بيان سائغ عذب ميسر في غير تعالٍ أو تصنع أو تغال أو إغراق في التجريد والتفلسف ... إنه رهافة المشاعر ورقة الحس وسلاسة المنطق وتلقائية التفاعل والانفعال الانساني مع البيئة والجذور في غير تطاول أو افتعال ، تشده قيمه الإسلامية وأصالته البدوية وشيمه العربية دائماً إلى حياة البساطة والفطرة ، وسماحة ورحابة الصحراء ... وكان طبيعياً أن نجد هذه الصور المعنوية الخيرة في كل سطر من سطور مؤلفاته العملاقة : [في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء] و [حتى لايصيبنا الدوار] و [منازل الاحلام الجميلة] ... وغيرها من بنات أفكاره وحصاد تجاربه وخبراته .

أهدى إليّ بعضاً من مؤلفاته ، واختار واحداً منها وهو [رسائل إلى ولدي : منازل الأحلام الجميلة] وأمسك بقلمه ، وخصني بهذا الاهداء :

« ... إلى أخي ... : معنًى دفيناً جذبته من أعماق نفسي بعد معاناة شديدة ، ولاأشق على الإنسان وأكثر عناء من أن يقع الصراع بينه وبين نفسه ، وإذا تجاوزت في هذه الرسائل كل ماهو خارج الذات ، وعدت إلى بئري الخاص لأسقي منه هذه الأوراق العطشى إلى الحقيقة ، فلا أدري ماذا حصل معي ! ... »

.... فلنقرأ سوياً سطور الكتاب ... أو بعضاً من خلجات نفسه وخفقات قلبه ... لنقرأ التقدمة ، ومن ايحاءاتها نطلق لأفكارنا وخيالنا العنان ، على مدى الزمان ومساحة المكان وأربعمائة صفحة في هذا الكتاب :

« إلى كل قلب خفق بالحب ... وحمله بين جوانحه إشراقة روحية ..

إلى كل من كابده من أجل أن يكون للحياة معناها الكريم ...

إلى كل من قهر شروره وأعطى خيره ..

إلى كل من لم تحمله أنانيته وقصر نظره على تجاوز القيم والمثل ..

إلى كل من أهان كبرياءه وغروره ووعى قدره .

إلى كل من رفع رأسه إلى السماء

إلى كل من ألهمه ايمانه وألهمته بصيرته رؤية المدفن على عتبة بيته ... فاتعظ

أهدي هذه الرسائل ! (لعبدالعزيز عبدالمحسن التويجري)

لمسة تشكيلية مضيئة على جبين المهرجان

سأدخر الحديث المفصل عن النشاطات التشكيلية واللمسات الفنية والقيم الجمالية التي صاحبت فعاليات المهرجان الثاني للتراث والثقافة ... إلى لقاءات قادمة إن شاء الله . ولكنني في هذه العجالة لن أستطيع أن أمر على معرض الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز . دون وقفة ولو عابرة ... ودون أن أنوه ولو بالوعد بأنني سأفرد له الصفحات العراض لأن أعمال الأمير الفنان تستحق ، بل تستوجب منا وقفات متأنية ... وهي جديرة بالدرس والبحث والتقييم ... وربما كان الظلم بعينه أن

■ الحرس الوطني يهتم بالعقل والوجدان كما يهتم بالبناء المادي للإنسان

تتوه هذه الظاهرة الابداعية الفذة وسط الخواطر والذكريات وشمولية العرض وتعجل الأحداث . إن واقعية الرؤية وتعبيرية النزعة ، وتلقائية المعالجة ، ورحابة المدارك والخلفية الثقافية لدى الأمير خالد الفيصل قد جعل من فنه بانوراما عربية مبدعة تحلق متحررة بين الأرض والسماء ، وتحط في خيلاء على أرض الواقع بثقة وثبات ، لترسم لنا معالم البيئة بملامحها التراثية ... بكل الحب والتعاطف والتفاعل مع عراقة التاريخ ورسوخ العقيدة وأصالة التقاليد والأمجاد ... إن فناننا الأمير .. فنان محب ، يكاد أن يغمس ريشته في أديم عواطفه ووجدانه ، ويذوب في حب منظوراته ومحسوساته ... إنه يحب الأهل والطبيعة والأرض والوطن ... إننا نشم في لوحاته رائحة العشب وأريج الخمائل والمراعي وزهور الخزامى ... ونسمع وقع سنابك الخيل وحوافر القطيع وهدير الموج وصوت الرعد وهمسات صبا نجد ونسمات الربيع ... أما في سيرياليته التي ينطلق فيها إلى عوالم الأحلام وغياهب اللاشعور (كما رأينا في لوحاته : بنات الريح وناعس الطرف وزورق الحياة) فانها السيمفونية اللونية التي تنساب أنغامها في مسارات وأفلاك دائرية كأطياف الحلم أو كموجات الأثير ...

•• .. وأخيراً أقول لقرائنا : معذرة ، فأن ماذكرته في هذه الخواطر ماهو إلا النزر اليسير من حصاد سخي وفير .

وفي يوم العودة ... عندما صافحنا إخواننا من الشباب الضباط الذين سهروا على راحتنا ، وتفانوا في القيام بواجباتهم التي كلفوا بها بكل الرجولة والوعي والأدب وإنكار الذات أحسسنا بدفء القلوب العامرة بالايمان ، وبعمق الروابط ومتانة الوشائج التي تشدنا وإياهم بوثاق لاولن تنفصم عراه إن شاء الله .

•• .. وعندما عانقنا الاستاذ عبدالرحمن الشثري ـ وهو قمة إعلامية وأخلاقية من قمم الحرس الوطني الشامخة ، وقريب إلى عقولنا وقلوبنا قرابة الرفيق والصديق والشقيق ـ شعرنا بالحنين إلى الرياض حتى من قبل أن نفترق ... وأي فراق ... فإذا تعانقت القلوب والأرواح ، فما أوهى المسافات بيننا ... إنها قاب قوسين أو أدنى !

جمال قطب

وجهها.. قصيدة لاتنتهي

شعر: حسن توفيق



كصفاء نبع الأمنيات.. يطل وجهك منعشاً صحراءَ عمرى اليابسه
تتجدد الأشياء فيها ، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنما انبثق الربيعُ مهللا
ويطل وجهك منعشا .. يجتاز بى أعتى المسالك والدروب العابسه
ويقودنى لسماء صفوٍ أشتهى ــ من نشوتى ــ أن أنتهى بفضائها لحنا تسامى للعلا
ليعود مؤتلفا ومؤتلقا يرف على ندى زهرات فل ناعسه
يبنى لديها الفجر ــ من عطش إلى الحسن المتوج بالمباهج ــ منزلا

* * *

تأتين فى زمن ضنين
تتفتحين ... وتشرقين
يتماوج الايقاع فى خطواتك المتألقه
فيذيبنى.. ويحرك الأوتارَ فى روحى التى تصغى له متشوقه
فإذا بعدت ــ ولو قليلا ــ فالرعود تحاصر الأمل المرفرف فى كيانى
تلقيه فى قفص الضياع معذبا متململا
ويعود قلبى صامتا مستغرقا فيما أعانى
مابين يأس من لقاءٍ . وانتظارِ أن يزيحَ الفجرُ ليلا معولا

* * *

ويطل وجهك فى الخيال
متلألئا بك ... بالجمال
وأراه فى كل المشاهد والرؤى متغلغلا
فأقول ــ مبهور الرؤى ــ ياوجهها ما أبدعكْ
ألقاك فى صفحات كتبى .. هامسا : إنى معكْ
ألقاك فى أزهار جرديتيا ، وفى أجواء موسيقى تدندن مقبلا
ألقاكَ فى إغفاءتى الحيرى تنور ضاحكا وتحثنى أن أنفض النوم القليل عن الجفون
ألقاك فى أمواج بحرٍ زاخرٍ ، لاتنتهى إلا لكى تحيا بدايتها الموسقة الجديده
ألقاكَ فى وهج الضجيج . وفى الصدى الحلو البهيج . وفى مدى عمق السكون
ألقاكَ فى لحن القصيده

* * *

تأتين فى زمن ضنين
تتفتحين .. وتشرقين
كى تؤنسى بالصفوِ أيامى التى احترقتْ على جمر السعيرِ بلا مجيرْ
وأراكِ أعطيت الكثيرْ
.. ولم أقدم غير قلبى منشدا لك أغنيات الشوق تجتاح الليالى المعولات الجامحه
أعطيتِنى حلما .. تفتح فى دمى ورداً بهىَّ الروح حلو الرائحه
وكأنه أنفاسُ عاشقةٍ تفيض محبة وتشع سحرا لا يغيب
أعطيتِنى الدنيا التى أهفو لها رغم التعثر بالصخور الجارحه
أعطيتنى الدنيا التى أحيت صفائى بعد تكرار الوجوه المالحه
أعطيتِنى فرحَ الحياة.. بها الحبيبِ مع الحبيب

* * *

كيف انسللتِ إلى شرايينى مع الدم والهواءْ
كيف انسللتِ حديقةً .. أزهارها لاتذبلُ
وربيعها لايرحلُ
كيف انسللت ؟ وكيف آخيتِ الوداعَ مع اللقاء فلا وداعَ ولا لقاءْ
لكنه زمنٌ أضاءْ
من بعد يأس قد أضاءْ
ليعانق ، الدنيا ، ويُبْدِلَ بؤسَها رغدا
ويُطِلُّ عالمنا بهيًّا .. يغسلُ الأرواحَ فى نهر الصفاء بلا انتهاءْ
ويَظَلُّ حبى المستفيض قصيدة لاتشتهى أن تنتهى أبدا
أبياتها تترى .. فلا تحصينَها عددا ! !



طرائف شرقية وغربية

عصر السرعة

• خلال تناول طعام الغداء ذات يوم شكوت لمدير المستخدمين في شركتنا لأن الطابق الذي أعمل فيه ليس فيه فتيات جميلات . وبعد ظهر نفس اليوم جاءتني فتاة ساحرة الجمال وهي تحمل مظروفاً كتب عليه « عاجل جداً » وفي الداخل وجدت رسالة فيها هذه الكلمات « ما رأيك فيها ؟ » .

منطق امرأة

• كان الزوج يقود السيارة ــ ولما وصل الى تقاطع الطريق ــ خفف السرعة ، وسأل زوجته أن تنظر الى اليمين لترى ان كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة . فالتفتت الزوجـــة ، وقـــالت : كلاً ... وســكتت قليلاً وانطلق الزوج بسيارته فإذا بالزوجة تكمل جوابها .. ولكن توجد سيارة شحن واحدة .

أجرة سفر

• دخل رجل مطعماً وطلب دجاجة ــ فسأله الجرسون هل تريد دجاجة بلدية أم مستوردة ؟ فسأل الزبون : وما هو الفرق ؟

فأجاب الجرسون ، الدجاجة المستوردة تكلف ١٠٠ قرش أكثر

فرد الزبون ، أريد دجاجة بلدية .. لماذا أدفع أجر سفر الدجاجة الأخرى الى هذه البلاد .

رابطة

• يحكي الفنان الشعبي جاسبر جونز أنه عندما أقام معرضه الأول في ولاية ساوث كارولينا (مسقط رأسه) سمع سيدة تقول بصوت مسموع :

ــ هذه لوحة جميلة حقاً !

وهنا التفتت السيدة التي تقف الى جوارها وقالت :

ــ وهل أنت أيضاً من أقاربه ؟

ابتزاز

• تلقى ناشر كتب علمية للأطفال في شيكاغو رسالة من قارئ صغير يقول فيها انه اكتشف خطأ في أحد كتبه . وأشار الغلام الى عدد من المراجع العلمية ودوائر المعارف التي تثبت أنه على صواب ثم قال في النهاية :

« إذا أرسلت لي دولاراً فإنني لن أخبر أحداً بذلك » .

ورد الناشر بخطاب شكر ثم قال في حاشيته :

« أطلب من مدرسك أن يذكر لك معنى كلمة (ابتزاز) » .

رجل مهم

• سألت عروس الضابط الطيار عريسها عن معنى تعبير (تسلسل القيادة) وهي من الاصطلاحات العسكرية . فضرب لها مثلاً بنفسه قائلاً إنه مسئول أمام قائد السرب الذي يعتبر مسئولاً أمام قائد المجموعة الخ حتى تصل المسئولية الى وزير الدفاع الذي يكون مسئولاً أمام القائد الأعلى وهو رئيس الجمهورية وهنا هتفت العروس :

ــ ياحبيبي .. لم يخطر لي قط أن لك كل هذه الأهمية . إنك التاسع في ترتيب رئاسة الجمهورية .

حزم المهدي

• قال رجل للمهدي : عندي نصيحة ياأمير المؤمنين

فقال : لمن نصيحتك هذه ؟ لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟

قال : لك ياأمير المؤمنين .

قال : ليس الساعي بأعظم عورة ولاأقبح حالاً ممن قبل سعايته . ولاتخلو من أن تكون حاسد نعمة . فلا تشفي غيظك . أو عدواً فلا تعاقب لك عدوك .

ثم أقبل على الناس فقال لاينصح لنا ناصح إلا بما فيه لله رضى وللمسلمين صلاح ومن أخطأ أقلنا عثرته ــ فإني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالتوبه والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة والقلوب لاتُبقى لوال لايتعطف إذا استعطف إذا استطعت ولايعفو إذا قدر لا يغفر إذا ظفر ولايرحم إذا استرحم .

الظن واليقين

ــ قال مروان بن الحكم لثقيل : إني أظنك أحمق .

ــ فقال : ظن أو يقين .

ــ قال مروان : بل ظن

ــ قال الرجل : أحمق من أن يكون الشيخ إذا استعمل ظنه .

حوار

• قال رجل لثمامة :

ــ ان لى إليك حاجة

قال ثمامة .

ــ ولي إليك حاجة ..

ــ وما هي ؟

ــ لا أذكرها حتى تضمن قضاءها

ــ قد فعلت

ــ حاجتي ألا تسألني هذه الحاجة .

ــ رجعت عما أعطيتك .

ــ لكني لاأرد ماأخذت !

تعبيرات جديدة :

• إنه يعمل بفمه أسرع مما يعمل بعقله .. فهو يقول أشياء لم يفكر فيها بعد !

• وراء كل رجل عظيم امرأة .. تقول له إنه ليس عظيماً ...

• زحفت شمس الشتاء الى الغرفة لتجد لمسة من الدفء أمام المدفأة .

عملية اقتصادية

• إذا أردت أن تسعد رجلاً فلا تعمل على زيادة ثروته ، ولكن حاول أن تقلل من رغباته (سنيكا) .

رجلان لايتقدمان

• هناك صنفان من الرجال لايتقدمان

أبداً .. هؤلاء الذين لايستطيعون أداء ما يكلفون به من عمل ، وهؤلاء الذين لايؤدون غيرما يكلفون به من عمل . (سيروس كروتيس) .

لو تراحم الناس

• لوتراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم ، ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولاطمأنت الجنوب في المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام . (المنفلوطي)

الغيبة والبهتان

• دخلت امرأة على النبي ﷺ مستعينة فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها :

ــ يارسول الله ، ما أقصرها !

فقال :

ــ مهلاً اياك والغيبة

فقالت :

ــ يارسول الله ،انما قلت مافيها .

قال :

ــ ولولا ذلك لكان بهتاناً

كتمان السر

• أسر رجل الى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له :

ــ أفهمت ؟

قال :

ــ لا ، بل نسيت ؟

• وقيل لرجل :

ــ كيف كتمانك السر ؟

قال :

ــ ما قلبي له إلا القبر .

الوزر .. والوزير !!

• يقول صاحب « عيون الأخبار » ان كلمة « الوزير » مشتقة من « الوزر » وهوالحمل يراد أنه يحمل من الأمور مثل الأوزار ، ويقال للاثم : وزر تشبيهاً ، له بالحمل على الظهر . قال الله تبارك وتعالى : « ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك » .

هذا محتاج إلى ذاك

• كان يقال : المنظر محتاج الى القبول ، والحسب محتاج الى الأدب ، والسرور محتاج الى الأمن ، والقرابة محتاجة الى المودة ، والمعرفة محتاجة الى التجارب ، والشرف محتاج الى التواضع ، والنجدة محتاجة الى الجد .

اقرأ بسرعة

• احذر غضب الضعيف .

• كلما تعمقنا في الدرس ازددنا ثقة بجهلنا .

• الحرب أولها الكلام .

• النصر مع الصبر .

• شر المال مالا ينفق منه .

• من ظهر غضبه قل كيده .

لفظ « عرب »

• أقدم نص ورد فيه لفظ « عرب » هو نص أشوري يعود الى عهد الملك شلمنصر الثالث ملك أشور فيما بين ٨٥٩ حتى ٨٢٤ قبل الميلاد ، وكان النص يقصد من وراء هذا اللفظ الاشارة الى المقاطعة الكائنة في البادية المتاخمة للحدود الغربية الأشورية .

الانسان .. والمال

• إذا جرى الرجل وراء جمع المال سمي جشعاً ، وإذا جمعه سمي رأسمالياً ، وإذا صرفه سمي مبذراً ، أما إذا لم يحصل عليه فإنه الانسان الفاشل ، وإذا لم يحاول الحصول عليه فإنه القليل الطموح ، وإذا نجح في جمعه بعد جهاد استغرق معظم عمره ، سمي مجنوناً !

في خزائن الله

• وقف معاوية يخطب في الناس ، فقال :

ــ ان الله تعالى يقول : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

فلماذا تلومونني إذا قصرت في عطاياكم ؟

ونهض من بين الحاضرين أعرابي خشن الثياب ، واندفع يقول :

ــ نحن لانلومك على ما في خزائن الله ، وإنما نلومك على ماأنزل الله لنا من خزائنه ، فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه .

تفسير كريم

• قالت بنت عبدالله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبدالرحمن ، ذات يوم ، وكان أجود قريش في زمانه : ما رأيت قوماً ألأم من إخوانك ! قال : ولم ذلك ؟ قالت : اراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك .. !

قال : هذا والله من كرمهم . يأتوننا في حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف متاعنهم .. !

فشل في الحب واعتزل الفن

• قرر الممثل الشهير « موريس شيفالييه » اعتزال التمثيل ، بعد أن بلغ السبعين من عمره ، وعمل على المسرح فترة تزيد على الربع قرن .. وقد تنازل أخيراً عن معظم أمواله وممتلكاته لحفيدته الوحيدة .

وفي هذه المناسبة قال « شيفالييه » للصحفيين : لقد عشت أيامي كما يجب وحققت كل آمالي في الحياة . ولكنني فشلت في الحب وأخطأت عندما آثرت العزوبة .. قولوا للشباب إن الحب هو جوهرة الحياة .. وأن لاحياة بغير حب . فليغتنموا الفرصة قبل أن تضيع .

طائر لا يؤمن بتعدد الزوجات

• ١٠٠ ألف يعشقون تربية الحمام في أنحاء العالم وفي باريس تكونت جمعية لهواة الطيور .. يسافر أعضاؤها الى مختلف أنحاء العالم لاقتناء أنواع الحمام . والحمام طائر مخلص يكتفي بأنثى واحدة ولايعترف بتعدد الزوجات .. والحمامة تعيش الى ١٥ عاماً وتستطيع أن تقطع ٥٠٠ ألف كيلو متر دون أن تتعب أو تتوقف عن الطيران !

حلمي التوني

فنان يُحوِّل المطبوعات الى لوحات

بقلم: صبحي الشاروني

الفنان حلمي التوني واحد من سلسلة المبدعين بميدان تصميم الأغلفة ، وتنسيق صفحات المطبوعات ، تلك السلسلة التي تبدأ بالفنان الرائد عبدالسلام الشريف مروراً بالفنان عبدالغني أبوالعنين والراحل حسن فؤاد وغيرهم من أقطاب هذا الميدان .



امرأة في نافذة
(١٩٨٥)

في جلسة جمعتني مع رسامي الأغلفة والعاملين بالاخراج الفني لمطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب . قال أحدهم في أسى : ان عملنا لايحظى بتقدير النقاد .. فكتاباتكم تتركز على رسامي اللوحات ، بينما تصميم ورسم الأغلفة والملصقات وفنون الاخراج الصحفي لا تحظى بأي نصيب من اهتمامكم .

ووجدتني أندفع موضحاً لهؤلاء الشباب أن عملهم الفني يدخل في صميم « فن اليوم » . وأن له مكانة خاصة بين « فنون العصر الحاضر » وهي الفنون التي تلعب دوراً مباشراً وحقيقياً في الحياة اليومية ..

وأوضحت وجهة نظري التي تتعلق بأن جميع الانتاج الذي يقدم في معارض الفنانين هو كتجارب العالم في المعمل .. لاقيمة لها إلا إذا طبقت احدى شركات الانتاج نتائج هذه التجارب ، وقدمتها للمستهلكين بشكل نافع . وهو كمخطوط الكاتب ، يظل محصوراً وحبيساً حتى تتلقفه المطبعة (الآلة) ليتحول إلى كتاب أو مطبوع متاح للآلاف والملايين .. وهو كسيناريو الفيلم السينمائي ان لم يتم اخراجه وإدارته في « آلات » العرض بدور السينما لايحقق أثره أو يأخذ شكله النهائي ..

وفنون الكتاب والاخراج الصحفي هي أحد



غلاف كتاب للأطفال (١٩٨٣)



زائرة من أوائل القرن العشرين (١٩٨٥)

الفنان حلمي التوني



الأشكال التطبيقية للتجارب الجمالية التي تملأ قاعات العرض.

وإذا كان النقاد يهتمون بلوحات المعارض فلأن هذا هو منفذها للوصول الى الجمهور الأوسع. ربما تخطت من خلال النشر بعض حاجز انفصالها عن «الآلة» وهي لهذا أقل حظاً ـ رغم اهتمام النقاد بها ـ من فنون الكتاب وغيرها من المجالات التشكيلية المرتبطة بالآلات والمؤثرة تأثيراً مباشراً على مستوى التذوق الفني لدى الجمهور.

فنان من «تونا الجبل»

والفنان حلمي التوني هو واحد من سلسلة المبدعين بميدان تصميم الأغلفة وتنسيق صفحات المطبوعات، تلك السلسلة التي تبدأ بالفنان الرائد عبدالسلام الشريف مروراً بالفنان عبدالغني أبوالعنين والراحل حسن فؤاد وغيرهم من أقطاب هذا الميدان.

ولد الفنان حلمي التوني في أول مايو عام ١٩٣٤ بمدينة بني سويف، بينما أسرته تنتمي الى قرية «تونا الجبل» بمحافظة «المنيا»، وهي تقع على حافة الشريط الأخضر ملامسة للصحراء الغربية، يقصدها السياح ومحبو الآثار القديمة لمشاهدة ماتبقى بها من مقابر وعلامات الحضارة المتخلفة عن فترة الحكم الروماني لمصر منذ ألفي عام. ولهذا سمي «التوني» نسبة الى القرية التي خرجت منها أسرته.

كان والده «مهندس مدني» يقيم الجسور والطرق، أشرف على اقامة طريق «القاهرة ـ الأسكندرية» الصحراوي و«مطار الدخيلة» والعديد من المشروعات المماثلة، فقد كان مهندساً متجولاً..

في طفولته كان يقضي معظم وقته في الرسم ويلفت نظر الأهل والأقارب الى قدراته، فيثير زهوهم بين الأصدقاء أحياناً، وأحياناً أخرى تأنيبهم وزجرهم لإهداره الوقت في هوايته بدلاً من دراسته.

عندما كان في السادسة من عمره، وهو يتأهب لدخول المدرسة الابتدائية أحضر له والده لوحاً صغيرا من الاردواز الأسود وبضعة أصابع من الطباشير الأبيض ليتعلم مبادئ الكتابة والحساب.

في ذلك الوقت كان له عم طالب في كلية الزراعة بالسنة النهائية وكان يحضر الى بيتهم لاستذكار دروسه مصطحباً كتبه الحافلة بصور الحيوانات والنباتات التي تلفت نظر الصبي الصغير وتستحوذ على اهتمامه أكثر من حروف الهجاء وأرقام الحساب.

وذات يوم دخل والد حلمي الغرفة ليجد علي لوح الاردواز رسماً بالطباشير لبقرة.. فتأمل الرسم برهة ثم تساءل عمن رسمه. وأجاب حلمي: أنا.. خرج الوالد من الغرفة فبدأ الصبي يتوجس، وخاف أن يكون قد أخطأ، وتوقع أن يعود والده ومعه عصا أو ماشابه ذلك لعقابه، ولكن الوالد عاد مع العم طالب الزراعة، وقال له: تأمل هذا اللوح، لقد رسم حلمي هذه البقرة، بينما أنت لاتستطيع أن ترسم مثلها.

وكان هذا الموقف الذي لاينسى حافزاً ومشجعاً لمواصلة الرسم ثم اختياره ليكون مهنته فيما بعد.

«الهندسة» ومهنة الأسرة

خلال الدراسة الثانوية انغمس في الاضرابات والمظاهرات وكان ينتقل من مدرسة الى مدرسة.. كانت سنوات ضياع، فأصرت الأسرة على الحاقه بالمدرسة الثانوية العسكرية لكن المدرسة رفضت قبوله في الكشف الطبي بسبب «التهاب اللوزتين» ورفض أن يستأصلهما خشية أن يموت أثناء الجراحة.. وهذا الخوف من الموت والوسوسة من المرض لازالت تلازمه الى اليوم حتى بعد سنوات المغامرة والحياة على حافة الموت في بيروت.

وتوفي والده عندما كان عمره ١٦ سنة. كان في السنة الثالثة الثانوية، وحدث تغير كامل في حياته.. التلميذ المستهتر الذي يهرب من المدرسة ويقترض بضمان دراجته لكي يركب قارباً في النيل أو دراجة بخارية.. هذا التلميذ المستهتر تحول الى طالب مثالي، فقد غيرت صدمة وفاة الأب مجرى حياته. وفي امتحان الثانوية العامة حصل على مجموع مرتفع، فتقدم للالتحاق بكلية الفنون الجميلة.

هذا الأمر لم تكن له سابقة في تاريخ الأسرة، فهو ينتمي الى عائلة كلها من المهندسين أخوه: الأكبر مهندس ألكترونيات، والأصغر مهندس معماري، والباقون: الأعمام والأخوال وأزواج اخواته وخالاته وعماته: مهندسون زراعيون وكيماويون ومهندسو هيدروليكا وجيولوجيا والكترونيات... وغيرها من التخصصات الهندسية، ومن المفروض أن يختار «حلمي» أحد هذه التخصصات لدراسته الجامعية.

ووقفوا موقف الرفض والاعتراض على أن تتحول «الهواية» الى «احتراف». كانت رغبتهم تتركز في أن يلتحق بكلية الزراعة فيسمي مهندساً زراعياً ليرعى أرض والدته التي كانت تشرف على أوقاف أسرتها، فهي سليلة «اسماعيل صديق المفتش» وزير مالية الخديوي.

فاجتمعت العائلة لبحث هذا الموقف الذي يهدد بناء العائلة وتقاليدها ويشكل شذوذاً وخروجاً عن مهنة الأسرة: لكن حلمي يواصل اصراره، ولا يدافع عن موقفه سوى زوج احدى عماته، وهو مهندس زراعي أيضاً، الذي قال: دعوه يكون رساماً جيداً فهذا خير من أن يكون مهندساً فاشلاً. وبكثير من العناد بدأ الدراسة في كلية الفنون الجميلة.

ويعترف الفنان أن اتجاه الأسرة الى الهندسة كان له أثره عليه، فعندما التحق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٥٣ اختار قسم هندسة الديكور (الفنون الزخرفية) لتخصصه وكان هذا الاختيار يتضمن التوفيق الضمني اللاشعوري بين رغبته ورغبة الأسرة. وكان متفوقاً في دراسته الى حد أنه كان يقوم بشرح دروس التشريح وقواعد علم المنظور لبعض زملاء الدراسة.

كانت سنواته في كلية الفنون الجميلة من أسعد فترات حياته، خلالها عايش الفن معايشة كاملة حيث كان يمضي نهاره وأغلب ليله بين جدران الكلية.. لم يترك مسابقة أو معرضاً جماعياً إلا واشترك فيه.. بالاضافة الى ممارسته للرياضة البدنية.

الرسم في الصحافة

وقبل تخرجه بعامين بدأ يرسم للمجلات الأسبوعية ويندمج في ميدان الاخراج الصحفي. وكأنه يرد على اعتراض الأهل ويثبت لهم أن الفن يمكن أن يكون مفيداً..

وينشر أول رسم وعليه التوقيع لافتاً لأنظار القراء لشيء خاص فيه.. ثم يتوالى النجاح «العملي» سريعاً.

كان مشروع التخرج الذي حصل على درجة البكالوريوس في هندسة الديكور يدور حول تصميم ديكورات وملابس مسرحية

« ايزيس » لتوفيق الحكيم ، وكان يتصور أن العمل المسرحي سيتحول إلى باليه راقص من ستة فصول .. وحصل على درجة الامتياز عند تخرجه عام ١٩٥٨ ، وافتتح مكتباً للديكور أفلس بعد ثلاثة أشهر ، لأنه كان ينفق ما يكسبه من الرسم الصحفي على هذا المكتب .. ووصله عام ١٩٥٩ خطاب ترشيحه في بعثة لدراسة فنون التصميم المسرحي والسينمائي (الشينوجرافي) في أكاديمية « اسكالا دي ميلانو » الشهيرة بايطاليا .. لكنه رفض هذه البعثة لارتباطه الفعلي بالعمل الصحفي منذ عام ١٩٥٦ وميله إلى هذا العمل أكثر من العمل في ديكور المسرح .. وقد عمل مشرفاً على مجلات دار الهلال يصمم الأغلفة ويضع الرسوم التوضيحية وينسق المواد الصحفية على صفحات مجلاتها .. في ذلك الوقت توقف عن رسم اللوحات الزيتية وانصرف تماماً للنشاط « الجرافيكي » بعد أن حصل على العديد من الجوائز في المسابقات العامة من معرض صالون القاهرة السنوي ، ومعرض القطن ، ومسابقات تصميم الطوابع البريدية والرسم للأطفال ، وبدأ نشاطه في مسرح العرائس .

شكوكو ـ هجرس ـ التوني

كان الفنان صلاح جاهين قد ابتدع شخصية « صحصح » ، فقام حلمي التوني بتصميم شخصيات مسرحية « صحصح لا ينجح » وقد نجحت هذه المسرحية ولاقت شخصية « صحصح » نجاحاً كبيراً بين الأطفال .. ولايزال مسرح العرائس في القاهرة يقدمها في روايات مختلفة حتى الآن .

وعندما اتجه « محمود شكوكو » فنان الأغاني الفكاهية إلى عمل مسرح « الأراجوز » طلب من حلمي التوني التعاون معه لاقامة مسرح للأطفال ..فكان يغني في المسارح والنوادي الليلية والأفراح لكي ينفق ما يكسبه على مسرحه للأطفال ، وكان حلمي التوني يضع التصميمات والنحات هجرس ينفذها منحوته على الخشب وكانا يجلسان في بيته بحي « القبة » حتى الثالثة صباحاً في انتظار عودته من جولته بين مسارح القاهرة وسهراتها ليناقشوا معاً موضوع مسرح العرائس والأراجوز الذي استأجر له مسرحاً خاصاً هو المعروف باسم « مسرح سينما متروبول » ، ثم اتجه إلى خيال الظل .. وحقق حلمي التوني والنحات هجرس خيال الظل الملون ، وقد استأجر شكوكو مركباً عائماً في النيل ليقدم عليه للجمهور عروضه .. وقد انفق « شكوكو » على هذه الأحلام الفنية كل مدخراته .

ومع هذا لم يهمل الفنان هوايته الأولى وهي الفن الصحفي والذي ارتبط به منذ عام ١٩٥٦ قبل تخرجه ، فقد كان هذا الميدان بالنسبة له هو المكان الأوسع لمخاطبة الجماهير والتأثير على ذوقها .. عمل في مجلة الكواكب الفنية الاسبوعية ، ثم تولى الاشراف الفني على مجلة « المصور » السياسية ، ثم أصبح مشرفاً فنياً على مطبوعات دار الهلال ، ورسم في مجلتي « سمير » و « ميكي » الموجهتين للأطفال والناشئة .. كما وضع تصميم مشروع المجلة الطبية « طبيبك الخاص » .

وفي نفس الوقت ساهم حلمي التوني في اخراج مجلة « المسرح والسينما » وبعض مجلات الأقاليم .. واستمر يمارس هذا الدور في الصحافة المصرية حتى ١٩٧٣

وفي مجال تصميم الملصقات الحائطية نفذ الفنان ملصقات الدعاية لمسرحتي : « حلاق بغداد » ، و « على جناح التبريزي وتابعه قفه » تأليف ألفريد فرج وكذلك مسرحية « التفاحة والجمجمة » لمحمد عفيفي بالاضافة إلى الملصقات الحائطية لفيلم « الحرام » بطولة فاتن حمامه ، ثم مسرحية « الينبوع » في الأردن ، بالاضافة إلى عدة ملصقات في بيروت .

وقد أقيم معرض لمجموعة من لوحاته وملصقاته في قصور الثقافة التابعة للثقافة الجماهيرية في صعيد مصر ، حيث طاف بعواصم المحافظات ، فشاهد أبناء الريف أعماله الفنية وتعرفوا على انتاجه ، وكان منهم من لم يشاهد عملاً فنياً في حياته .

فن اخراج الصحيفة والمجلة والكتاب

وينتقل نشاطه إلى عالم الكتاب : تصميم الأغلفة وتنسيق الصفحات ، فساهم مساهمته الملحوظة للنهوض بهذا الفن . وتشاء الظروف أن ينتقل إلى بيروت عاصمة النشر يومئذ .. وتستمر الرحلة ..

استطاع الفنان أن يؤثر بشكل واضح على مستوى الاخراج الصحفي في العالم العربي .. كان يرى أن معظم الذين سبقوه في هذا الميدان ينظرون إلى الاخراج الصحفي باعتباره عملية تزويق وتزيين .. كان أشبه بتوزيع مجموعة من الزهور حول الصفحة في الجريدة أو المجلة ، وأحس أن مهمة الاخراج الصحفي تتجاوز هذه الحدود ، إنها في رأيه تشبه عملية تحويل النص الأدبي إلى عمل سينمائي على يد المخرج .. إنه التعبير بالشكل عن موضوع ومضمون المادة الصحفية .

فالمخرج الصحفي يبدأ بتحديد المواد المختلفة ونوعيتها ، ويحدد أهمية وحجم كل نوع من المادة ثم يضع خطته للتعبير عن كل جانب باسلوب خاص ومتميز يهتم بالدرجة الأولى بابراز الموضوع .. إن الاخراج الصحفي يتطلب نفس الاحساس الجمالي الذي يمارس به الفنان رسم لوحاته الزيتية .. فصفحة المجلة أو الصفحتين المتقابلتين يتحتم النظر إليهما كما ينظر الفنان إلى لوحته الفنية باخضاعهما لمقاييس العمل الفني الكامل .. من حيث عناصر الحركة والمساحة والخط والدرجات اللونية .. ويراعى مع كل هذا سهولة قراءة الموضوع ووصول المعنى المراد إلى القارئ .. فالهدف من الاخراج الصحفي هو التعبير بالشكل عن مضمون المادة الصحفية . وليس مجرد تزيين الكلام .

أما الغلاف فهو ليس ترجمة حرفية للنص أو الموقف ، وإنما على الفنان أن يتخذ أحد طريقتين : الأولى هي أن يعبر عن الروح العامة للفكرة الأساسية في الكتاب والثانية هي أن يقدم عملاً فنياً موازياً في ثقله للعمل الأدبي أو فكرة الكتاب .. يأتي بعد ذلك موضوع المزاوجة بين الرسم والاخراج الصحفي بمعنى ادخال الرسم في النص وادخال النص في الرسم بحيث تتم المزاوجة بينهما .

والغلاف الناجح لابد أن تتوفر فيه عدة شروط.. بحيث ينجح في لفت النظر واجتذاب عين عابر الطريق وسط منافسة بقية الكتب المعروضة .. ثم التعبير عن مضمون الكتاب إجمالاً ، بحيث يكون الغلاف عملية خلق اضافية ، وذلك بالبعد عن الترجمة الحرفية ، وتأكيد شخصية التعبير التشكيلي في حالة القصة أو الرواية مثلاً مع البعد عن إلتقاط مشهد من بين السطور وتسجيله بالرسم ، ولكن محاولة تصوير مجمل الموقف الانساني للعمل الأدبي ، وهذا يتطلب إدراك حدود الامكانيات الطباعية ومراعاتها ، حتى يمكن الخروج بأحسن نتيجة في ظل الظروف المتاحة .

البحث عن زقاق المدق

ويفخر الفنان بأن أستاذه في هذا الميدان هو الفنان الرائد عبدالسلام الشريف .. ويحكي عن علاقته بأستاذه التي بدأت وهو طالب في الفنون الجميلة .. طلب الأستاذ من تلاميذه وضع تصميم الغلاف ومجموعة من الرسوم

حلمي التوني

لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ، وكان توجيهه أكاديمياً واعياً .. بدأ بالبحث عن زقاق المدق في القاهرة القديمة لمشاهدة البيوت والسكان على الطبيعة وعمل الرسوم السريعة للموقع، هكذا بدأت أول خطوة في طريق الرسم الصحفي بمعناه العلمي السليم. لقد أحب حلمي التوني الصحافة وشغف بها من ذلك الوقت.

لقيت رسومه اقبالاً شديداً من الناشرين في القاهرة وبيروت، كانوا يرون رسومه على أغلفة روايات وكتاب الهلال فيبحثون عنه ويطلبون منه وضع رسوم الأغلفة لكتبهم فكان يرسم للناشرين اللبنانيين وهو في القاهرة، ويبلغ عدد الأغلفة التي وضع تصميماتها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، هذا بخلاف الكتب التي صممها للأصدقاء .. ولاشك أن دور هذا الفنان كان له تأثيره على حركة النشر في بيروت التي خفضت من اندفاعها نحو الأغلفة التجارية، وظهر من يقلدون أسلوبه وطريقة كتابته للخطوط والعناوين.

فعندما سافر الى بيروت عام ١٩٧٤ اكتشف أن اسمه معروف على مستوى واسع، وكأن الناس في انتظاره، فعمل في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وكانت تملك من الامكانيات الطباعية ما أتاح للفنان فرصة تقديم أعماله في الاطار المناسب .. وكانت بيروت خلال النصف الأول من السبعينات هي عاصمة النشاط الثقافي ومعارض الكتاب وقاعات عرض الأعمال الفنية التي بلغ عددها ٦٠ قاعة (جالاري).

سنوات التألق

وأقام الفنان معرضاً للوحاته الزيتية عام ١٩٧٥ في بيروت قدم فيه ٤٠ لوحة بيعت كلها في يوم الافتتاح واليوم التالي .. ومع هذا لم يتفرغ لرسم اللوحات الزيتية وواصل مهمته في فنون الكتاب والصحافة حتى أصبح علماً من أعلام هذا الميدان. فأرسلت اليه منظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة عن طريق حفيدة «جورجي زيدان».. فوضع كتاباً من تأليفه ورسمه واخراجه للأطفال يتضمن القيم التربوية والفنية بالاضافة الى طابعه الترفيهي فصدر باسم «ماذا يريد سالم؟» .. وبينما كان اهتمام منظمة اليونيسيف ينصب على الاحتياجات المادية للطفل إلا أن الفنان يؤمن أن احتياجات الطفل ليست مادية فقط وإنما معنوية وفكرية أيضاً وقد عمل على ابراز ذلك في كتابه.

لقد طبع هذا الكتاب بلغات الأمم المتحدة الست الرسمية في ذلك الوقت وبلغ عدد نسخها مئات الألوف، ووزع في جميع أنحاء العالم حتى نهاية أمريكا اللاتينية وأواسط آسيا.

وفي عام ١٩٧٩، العام الدولي للطفل صمم الفنان ملصقاً فاز عنه بجائزة اليونيسيف .. لقد كتب عليه شعاراً بالعربية يقول: «الأطفال أحباب الله» وقد نجح نجاحاً هائلاً لشدة بساطته.

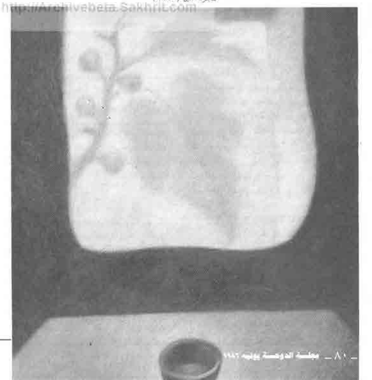
وفي معرض بيروت الدولي للكتاب خاض مسابقة حول فن تصميم واخراج الكتاب ففاز بالجائزة الأولى ثلاث سنوات متتالية ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩، وفي العام الرابع طلب منه القائمون على المعرض أن يشارك في التحكيم بدلاً من الاشتراك في المسابقة .. وفي عام ١٩٨١ فاز بميدالية معرض «لايبزج» للكتاب الذي يقام مرة كل ٦ سنوات.

حصار بيروت

في يونيه عام ١٩٨٢ بدأت أول غارة على بيروت ثم توالت الغارات بعد ٢٠ يوماً من الحصار الذي استمر ثلاثة أشهر.. وأصيب منزل الفنان الذي عاد إليه بعد نصف ساعة من الانفجار الذي أحدث ثقباً في أحد جدران شقته .. لكن الفنان واصل حياته بعد أن أخفى الثقب باحدى لوحاته .. وقد أجبره حصار بيروت على ملازمة منزله حتى سمح له بالخروج عبر الحصار ليتوجه الى دمشق ومنها الى القاهرة في نهاية أغسطس عام ١٩٨٢ لكنه عاد الى بيروت وأعاد بناء البيت وواصل العمل حتى عاد الى مصر نهائياً عام ١٩٨٥

كان العمل الفني عند الفنان أثناء الحصار هو رد فعل لاحساسه أن ضرب بيروت هو محاولة لضرب الحضارة العربية، والفن هو جزء من الجسم الرئيسي للحضارة العربية .. لقد كانت بيروت بالنسبة للفنان هي العاصمة التي صمدت للحصار بعد حصار عكا .. ورغم الجوع والعطش إلا أنه أحس بنوع من التسامي والفدائية ممتلئاً بالشعور أنه أقوى من الحصار، متنبهاً الى جذور حضارته الثابتة والى تماسك الهوية العربية، فأعاد في تلك الفترة دراسة تاريخ الفن العربي والاسلامي ليكتشف أن معلوماته كانت سطحية ومحدودة، وقرأ أمهات الكتب عن الفنون

شجرة التين (١٩٨٥)



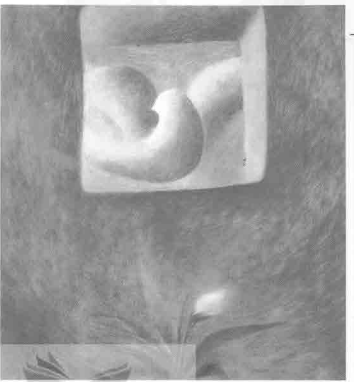
والعمارة الاسلامية وفي نفس الوقت كان لديه مخطوط دفعته إليه إحدى دور النشر اسمه ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي .. فرسم ١٠٠ صورة لمائة قصة من التراث العربي فجمع بين التحصيل والتطبيق.

وأخيراً بعد أن عاش حياة ملتزمة بدأت بصوت أبيه الآمر . ومروراً بآلات الطباعة التي تفرض على الفنان احترام امكانياتها ومواعيدها .. بعد سنوات من الالتزام بالثقافة الوطنية والالتزام أمام المتلقي ، وما يترتب على هذا من حدود يفرضها الفنان على نفسه ، فجأة أحس أن وجدانه يحتاج إلى يقظة وأنه بحاجة إلى درجة من الارتخاء والتراخي ، فعاد إلى رسم اللوحات الزيتية مقرراً ألا يلتزم بقرار . وترك لوجدانه العنان متخلصاً من كل القيود والحدود والضوابط المسبقة ، حتى الخبرات التكنيتيه بمعناها الذهني ، وراح يرسم مايعن له من أشكال بغير موضوع مسبق أو تصميم أو أسلوب ، فرسم مجموعة من اللوحات عرضها في نهاية عام ١٩٨٥ بالقاهرة وأعلن أن سعادته ولذاته الحسية أثناء رسم هذه اللوحات هي كل ماكان يهدف إليه ..

ظهرت في تلك اللوحات طيور ونوافذ ، واستخدم الاضاءة من خلف الأشكال المرسومة فتعكس الضوء بعيداً عن عين المشاهد وأهتم بالملمس واعطاء الاحساس بالخشونة في السطح .. وهذه الخشونة في نظره هي أحدى خصائص البيئة العربية في مقابل النعومة التي تسود حضارة الغرب ، ويضرب مثلاً لذلك بخشونة الخشب في مواجهة نعومة البلاستك ، وقد أوحى بهذه الخشونة عن طريق الايهام بالألوان الزيتية ولم يلجأ لتحقيق ذلك إلى خامات خشنة مثل الرمل أو الحصى .

لكن بيروت فيها نعومة فرنسية أوربية .. ولهذا لم يستخدم الفنان الأدوات والخامات الموجودة بوفرة في هذه المدينة حتى يحافظ على التقشف العربي ويعبر عن روح هذا التقشف في لوحاته ، على سبيل المثال يستخدم فرشة واحدة لينجز بها لوحاته ، كرد فعل للوفرة بمعنى تعدد الخامات .. إننا نحس هذا التقشف في ألوانه عندما يرسم اللوحات الزيتية ، لكن طبيعته الرومانسية تغلب عليه في النهاية ويحرص على روح المغامرة والاكتشاف وخوض المجهول حتى لايتجمد فنه ويكرر نفسه أو ينتج على وتيرة واحدة فيسمى آخر مراحله الفنية التي بدأ يخوضها باسم « مرحلة الأبواب شبه المغلقة » .

صبحي الشاروني



لوحة ما (١٩٨٥)



الحلم (١٩٨٥)





الدرس

بقلم: محمد زفزاف
الدار البيضاء

لا. أنا لم أتعمد قتل أحد. فرجل عجوز مثلي لا يمكنه أن يفعل ذلك، إذ كلما كبر الإنسان في السن ازداد حكمة وصبرا وتسامحاً. أطلقت الرصاص من بندقية الصيد لكي أرهب الأطفال فقط. ولسوء حظه ولسوء حظي أن الرصاصة أصابت ذلك الطفل البائس. من هو البائس؟ أنا أم هو؟ على كل. فهو قدر راح واستراح. أما أنا فقد أصبحت مجرماً في سن السبعين ياليتني ما فعلت. ولكن هل تنفع «ياليت» الآن؟ كل ما وقع قد وقع. غير أني لم أتعمد قتل أحد. أقتل مغربياً وأنا أحمل جنسية مغربية. بل إنى كنت من الأوائل الذين اشتغلوا في إنشاء السكك الحديدية بالبلاد قبل حوالى نصف قرن. أعرف المغرب طولاً وعرضاً. أعرف القبائل والمداشر والزوايا والأنهار وكل شيء. وتشاء الظروف اليوم أن أصبح قاتلاً، بعد ما عانيت من العزلة طيلة هذه السنوات الأخيرة. ماتت زوجتى قبل عشر سنوات. ولم نكن ننجب. فضلت أن تعود إلى مالطا لتموت هناك، ولم تقبل الجنسية المغربية. أما أنا فقد انقطعت جذوري بمالطا، ولم يبق في ذهنى منها سوى صور الماعز والبحر والفرسان. ترى لو أنني عدت إلى مالطا. هل كان سيكتب عليّ أن أقتل طفلا هناك؟ إنها مشيئة الله. كل الناس يعرفونني جيداً. لا يمكنني أن أقتل ولم يكن في نيتي أبداً إيذاء أحد. غير أن الأطفال كانوا يبالغون أحياناً، عندما يقفزون فوق سور الفيلا. ويعيثون فسادا في الحديقة. بل ان أحدهم دخل عليّ ذات مرة من نافذة المطبخ وأنا أهيء فنجان قهوة. وهم ليسوا من أطفال الحي. بل يسكنون في بيوت الصفيح، في حي باشكو، ويقومون بغارات على حينا. صحيح أنهم فقراء وأنا أعرف ذلك جيداً. وأنهم في حاجة إلى تفاحة أو إلى برتقالة من حديقة هذه الفيلا أو تلك. وبما أنني عشت طفولة قاسية مثلهم فأنا لم أفكر في قتل أحد. لطالما سرقت ما أقتات به عندما كنت طفلاً، والانسان عندما يشعر بالجوع، فإنه يفعل ما لا يمكن تصوره من أجل الحصول على الخبز. تلك غريزة البقاء فبعض الحيوانات تأكل حتى صغارها عندما تجوع، أقسم أنني لم أنو قتل أحد في حياتي قط. وإذا كنت قد قتلت عام ١٩٣٦ راعياً في قرية تمنار، فذلك للدفاع عن النفس. لأن ذلك البربرى كاد أن يفاجئني بخنجره في ظهرى عندما خانه صوته وهو يقول بالبربرية:

ـ ما تسكرت ختمزيرت نغ أيرومي؟
(ماذا تفعل في بلادنا أيها الأجنبي؟)

غير أنه كتب عليّ أن أقتله دفاعا عن النفس، إنها أيضاً غريزة البقاء ولم أعرف كيف استطعت أن أقتله. بل خيل لى أن مانويل آخر هو الذي قتله. يالمفارقات الحياة! لكن هذه المرة لم أتعمد قتل الصبي. ولم أكن أحاول الدفاع عن النفس. فقط أردت أن أرعب الأطفال حتى يكفوا ولو قليلاً عن نهب الحديقة. وحتى لا يتطور نهبهم للحدائق إلى نهب الفيلات. فالسارق يبدأ أولا بسرقة تفاحة في بستان، ثم يتطور الأمر فيسرق البستان كله في نهاية الأمر. ذاك كان تصورى. وكنت أنوي زجرهم، وأنبههم إلى أن ما يقدمون عليه سوف يؤدى بهم إلى الهلاك. غير أني فشلت في الدرس الذي أردت أن ألقنه لهم، وشاءت الظروف أن أصبح قاتلاً. كل الناس يعرفون أنني لا يمكن أن أفعل ذلك. وهل من المعقول أن يقتل الانسان أخاه الانسان من أجل تفاحة أو برتقالة؟ وحتى عميد الشرطة نفسه يعرفني جيداً، وكثيرا ما شربنا شيئاً معاً في مقهى «غيوم تيل». وقد تأسف كثيراً للحادث. وقال لى: إنه القدر يا مانويل. أنت رجل طيب. وإنسان كبير القلب. لكن القانون فوق الجميع. وأضاف إذا كان القانون من صنع الانسان، فهو في النهاية يصبح قيداً له. وقال لي أيضاً: تصور أن ما وقع لك، يمكنه أن يقع لأيّ كان في العالم. المهم أنني سوف أقدم شهادة بحسن سلوكك إلى القضاء.

أنا الآن لم أعد أفهم شيئاً. أردت أن ألقن درساً للأطفال، لكنني تلقيت درساً قاسياً، وفي وقت متأخر جداً، في السبعين من العمر. ولا أدرى إن كانت الدروس تنفع في مثل هذا العمر يا لغرابة الحياة!

العاشق والزمن الملتهب

شعر: محمد الفايز

مــاذا ســتفقِــدُ منــهــا لــو تُغادرهــا
وَمــا طــراواتُــهــا لــولا جــآذرهــا

رمتْ بكَ الــريــحُ فــيــهــا والــريــاحُ لــهــا
مــهــابــطٌ ولــهــا أيضاً معابــرهــا

مــالي أراهــمْ كــأنــنــي لا أرى لــهــمْ
حساً وليس لــهــم كــأسٌ وســامــرهــا

لــم أدرِ عنــهــمْ ولــكنــي رأيت لــهــمْ
منــــازلاً رُجمتْ أو قلَّ نــــاصرهــا

كــأن أمــــواتــهــم غزوٌ تقمَّصهــمْ
وفــيــهــمُ الفتنة الكبرى وناشرهــا

ولستُ أنــكــر أن القــادمــيــن إلى
تلك القُــرى أمــمٌ شــتــى عســاكــرهــا

تخــالــطَ الــنــاس حــتــى صار كلهــمُ
عشــيــرةً أو بــهــا ذابتْ عشــائــرهــا

تعيش كل حــروب الــنــاس أو حُشــرت
بــهــا الحــروب جــمــيعاً أو مصادرهــا

وصارت الأرض كــالــبــيت الــذي عتقتْ
جُــدرانُــه أو بــهــا شــيءٌ يُخــامــرهــا

كــأننــا نــتخطّــى ألــف مــرحلةٍ
بســاعــة لستَ تــدري مــا أواخــرهــا

يُــهــددون بحــربٍ وهــي قــاتــمــةٌ
إن الحــروب كثــيــراتٌ محــاورهــا

مــاذا جنــى الــورد كيمــا يُحــرقــوه ومــا
جنتْ حــدائقُــه أو قــال طــائــرهــا

يــاراجمــاً بــيتَ سلمــى في قــذائفــه
ونــاسفــاً دورَ جــاراتٍ تُجــاورهــا

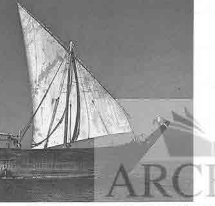
تجــاوزَ العالــمُ الآتــي رواسبَــكم
وشبَّــهــا فــيكمْ حــرباً يحــاصرهــا

والفــكــرُ في الــنــاس تشــذيبٌ لما تــركتْ
رواسبٌ ومفــاهــيــمٌ يُعاصرهــا

الكويت







مع اطلالة النفط على الأفق في الإمارات وشقيقاتها العربيات من دول الخليج ، انداحت رياح التغيير في المنطقة بلا هوادة ، فتبدلت الكثير من الحقائق ، وتغيرت المعالم وطرائق الحياة ، وتناول التغيير العقل والوجدان والضمير.

وفي إطار حركة التغيير الهائلة تلك ، إنتقل العديد من الأدوات والمعدات ، التي لازمت طرق الحياة التقليدية في البر والبحر ، ليستقر في المتاحف العديدة ، التي أقيمت في العديد من مدن الخليج .

وإذا كانت تلك هي القاعدة ، فإن استثناءً واحداً خرج عنها ، ليظل شامخاً ، معلناً قدرة إبداع العبقرية العربية على مواصلة البقاء والاستمرار ، واستثناء لاتستطيع العين أن تتجاهله ، ولايملك القلب إلا أن يخفق له ، والوجدان إلا أن يرفرف حوله وهو « سفن الخليج التقليدية » .

العبقرية العربية في سفن الخليج التقليدية

بقلم : كامل يوسف حسين

■ هذه السفن جابت بحار العالم ومحيطاته منذ ٤٥٠٠ سنة!

■ لماذا انسحبت الأيدى العربية بعيداً عن مشاق البحر ومخاطره؟



ولئن كانت هذه الكلمات الثلاث تختزل عالماً بكامله وتاريخاً بأسره ، فإن البعض تنبأ بأن هذه السفن ستختفي ، ولن يعود لها مكان في الحياة الاقتصادية لعصر النفط.

الآن لو أتك قدر لك أن تطل عبر دبي ، لألفيتها هناك تتألق تحت الشمس ، أو لو قادتك قدماك ــ أو بالأحرى سيارتك ــ مادمنا نتحدث عن عصر النفط ــ إلى شاطىء رأس الخيمة لوجدتها مواكب من العرائس تنساب عبر اليم .

ولكن إلى أي حد نستطيع أن نراهن على مستقبل سفننا التقليدية في الخليج واستمرار تألقها في عالم اتخذ من الصراع الدائب قانوناً رئيسياً له في معراج التطور؟

لعل نظرة على تاريخ هذه السفن هي المفتاح الصحيح للاجابة على هذا السؤال .

تاريخ ومعالم

الحقيقة الأساسية التي ينبغي أن نتذكرها هنا هي أن أقدم صورة متاحة لنا للسفينة العربية الخليجية يعود تاريخها إلى عام ١٢٣٧ ميلادية ، وهي بوضوح شديد تصور سفينة « البوم » المعروفة لنا اليوم ، فهناك المقدمة المميزة المنحدرة باستقامة ، والدفة المعلقة على القائم الخلفي ، فيما يجلس القبطان على الجزء المرتفع من السطح القريب من المؤخرة ، بينما يعكف بحاران على نزح المياه ، ويطل ستة تجار من نوافذ قمرات بنيت لهم فوق السطح .

ويؤكد المؤرخ البحري ديفيد هوارث أن السفن التقليدية الخليجية جابت بحار العالم ومحيطاته منذ ٤٥٠٠ سنة تقريباً ، محافظة بدرجة مذهلة من الثبات على خصائصها والعديد من سماتها العامة ومعالمها .

وفي العصور الحديثة ، يحدثنا العديد من المغامرين الأوروبيين عن السفن الخليجية التقليدية ، والرحلات التي تقوم بها ، إلى العراق شمالاً ، وإلى الهند شرقاً ، وإلى سواحل أفريقيا غرباً .

في عام ١٤٢٠ يحدثنا « نيقولودي كونتي » من البندقية عن رحلته ، على متن سفينة خليجية ، من بغداد مروراً بسواحل الخليج فالمحيط وصولاً إلى الصين . وفي القرن الخامس عشر يحدثنا « هيرو نيمو دي سان ستيفانو » من جنوا عن رحلته ، على متن سفينة خليجية ، إلى سومطرة. وفي منتصف القرن التاسع يحدثنا الانجليزي سير بارتل بريري عن سفينة خليجية ، تحمل مالا يقل عن ٢٠٠ طن في رحلتها بين سواحل الخليج والهند .

وبالأمس القريب حدثنا « سالم بن حسن بن عبدالله الشرهان » الذي يناهز عمره ثمانين عاماً ، عن أنه قبل ١١ عاماً فحسب كان يجوب الطريق من الامارات إلى الهند ، على متن إحدى هذه السفن التي أفنت القرون وما أفنى الدهر تألقها .

وإذا تجاوزنا هذه الاطلالة التاريخية ، وتحدثنا عن معالم هذه السفن التقليدية التي عرف الخليج ما لايقل عن ١٢ نوعاً منها ، وكانت سواحل الامارات الشمالية مرابعها التي تنطلق منها لتعود إليها ، وفيها تبنى وتصلح ، وبخاصة في دبي ورأس الخيمة ، لقلنا إنها جميعها تتصف بالبساطة

العبقرية العربية في سفن الخليج التقليدية

والتقشف ، الذي ربما كان المعادل البحري للتقشف الذي يسود الحياة العربية على البر .

أجيال من البناة العرب العظام أبدعت أيديهم من خشب الساج ، الهندي أساساً ، سفن الخليج التقليدية ، فمن أطول كتلة من الساج تصنع العارضة الرئيسية ، الممتدة بطول قعر السفينة . وقد حرص هؤلاء البناة دوماً على أن تكون هذه العارضة من كتلة واحدة ، حتى حينما توافرت لهم الأدوات والمعرفة الفنية لوصل العوارض بالحديد ، ثم تضاف المقدمة والمؤخرة وأمشاج العوارض والسطح فالصواري والأشرعة . وقد مهر هؤلاء البناة في استخدام المحركات الحديثة ، لدى ظهورها في المنطقة ، بل وأبدعوا شكلاً محدداً خصيصاً ليتلاءم مع المحرك الحديث .

وهذه السفينة الخليجية التقليدية ، أياً كان نوعها ، في خدمة محتواها الوظيفي على الدوام ، فلا مجال للترف أو الرفاهية ، ولا موضع للحديث عن الخصوصية التي تكفلها القمرات المنفردة ، وكما كان لورنس العرب يقول عن أبناء شبه الجزيرة العربية إنهم يميلون إلى الحياة معاً ، ولا يريد واحدهم ولا يتوقع أن يطلب منه أن يحيا بمفرده ، فكذلك تسير الحياة على السفينة الخليجية .

وقد يقول متشكك في عبقرية بناة السفن العرب العظام ، كيف يمكن أن يغفل بناة السفن ، في رأس الخيمة مثلاً ، عن تصميم ما يكفل حماية البحارة والنوخذة من المطر وهم في رحلتهم الطويلة إلى الهند أو إلى ساحل أفريقيا ، والرد البسيط على هذا هو أن بناة السفن لايبنونها في فراغ ، وإنما في ظروف موضوعية واضحة ومحددة ، حقاً انه ما من صانع سفن واحد في رأس الخيمة على سبيل المثال يستخدم رسومات مكتوبة للتصميم مسبقاً ، ولكن ماينتجه يأتي في النهاية نموذجاً للإبداع البحري العملي ، وعدم تصميم مأوى على السطح مرده أن هذه السفن تقضي موسم المطر القصير عادة في مرافئ الوطن ، بينما يكون الجو مثالياً خلال الرحلات ، التي يمتد بعضها إلى ستة أشهر ، والهواء دافئاً في الغالب ، مما يجعل السطح مكاناً مثالياً في تجرده وبساطته المتقشفة تلك .

وقد يعود متشكك في تلك العبقرية العربية فيطرح الاعتراض القديم ، الذي سبق أن طرحه « ماركو بولو » على هذه السفن ، وهو أنها كانت تصنع جميعها باستخدام السفن والحبال ، دون لجوء إلى المسامير . والواقع أن بناة السفن العربية في دبي ورأس الخيمة ومسقط وغيرها من مراكز الابداع البحري العربي بالمنطقة كانوا يبنون سفنهم على هذا النحو ، لأنه الأسلوب الأمثل وحتى حين عرفوا المسامير الحديدية ظلوا فترة طويلة يستخدمون الأسلوب التقليدي ، ذلك أن أقرب أماكن يجلب منها الحديد للمسامير كانت في الهند ، الأمر الذي يضاعف نفقات البناء ، كما أن إحلال الحبال الجديدة محل البالية أيسر ، ولا تحتاج السفينة إليه إلا مرة كل عام أو كل عدة أعوام بينما إحلال المسامير أكثر إضراراً بخشب الساج ، وتمس الحاجة إليه عدة مرات في السنة .

نقطة أخرى قد يطرحها البعض ، وهي الاشارة إلى أن تطوير سفن الخليج التقليدية تم تحت تأثير سفن الغزو البرتغالية وغيرها من سفن الهولنديين والانجليز ، وقد يصح هذا إلى حد ما ، ولكن لعلنا لاننسى أن التأثير كان متبادلاً بشكل ما ، فالمؤرخ البحري « هواريث » يشير إلى أن البرتغاليين نقلوا عن العرب الشراع مثلث الشكل ، الذي مكنهم من دفع سفنهم من بلادهم حتى اليابان باستغلال مواسم الرياح .

سفننا تقتحم المحيط

ليس الحديث عن الحياة البحرية للإمارات بخاصة والسواحل العربية للخليج بعامة بالأمر اليسير أو السهل التناول ، فهذا الحديث يتناول في غمار مقاطعه مايدور بين قطبي الزوارق الصغيرة المصنوعة من النخيل والبغال الضخمة ، التي تقل أكثر من ٤٠ بحرياً كأفراد لطاقمها .

مع هذا فلعلنا لانقتحم الخطوط الحمراء للتبسيط المخل ، إذا ألمحنا سريعاً إلى بعض نوعيات سفننا التقليدية ، وفي مقدمتها :

١) البوم : أشهر السفن التقليدية في الخليج ، وأكثرها شيوعاً ، إلى الحد الذي أصبح يطلق معه على صدر أي سفينة ، وكذلك الشراع الصغير في صدرها ، اسم « بومية » . وتبنى بكاملها من خشب الساج الهندي ، وقاعها من كتلة واحدة من هذا الخشب ، والمقدمة من كتلة ثانية ، والمؤخرة من كتلة ثالثة . وهي مزدوجة النهاية ، والمقدمة والمؤخرة تميلان ، بحيث أن كتلة قعر السفينة لاتشكل إلا حوالي نصف اجمالي طول البوم . وللبوم سطح واحد منخفض على نحو توضع معه نصف حمولة السفينة على السطح ، وهناك سطح مرتفع عند مؤخرة البوم . والزخرفة الوحيدة الواضحة التي تميز البوم هي الامتداد الملموس والبارز من مؤخرته . وقد اكتسب البوم قيمة عملية هائلة باضافة محركات الديزل إليه ، مما جعله جزءاً لايتجزأ من تجارة إعادة التصدير في دبي عبر الخليج ، وإن كان العديد من هذه السفن يقوم برحلات إلى الهند والساحل الأفريقي أيضاً .

٢) البغلة : هي أضخم السفن التقليدية الخليجية على الاطلاق ، وقد يصل عدد بحارتها إلى ٤٠ بحاراً . ويقال إن البناة العرب استوحوا تصميمها من سفن الغزو البرتغالي للمنطقة ، تميزها عند النظرة الأولى ، ولغير الخبير بالحياة البحرية الخليجية ، مؤخرتها المربعة الضخمة المتميزة بنقوش محفورة في خشب الساج الذي تصنع منه . وهي تستخدم أساساً لحمل البضائع ، وقد تراجعت إلى حد الاختفاء من السواحل العربية تقريباً ، مفسحة الطريق لمنافسها العتيد « البوم » ، ربما في المقام الأول لأنها أكثر تكلفة من البوم .

٣) السنبوك ، ويقال لها كذلك السمبوك : سفينة ذات حجم متوسط ، لم يقدر لها قط أن تبني في ضخامة البوم الكبير ، وهي من القدم بحيث وردت في رحلات ابن بطوطة باسم « الصنبوق » ويقول ابن بطوطة في معرض الحديث عن ظفار وأهلها : « ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب » . ولا نرى في السنبوك الحفر البارز الذي يجمل البغلة ، لكننا نرى بالمقابل ميلاً إلى استخدام ألوان الطلاء على نحو يفوق مانعرفه في أي سفينة تقليدية خليجية أخرى . والواقع أنه كلما اتجهنا غرباً على امتداد السواحل العربية ازداد ميل بناة السفن وبحارتها إلى استخدام الطلاء . وشأن البوم ، فإن السنبوك الذي نادراً مايبلغ طوله مائة قدم يستخدم في نقل البضائع والتجارة ، لكنه استخدم كذلك على امتداد قرون طويلة في نقل الحجاج إلى الأرض المقدسة ، مروراً بالبحر الأحمر ، ولا يزال حتى اليوم يستخدم في نقل الركاب من وإلى الساحل الأفريقي .

٤) الشوعي : سفينة صغيرة ذات حمولة محدودة ، ومع ذلك فإنها فيما يبدو كان بوسعها الوصول إلى بغداد ، حيث تعرف

هناك باسم « شويعي » . ويمكن القول دون مبالغة بأنها أكثر السفن الخليجية التقليدية جمالاً وجاذبية وتألقاً . وبوسع المرء أن يرى الشوعي وهي تحت البناء حتى اليوم في مراكز بناء السفن على شواطئ رأس الخيمة ، ويدهشك البناة العظام التقليديون هناك ، إذ يبنون مثل هذه السفن الجميلة من الذاكرة ، دون خط واحد على الورق .

ومن المهم أن نلاحظ أن الشوعي إذا مازود بالمحركات فإنه يمكن أن يتحول إلى يخت رائع ، وحتى دون إدخال أي تعديل على شراعه المثلث . ويمكن للعين غير الخبيرة أن تميز بنظرة واحدة الشوعي عن السنبوك من خلال المقارنة بين مقدمتي السفينتين ، فمقدمة السفينة الأخيرة ، السنبوك ، تتألف من انحناء مقعر واحد ، أما مقدمة الشوعي فهي تتألف من انحناء علوي مقعر وآخر سفلي مقعر بدوره ، كما أن الشوعي أميل إلى الصغر ، وغالباً ما يتراوح طوله حوالي الخمسين قدماً للنماذج الأكبر منه ، أما على الصعيد الوظيفي فيمكن القول بأن الشوعي قد يحمل البضائع في رحلات قريبة من الساحل ، ولعلك لاتدهش إذا رأيت شوعي في خور دبي وقد حمل سيارتين فوق سطحه ومع ذلك فإن الشوعي هو سفينة صيد أساساً .

٥) الزَّراقة : سفينة صغيرة تتميز أساساً بسرعة حركتها ، التي لاتعرفها سفينة أخرى ، من سفن الخليج التقليدية . ويرى البعض أن الزَّراقة ربما كانت أقدم من البوم نفسه ، وإن كانت الآن أقل انتشاراً منه ومن السنبوك . ويمكن لمن يريد التعرف على الزَّراقة عن قرب أن يلقي نظرة على نموذج منها محفوظ الآن في فناء متحف دبي في قلعة الفهيدي ببر دبي .

٦) الجــالــبـوت : ويقـال كـذلك الجلبوت : سفينة تسير بالشراع وكذلك بالمجداف ، سريعة الحركة ، يقول عنها معجم الألفاظ العامية في دولة الامارات العربية المتحدة « قال الحنفي في معجم الألفاظ الكويتية : وقد خرّج بعضهم اسمها من والي بوت وهي سفينة هولندية وخرجت أيضاً من Jolly Boat ، أي سفينة النزهة بالانجليزية ولعل أصلها من Clipper وهو ربان السفينة بالانجليزية وقد وردت اللفظة في رحلة ابن جبير عام ١٨١٣ قال : « ركبنا الجلبة للعبور إلى جدة » . وقد يصل طول الجالبوت إلى ستين قدماً . ويمكن لغير الخبير أن يميزها على الفور ، لأنها السفينة الخليجية التقليدية التي لها مقدمة تنتصب عمودية على الماء .

٧) البلم : هو القارب الصغير من لزورق المحفور من الشجر مباشرة فصاعداً ، والمستخدم منه في الخليج حالياً يميل إلى الصغر ، ويبنى من خشب الساج ، ويستخدم في الصيد . وهو مسطح القعر وليس له كتلة قاع وإنما لوح أكبر في السمك من باقي الأخشاب المستخدمة في صنعه ويضاف له محركان ، أحدهما صغير في مناطق الصيد ، والآخر كبير يستخدم في نقل القارب من المرفأ إلى منطقة الصيد والعكس . وهو يبنى في رأس الخيمة ودبي وغيرها من مناطق الامارات في نفس مراكز بناء البوم والشوعي ، وإن كانت الرابطة الوحيدة التي تربطه شكلاً بالسفن التقليدية هي مقدمته .

وهناك العديد من أنواع السفن الأخرى ، التي يضيق المجال عن ذكرها هنا ، ومنها على ســبـيـل المثـال لاالحصر : الـبـتـيـل ، الزانقية ، الصمعة ، البـبلي ، الجانحه ، البقارة ، وغيرها .

إلى أين من هنا ؟

التساؤل عن الطريق الذي تمضي فيه السفن التقليدية في الامارات بخاصة والخليج بعامة يطرح علامة استفهام شائكة ، تكتنف الاجتهاد في الرد عليها هوامش ضخمة للخطأ فقبل سنوات تنبأ كثيرون بأن هذه السفن ستغيب عن عالمنا لامحالة . ومع ذلك فها هي تتقافز كالطيور البحرية على سواحلنا .

ورغم عنصر المغامرة هذا في اجابة السؤال ، قد نستطيع استشراق آفاق المستقبل من تأمل النقاط التالية :

أولاً : إن أنواعاً بعينها من السفن قد رحلت عن عالمنا نحو المغيب بالفعل . وأصبح أقصى طموح لنا هو أن نحتفظ للأجيال المقبلة بنماذج محدودة لها فحسب . فالبحار الفرنسي « آلان فييه » يحدثنا بأنه قبل الحرب العالمية الثانية كانت هناك أقل من خمسين بغلة ، وسالم بن حسن بن عبدالله كبير عائلة الشرهان بدولة الامارات العربية يقول لنا إن اسرته وحدها تمتلك أربع بغال ، ولم يعد لها اليوم وجود في الامارات . لكن « ديفيد هوارث » يحمل لنا مايوشك أن يكون إشارة لإسدال ستارة النهاية على وجود هذا النوع في الخليج فيقول أنه لاوجود للبغال في السواحل العربية للخليج بأسرها ، عدا بغلة واحدة راسية أمام ساحل مسقط .

■ هل غفل بناة السفن العظام في الخليج عن تصميم ما يكفل حماية البحارة من المطر في رحلاتهم الطويلة ؟

■ البرتغاليون تقلوا عن العرب الشراع مثلث الشكل لدفع سفنهم من بلادهم حتى اليابان

ثانياً : بالمقابل هناك أنواع أخرى تواصل البقاء في معركة الحياة اليومية . وفي مقدمتها البوم ، ولكن المحزن أنه باستثناء قلة من النواخذة والبناة العظام العرب فإن الأيدي العربية انسحبت من مجال بناء السفن التقليدية والعمل كبحرية على سطحها ، مفسحة المجال للأيدي الآسيوية . وإذا كان لابد لكل حرفة في الدنيا ، لكي تبقى ، أجيال من المتدربين فإن هذا الميدان لم يعد يعرف المتدربين العرب كذي قبل ، حيث تتاح لهؤلاء على البر فرص مادية أفضل ، بعيداً عن مشاق البحر ومخاطره .

● : ثالثاً هناك اتجاه محمود الآن لإعادة أحياء جوانب من الحياة البحرية القديمة ، كالغوص على اللؤلؤ وغيره ، وهذا من شأنه أن ينعكس ايجاباً على حياة السفن التقليدية واستمرار بقائها . ولعل هذا يتدعم بتبني الهواة العرب للشوعي في رياضة اليخوت ، بدلاً من استخدام السفن الأوروبية أو اليابانية في هذه الرياضة ، كما هو الحال الآن .

● رابعاً : رغم الجهود الطيبة التي بذلها المسؤولون عن متحف دبي وغيره من متاحف المنطقة ، للحفاظ على نماذج من سفن الخليج ، فإن الوقت قد حان لكي يتم انشاء التعاون لاحتواء أكبر قدر ممكن من معالم الحياة البحرية العربية والحفاظ عليها للأجيال المقبلة .

لقد استطاعت سفننا أن تواصل الحياة والعطاء عبر عشرات القرون ومن المؤكد أنها بمزيد من الجهد منا ستستمر في الانطلاق عبر بحارنا رمزاً حياً للعبقرية العربية التي أفنت القرون ومازالت على صمودها .

كامل يوسف حسين

هكذا تكلم الرجل

أيقظني ابني الأصغر «كعب» في منتصف الليل وقال لي إن أربعة رجال، يبدو أنهم لصوص، اقتحموا البيت ودخلوا الإيوان.. أفزعني قوله وسألته لماذا أدخلتهم، فقال إنه سمع نقرهم على الباب، وما أن فتح حتى اندفعوا داخلين، ولم يستطع التحقق من شخصياتهم لأنهم ملثمون..

تناولت رمحي ودخلت الإيوان فرأيتهم وقوفاً.. لأول وهلة أحسست بأنهم من اللصوص بسبب ثيابهم الخشنة السوداء الغارقة في التراب.. تقدَّم مني أقصرهم قامة وأزاح اللثام عن وجهه وقال لي: أنا النُّعمان ياهانئ..

لو لم أكن رأيت النعمان بن المنذر أكثر من مرة، لما صدَّقت أن الذي يخاطبني هو ملك الحيرة.. إذ من غير المعقول أن يدخل أشهر ملوك العرب وأقواهم بيتي متسللاً هكذا في الخفاء.. ظللت لوقت طويل أحدِّق في وجهه ــ بنقاطه البيضاء الخفيفة ــ وهو يكلِّمني وأنا لا أعي مايقول.. أشرتُ إلى الفراش وقلت: «اجلس أيها الملك. أبَيْتَ اللعن»، فقال لي: «إذا عرفت بأنك ستجيرني، جلست، وإلاَّ دعني أبحث عن غيرك».. لم يجلس إلاَّ بعد أن قلت له: «أنت جاري: جئت أهلاً، ونزلت سهلاً»، ثم أرسلت في طلب أخي وابني الأكبر «عاصم» وطلبت منهما أن يجلسا معهم.. وتسللتُ إلى بيت ابن عمي «قيس بن خالد» وأيقظته من النوم.. أفضيتُ إليه بما حدث فلم يصدِّق حرفاً مما أقول.. قرَّب أنفه من فمي فحلفتُ له بأنني لم أذق خمراً.. حينئذ ارتاع «قيس» وقال لي إن الذي أقدمت عليه يعني هلاك الرجال وأسر النساء وخراب الديار، فنحن لا طاقة لنا على قتال كسرى. فقلت له إن النعمان استجار بي وسوف أجيره حتى لو لم يقف معي من قومي رجل واحد.. ثم قام قيس معي من ساعته ودخل على النعمان وعانقه وجلس بجواره وسأله عن السبب فروى القصة:

حينما توفي الملك المنذر بن ماء السماء ــ والد النُّعمان ــ كان له ثلاثة عشر ولداً، كل منهم يستحق أن يجلس على عرش أبيه.. فطلبهم كسرى للمثول بين يديه ليختار منهم واحداً.. وكان في بلاط كسرى رجلان من المترجمين العرب لهما نفوذ كبير.. أحدهما «عَدِيّ» وكان صديقاً للنعمان، والآخر ابن مارينا، وكان ينحاز لشقيقه «الأسود بن المنذر».. تنافس المترجمان فانتصر «عَدِيّ» ووضع كسرى التاج بيديه فوق رأس النعمان.. حينما أحَسَّ ابن مارينا بالمكانة التي وصل إليها عديّ في بلاط النعمان، حسده.. فتقرَّب إلى النعمان بالهدايا والزيارات وحلو الحديث، ومضى، ومعه أعوانه، يفسدون مابين الصديقين.. يتصنعون البراءة، وهم يمدحون عَدِيّاً، ثم يدسّون كلمات يأخذون عليه فيها أنه يقول إن النعمان من صُنْعه، ولولاه لما كان ذا شأن، وتراكمت هذه الكلمات فتحوَّل قلب النعمان، ثم نجحوا في أن يزيِّفوا رسالة باسم عَدِيّ موجَّهة إلى أحد كبار موظفي القصر. حينما قرأها النعمان دخل في روعه أن (عَدِيّاً) يتآمر عليه، فلما جاء عديّ لزيارة الحيرة، أمر بزجه في السجن..

لكن النعمان ندم وعندما أراد أن يُخرج صديقه ويعتذر إليه، تواثب أعداء (عَدِي) وحذروه.. قالوا له لو أطلقته فسوف يكيد لك عند كسرى.. ونجح عديّ في أن يسرِّب من سجنه رسالة إلى شقيقه الذي يعمل في البلاط الفارسيّ.. وعرض الشقيق الرسالة على كسرى الذي كتب إلى النعمان يأمره باطلاق سراح (عَدِي).. ومرة أخرى وثب أعداء (عَدِيّ) يحذرون النعمان.. لو خرج عديّ بأمر كسرى لأهلكنا وأهلكك، ومازالوا به حتى وافق على قتله.. ولما جاء رسول كسرى قالوا له إن (عديا) مات قبل وصولك بأيام..

لكن شقيقه عند كسرى مضى يخطِّط لكي يثأر لشقيقه.. في نفس الوقت كان النعمان قد تكدَّر صَفْوُه.. قتل صديقه الذي أحْسَنَ إليه بسبب وشايات لم يتحقَّق منها.. فمضى يبحث عن ذرية (عَدِيّ) حتى عرف بأن له ولداً يُسمى «زَيْد» فتبنَّاه وأحضر إليه المعلمين حتى أجاد العربية والفارسية وآدابهما، ثم كتب رسالة إلى كسرى يطلب منه أن يُلحقه بالوظيفة التي كان يشغلها أبوه..

في بلاط كسرى انضم (زَيْد) إلى عمه ومضيا يخططان للانتقام من النعمان حتى حانت الفرصة..

كان من عادة الفرس أن يتزوجوا من الشعوب التي تتبعهم، لكنهم لا يزوجون بناتهم إليها.. وقد تزوجوا من كل الأمم التي حولهم، لكنهم لم يتزوجوا من العرب ولم يفكروا في هذا.. وفي أيام كسرى أنوشروان ــ جد كسرى الحالي ــ كان ملك الحيرة ــ المنذر الأكبر ــ قد أهدى جارية رومانية لأنو شروان وكتب معها رسالة يستعرض فيها فصاحته العربية:

«إني وجَّهتُ إلى الملك جارية معتدلةَ الخلق، نقَّيةَ اللون والثغر، بيضاء، قَمْراء، وَطْفاء، كَحْلاء، دَعْجاء، حَوْراء، عَيْناء، قَنْواء، شَمَّاء، أسيلة الخدّ، عظيمة الهامة، بعيدة مَهْوَى القُرْط، عَيْطاء، عريضة الصدر، ركينة، كريمة الخال، رأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة» وكلام آخر كثير مثل هذا، سُرَّ به أنوشروان وعُني بإثباته في سجلاّت دواوينه وأمر بالعمل به إذا أرادوا نساءً للأمراء، وتوارثها ملوك الفرس من بعده. وذات يوم أراد كسرى الحالي ــ أَبَرْوِيزْ بن هُرمُزْ ــ أن يبحث عن جوارٍ جميلات له ولأبناء الأسرة المالكة، فطلب من كاتبه أن ينقل الصفات التي في السجل ويرسلها إلى جميع الملوك الذين يخضعون له.. وهنا حانت الفرصة أمام (زَيْد) وعمه.. قالا لكسرى إن لدى النعمان أكثر من عشرين فتاة ــ من بناته وبنات إخوته ــ تنطبق عليهن هذه الصفات، وسوف يسعد إذا أرسلهن إليك!.. قالا هذا وهما يعرفان ــ كعربيَّيْن ــ أن العرب أيضاً ــ مثل الفرس ــ لا يزوجون بناتهم ــ ولا يهدونهن ــ للأقوام الأخرى..

كتب كسرى إلى النُّعمان يأمره بأن يرسل بناته وبنات أخوته لكي يتخذ لنفسه جارية ويوزع الباقيات على الأمراء! وهنا طلب زَيْد ــ بخبث ــ أن يذهب هو بالرسالة خوفاً من أن يعرض النعمان فتيات غيرهن، لأنه يعرف بنات النعمان بحكم نشأته في بيته.. كما طلب

الذي حمى بنات النعمان

بقلم: عبد الوهاب الأسواني



أن يذهب معه رجل فارسيّ يجيد العربية لكي ينقل إلى كسرى كل كلمة يتفوّه بها النعمان..

حينما قرأ النعمان الرسالة ، ظهر الغضب على وجهه وقال لزيد : ألم يجد كسرى في « مَهَا » فارس مايُرضيه حتى جاء يطلب بناتي ليتخذهن جواري ! ..

لم يفهم الرجل الفارسيّ الكلمة فسأل (زيد) بالفارسية : ما المَهَا ؟ ، فقال زَيْد : هي البَقَر ! .. ولاذ الفارسيّ بالصمت.

قال النعمان لزيد ـ وهو لا يعرف أن الآخر يجيد العربية ـ حاول أن تجعل كسرى ينسى هذا الأمر ، قل له إن بنات النعمان تزوجن ، أو أن ذرّيته من الذكور ، واعتذر له عني.

عاد زيد إلى كسرى وقال له إن هؤلاء العرب يتعالون عليك ويصفون عاصمتك بأنها سجن ، ويفضلون الحرية ـ كما يقولون ـ مع الجوع والعُري في الفيافي والقفار. وسوف أترك صاحبي ينقل إليك ما قاله لأنني لا أقوى على ذلك !

سأل كسرى الرجل الفارسيّ ، فقال هذا إن النعمان قال : لا بنات عندي لكسرى ، وليبحث عمّن تُرضيه في (بَقَر) فارس !

تقلص وجه كسرى وقال : رُبَّ رجلٍ سعى إلى خراب مُلكه بنفسه..

وشاع هذا القول حتى وصل إلى النعمان ، فظل لفترة يترقّب الشر ، ثم جاءته رسالة من كسرى يطلب منه المثول بين يديه ، فترك الديار وهام على وجهه يبحث في أحياء العرب عمّن يقبله لاجئاً.

* * *

عندما انتهى النعمان من سرد هذه القصة ، وكان الصبح قد طلع علينا ، قلت له : قد لَزِمَني ذِمامُك ، سوف أمنعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ، مابقيَ من عشيرتي الأدْنَيْن رجل واحد ، مرحباً بملك العرب في دياره.

لكنه قاطعني قائلاً : كلا ياهانئُ بن مسعود.. إن ذلك سوف يهلكني ويهلككم يامعشر بني بكر ، فلا طاقة لكم على كسرى ، وأنا لا أرضى أن أعرضكم للفناء.. سوف أكتب إلى كسرى أطلب منه العفو، وأستأذنه في المثول بين يديه.

ـ لن تذهب إلى كسرى ، ولن تبارح بيتي ، أَبَيْتَ اللعن.

ـ اصغ إلى ما أقول ياهانئُ.. ينبغي على الملك أن يعيش ملكاً لا أن يتحوّل إلى سُوقَة.. إن صَفَحَ كسرى ، عُدت ملكاً عزيزاً ، وإن أهلكني ، مِتُّ كريماً ، هذا خير من أن أعيش لاجئاً يَهزأ بي السُّفَهاء.

ـ ومادمت تنوي هذا ، فلماذا جئتني ؟

ـ جئتك لتحمي بناتي.. هُن مختبئات الآن في بيت رجل كنت قد أسديتُ إليه معروفاً.. إن وعدتني بحمايتهن ، أرسلتُ في طلبهن..

ـ أنت تعرف إجابتي ، أَبَيْتَ اللعن..

وكتب النعمان إلى كسرى يعتذر إليه . وبعث إليه بهدايا أكثرها من منسوجات اليمن المشهورة ذات الألوان المريحة ، وجاءت بنات النعمان الثلاث ، كبراهن ـ هِنْد ـ في سن ابنتي زينب : معهن أربع من بنات أخوته ، فضلاً عن زوجته وواحدة من عمّاته أَبَتْ أن تُفارق البنات.. وقال لي إن بقيّة نساء الأسرة فضّلن الإقامة في الحيرة لأن بعضهن تزوّج وبعضهن الآخر لا خوف عليه ـ بحكم السن ـ لكن الخوف على العذارى السبع اللاتي لا تتجاوز كبراهن العشرين ، فادخلتهن بيتي ، وخلطتهن بزوجتي وبناتي..

وأقام النعمان بيننا ، نعامله كأنه لا زال ملكاً ، ونعتذر له عن خشونة فرشنا ، وكان سعيداً ، يقول إنه لم يكن يتوقع غير هذا ، وجاء رسوله حاملاً كتاباً من كسرى يطلب منه المثول بين يديه ، وكان في الكتاب كلاماً مطَمْئناً وقال لنا حامل الكتاب إنه لم ير عند كسرى مايسوء ، فاستبشرنا.

ارتدى النعمان ملابس الملوك ، ووضع التاج على رأسه ، وأسدل على كتفيه العباءة ذات القصب ، وركبنا معه أنا وعشرة من أبناء عمومتي ، وكان معنا الرجال الثلاثة الذين جاءوا معه ، وهم من بسطاء الناس ، فظللنا نسير بجواره من مطلع الشمس حتى مغيبها ، إلى أن أوصلناه إلى حدود أرضنا الشرقية.. توقّف ليودّعنا فتوقّفنا.. لكنه ظل ينظر إلى وجهي لفترة طويلة ثم قال لي بصوت خالطته رعشة :

ـ ماذا عن بناتي ياهانئُ بن مسعود ؟

ـ لن يصل إليهن أحد حتى يصل إلى بناتي..

تعانقنا ونحن فوق جواديْنا ، ثم ركض بجواده ووقفنا لفترة ننظر في اتجاهه حتى تلاشى في الظلام..

* * *

من عادتنا ـ نحن بطون بني بكر ـ أن نَتَتَبَّع الكلأ شتاء في الجنوب فنتوغل في سيرنا حتى نصل إلى حدود ديار بني تَغْلِب التي تبدأ من التقاء دجلة بالفرات.. وعندما يشتد القَيْظ نرتدّ شمالاً فنقطع عشرات الفراسخ حتى نصل إلى مائنا الكبير « ذي قار » فنقيم على ضفافه طوال الصيف.. وماؤنا الحبيب هذا يقع في أقصى الشمال من أرضنا ، وبعده بقليل تبدأ أرض واسعة تَنَبَّأ الكهنة بأنها سوف تُصبح مدينة ذات شأن باسم الكوفة !

كنا قد وصلنا لتوّنا إلى ضفاف « ذي قار » عندما جاءنا نبأ مقتل النعمان.. قالوا لنا إن كسرى لم يستقبله.. بل أمر جنوده أن يضعوا في يديه الأغلال أمام باب القصر ، ثم بعث به إلى السجن ، وهناك خنقوه.

سقط كسرى في عيني.. فلو جاءني قاتل أبي مُسْتَسْلِماً ، لما استطعت أن أناله بأذى وإلاّ سقطت هَيْبَتي في أحياء العرب.. هذا الكسرى لا علم له بما يجب أن تكون عليه التقاليد ، ولا يحمل في قلبه شجاعة الرجال ، ولا أظنه يفقه شيئاً فيما يجب أن يتحلّى به زعيم القوم ، ولقد أخطأتُ عندما سمحتُ للنعمان بالذهاب إلى رجل له مثل هذه الخصال..

قبل أن نفيق من هذه الصدمة ، جاءني كتاب من ملك الحيرة الجديد « إياس بن قَبِيصَة » ـ وهو ليس من أسرة النعمان ـ يقول لي إن كسرى بعث إليه بكتاب يأمره أن يُرسل إليه بنات النعمان لأنه عرف بأنهن تنطبق عليهن صفات الجمال المكتوبة في دواوينه ، كذلك نرسل له الأموال الطائلة التي تركها النعمان عندنا ، وختم كتابه بقوله : إن قبيلة بكر بن وائل لم تختَرْكَ زعيماً عليها إلاّ لكبر عقلك ، فلا تجبرني أن أرسل إليك الجنود لتقتل الرجال وتَسْبي النساء..

بعثت بكتاب إلى الملك إياس قلت له إن بنات النعمان في جواري ،

وأنت ــ كعربيّ ــ تعرف بأن الجار لا يُسلِّم ، أما عن الأموال ، فإن الذي بلغك باطل ، فلم يترك النعمان درهماً ولا ديناراً ، فاذا كان الأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين : إمّا رجل استُودِع أمانة فهو حقيق أن يُعيدها إلى من استودعه إياها ، ولن يُسلِّم الحرُّ أمانة .. أو رجل مكذوب عليه . فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد ..

ثم رجوت الملك إياس أن يجتهد في أن يُنسي كسرى هذا الأمر . وهنّأته بمُلك الحيرة ودعوت له برغد العيش .

* * *

لم تمض فترة وجيزة حتى فوجئنا بما تعجبْنا له .. جيش كسرى الذي يرابط في ناحية « القُطْقَاطَة » زحف وعلى رأسه القائد الشهير « الهامَرْزْ » وأقام معسكره على مقربة من ضفاف ذي قار .. وجيش كسرى الذي يُرابط في ناحية « بارق » زحف بقيادة « جَلاَبْزِينْ » وانضم إليه .. وفي نفس اليوم وصل الملك إياس بن قَبيصَة على رأس جيش الحيرة العربي ــ النّظامي ــ وأقام معسكراته بجوارهما .. ثم جاءت قبيلة « إياد » التي توالي كسرى ، وانضمت إلى جيش الملك إياس ..

حتى بعد أن رأيت هذه الجيوش التي تتقدّمُها الأفيال المحاربة ، لم أكن أظن أن كسرى ــ الذي تخضع له الأمم ــ يمكن أن يصل به الحمق إلى محاربة قبيلة صغيرة فقيرة مثل قبيلتنا .. لم أصدّق ــ أنا وكل قومي ــ إلاّ بعد أن جاءني رسول يحمل كتاباً باسمي عليه خاتم كسرى ..

هذه أول مرة يدخل فيها بيتي رجل من حاشية كسرى ، ويخاطبني باسم ملك الملوك ..

كان حامل الرسالة رجلاً عليه ثياب من الديباج الأحمر وعلى رأسه قَلَنْسُوة طويلة معصوبة بشاش أبيض .. كان رجلاً صالحاً ينحدر من أسرة من عامّة الناس ، لكنّ عِلْمَه رفعه إلى مقام حاشية كسرى .. قال لي إنه يعطف على الفقراء ويعتقد أن الناس سواسية لا فرق بين فارسيّ أو تركيّ أو عربيّ فكلهم ميّتون .. وعرفت أنه من مذهب رجل يقال له « زرادشت » لكنه يخفي ذلك عن المجوس الذين يزعمون أنهم فوق الناس .. ارتحتُ إليه وأحببته فدخل بيتي المصنوع من الطين ، وجلس في تواضع على فَرْشي المؤلف من جلود الجمال . وقال لي :

ــ ياهانئ .. جئتك بكتاب من هذا الطاغية ــ كسرى ــ وأنا حزين لما فيه .. فهو يعرض عليكم أن تختاروا واحدة من ثلاث ..

ــ ما الأولى ؟

ــ أن تُعْطُوا ما بأيْديكم ، فيحكم فيكم بما يشاء .

ــ معنى « أن نُعطي ما بأيدينا » أن نُلقي سلاحنا ونذهب إليه جميعاً ــ كل قادر على حمل السلاح ــ ونقف تحت قصره .. قد يعفو عنا وقد يأمر بقتلنا .. أليس كذلك ؟

ــ نعم ..

ــ وما الثانية ؟

ــ أن تُعَرُّوا الأرض .

ــ وأين نذهب إذا هجرنا الأرض التي لانعرف غيرها وتحتها عظام آبائنا ؟ ..

ــ وما الثالثة ؟

ــ أن تأذَنُوا بحرب .

ــ وكيف نستعد لحرب كسرى الذي تخضع له رقاب الملوك ونحن الأقلة الفقراء ؟

ــ ياهانئ .. في قصر كسرى أعداء للنعمان يريدون إذلاله في بناته .. وما يحزنني أنهم من نفس جنسكم .. هكذا أنتم يامعشر العرب ، بعضكم يكيد للبعض ، مع أنّكم لو تَصَافَقْتُم ــ كما فعل الأتراك ــ لما تجرأ كسرى أن يقول : أريد استئصال بني بكر .

ــ يريد استئصالنا ؟!

ــ نعم .. فقد ثار حينما رفضتم أن ترسلوا إليه بنات النعمان .. فأشار عليه أناس من قومكم بأنكم لاتستطيعون مغادرة ذي قار في أيام القيظ ، قالوا له هذه فرصتك وإلاّ ذهب القيظ وانداحوا في أرضهم فلا تقدر عليهم بسهولة ..

ــ وكيف يشغل كسرى نفسه بضعفاء الناس أمثالنا ؟

ــ أنت تعلم أن كسرى هذا ــ « أبَرْوِيزْ بن هُرْمُزْ » قَتَلَ أباه وجلس مكانه ..

ــ أعرف ..

ــ يبدو أن هذا أصابه بما يشبه الجنون .. فقد تمزقت المملكة على أيامه .. ثار عليه رعاياه التُّرك والأرْمَن وأهل السِّند .. فاضطر إلى أن يستعين بجيش من عدوّه (ماركوس) قيصر الروم ، نظير أن يتنازل له عن ولايتيْ مصر والشام .. وأطفأ هذه الثورات الثلاث فعلاً بجيش الروم .. لكن الأتراك ثاروا من جديد في كل نواحي بُخارى وسمرقند وانفصلوا عنه تماماً الآن ، فكانوا الولاية الثالثة التي تضيع بعد مصر والشام .. إنه الآن ضيّق الصدر لايشغله غير وصول بنات النعمان . ولك أن تتخيّل ثورته حينما قالوا له إن تقاليد العرب تمنع زعيم بني بكر من تسليمهن .. فهو لايفهم هذه التقاليد ولا يتصوّر وجودها ولا يرى لها أي معنى .. سيما وأن الملوك الذين يخضعون له ، يبعثون إليه ببناتهم ويعتبرون ذلك شرفاً .. وأعداء النعمان في القصر يهمسون في أذنه بأن في بيتك أكثر من عشرين فتاة . من بنات النعمان ، تنطبق عليهن صفات الجمال المحفوظة منذ أيام أنو شروان .. والرجل مهزوم ياهانئ ومختلّ العقل وهنا مكمن الخطر .

ساد بيننا الصمت لفترة طويلة قبل أن أسأله :

ــ وماالذي تُشير به أيها الفارسيّ الطيّب ؟

ــ أنا حزين ياهانئ .. لا أستطيع أن أشير عليك بقبول واحدة من الثلاث .. أعطني ردّك فما أنا إلاّ رسول .

ــ أمهلني ساعة أستشير أهل الرأي من قومي .

ــ لك ذلك ..

* * *

اجتمعت بأهل الرأي من قومي في بيت (قيس بن خالد) .. كانوا حوالي عشرين رجلاً يمثلون كل بطون بني بكر .. وبعد مناقشة لم تزد عن ربع الساعة ، اتفقنا على رفض أن « نعطي ما بأيْدينا » .. لأن المتوقّع أن يأمر كسرى بقتلنا جميعاً إذا وقفنا تحت قصره عُزلاً من السلاح ..

كما اتفقنا على رفض أن « نُعَرِّي الأرض » لأننا لانعرف غيرها وحتماً سنموت عطشاً إن فعلنا هذا في القيْظ .. ثم ناقشنا الثالثة .. « أن نأذن بحرب » .. قُلنا لو قبلناها فسوف نَفْنى عن آخرنا .. لكنّا قُمنا بمقارنة بين موتنا تحت قصر كسرى ، أو موتنا عطشاً في الصحراء .

هكذا تكلم الرجل الذي حمى بنات النعمان

أو موتنا ونحن نقاتل جيش كسرى ، فوجدنا أن الميتة الأخيرة أعزّها وأكرمها ، فقبلناها .

عُدتُ للفارسّي الطيّب وأخبرته بقرارنا .. فعانقني وقال : كنت أتوقع هذا .. ثم ركب جواده وسار به قليلاً ، لكنه عاد من جديد وهبط من فوقه وعانقني مرة أخرى في صمت .. كأنه يعتقد أن لقاءنا هو الأول والأخير ..

لكن ماحدث في قبيلتنا ، بعد ذهابه ، لايُطاق .. فما أن أعلنت على قومي نبأ الكتاب الذي جاءنا من كسرى ، حتى انتشر الذُعر في ديارنا .. كثُر اللغط وتعالى الصياح وتخاذل الناس .. كلّهم يدورون حولي – باستثناء البطن الذي أنتمي إليه – بني ذُهْل بن شَيْبَان – يطلبون مني ألاّ أحزن لأنهم سوف يرحلون .. وافقتهم .. قلت لهم لاطاقة لكم على قتال جيشين فيهما الخيل الكثيفة والأفيال المحاربة ، ولامقدرة لكم على حرب جيش مملكة الحيرة الذي تسانده قبيلة « إيَاد » .. الفلاة أمامكم فاركبوها وانجوا بأنفسكم .

وامتلأت الطرقات المؤدية إلى الصحراء بمئات الهوادج عليها النساء والأطفال يقودها الرجال .. لم أعترض طريق أحد .. وأشهد بأنني كنت أشعر بالراحة في داخلي .. قلت لنفسي يكفي أن يهلك بطن « ذُهْل بن شَيْبان » وحده وتبقى بقيّة بطون بكر .

وكما يحدث في كل زمان .. حيث يطرح كل موقف رجاله الذين يدّخرهم الزمن إلى أن يحين وقت ظهورهم .. برز في هذه اللحظة « حَنْظَلَة بن ثعْلَبَة » .. شاب لم يبلغ الثلاثين بعد .. كان شاعراً وفارِساً وفي داخله روح لها قوة ألف رجل .. جال بجواده وهو يهدر بالشعْر .. ثم استلّ سوطه وضرب به وجوه الابل التي تحمل الهوادج فردّها جميعا .. وتقدَّم مني حتى وقف قبالتي وقال :

– أنت المُقدَّم علينا ياهانئ بن مسعود .. أشرْ علينا بما تراه ، ونحن نُطيعك .

لم يكن « حَنْظَلَة » من البطن الذي أنتمي إليه .. ولم يكن في الرجال العشرين الذين استشرتهم .. لكنه بدا لي أنه « نحن » جميعاً الآن .

فقلت له :

– ماأراه لا أُلزم به أحداً .. لكنني سأقاتل القوم ولو وقفت وحدي .. وعلى كل رجل أن يفكِّر ملياً قبل أن يسوق جواده ويقف بجواري ، لأنه الموت .

قلت ذلك ، وتحركت بجوادي ، حتى وقفت وحدي على مبعدة .. فجاء ولدي الأكبر (عاصم) يحمل رايتنا ذات الألوان الأربعة – الأبيض والأسود والأحمر والأخضر – ووقف بجواده على يميني ..

ساق حَنْظَلَة بن ثعْلَبَة جواده ووقف عن يساري وخطب في الناس .. لم أعرف إن كان يخطب أو يقول الشعْر .. كانت الكلمات تَخْفُق من فمه مثل خَفْق النِّبال لحظة مفارقتها للقوْس .. كان يتكلّم والجياد تتحرك لتقف بفرسانها عن يميننا ويسارنا .. في البداية جاء « بنو همَّام » أولادي وأخوتي وأبناء عمي وأبناء أعمام أبي .. ثم جاء بطننا الأصغر .. « بنو ذُهْل » .. ثم جاء فرسان بطننا الأكبر « بنو شَيْبان » .. وما هي إلاّ لحظات حتى كان بقيَّة بطون « بكر » يتدافعون من حولنا ، فلم يبق فيهم شيخ أو شاب أو صبيّ إلاّ وكان ممسكاً بعنان جواده ، أو مرتكزاً على سيفه ، أو مشغولاً في إصلاح وتر قوسه ، أو جاثياً على ركبتيه ، يتهيأً للوثبة برمحه .

الحرب في ذاتها لاتخيفنا .. رضعناها مع لبن أمهاتنا .. عمري الآن فوق الستين ، خُضت فيها مايقرب من ثلاثين معركة .. لكن هذه المعركة القادمة ألقت على كاهلنا مالاعهد لنا به .. كيف نُقاتل الأفيال المدرَّبة على القتال ، وهي تتحرك أمام الخيل ، تنسدل عليها صفائح الفولاذ فلا تؤثر فيها السهام ولا السيوف ؟ .. ثم كيف نتَّقيها كيلا تبعثر المشاة وتدوسهم بأقدامها الثقيلة ؟ .. وماالذي نفعله امام النُّشَّاب ، تحمله فرقة كاملة ، تتقدَّم الجميع فتطلقه كالمطر قبل أن تنسحب إلى ماوراء الصفوف ؟ .. وما العمل إزاء كثرة عددهم وكثافة خيلهم ومشاتهم ؟ .. نحن لانَعْتَب على الملك إياس – الذي يقاتل حتى أولاده من أجل إرضاء كسرى – ولانَعْتَب على جيشه العربيّ الذي لاتهمه غير رواتبه ، لكن كيف ارتضت (إيَاد) لنفسها أن تنحاز إلى كسرى ؟ .. هل نَسِيَتْ قبيلة خطيب العرب « قُسّ بن ساعدة الإيادِيّ » أيامها الماضية ؟

ثم أين قبائل العرب ؟ .. لماذا تركونا وحدنا ؟ .. إن زعيمنا الأكبر « قيس بن مسعود » زعيم قبائل « ربيعة » – التي تضم أكثر من عشر قبائل ، نحن واحدة منها – لم يحرك ساكناً حينما أخبرناه .. لو أشار بأصبعه لانسحبت هذه الجيوش التي جاءت تهدِّدنا بالفناء .. لكنه تغاضى لأن كسرى أقطعه ثغر « الأُبُلَّة » الذي يقع بالقرب من الخليج ، ويستقبله في قصره كما تُستقبل الملوك ..

ما العمل الآن وقد ألقت هذه المعركة القادمة على كواهلنا ما تنوء به ؟

اتفقنا أن نبدأ نحن الهجوم .. قلنا لبعضنا لو انتظرناهم فسوف نغرق تحت نشابهم ، ثم تزحف الأفيال فتقضي على من نجا من النُّشَّاب ..

أوقفنا صفاً من الخيل في المقدّمة .. ثم نظّمنا أنفسنا على شكل كراديس .. كل كُرْدُوس يضم عشرة من الفرسان .. أما في الجناحين فقد جعلنا الخيل على شكل قوسيْن لنُوهم القوم بأننا سنحاصرهم .. وقف حَنْظَلَة في الميسرة ، وقَيْس بن خالد في الميمنة ، وكنت أنا في القلب ..

في المؤخّرة وقفت النساء على الهوادج يضربن على الدّفوف ويغنّين .. تقدم حنظلة من النساء وقطع بسيفه كل وضن – حزام – يربط الهودج بالبعير .. وقال لو أراد أحدنا الفرار بنسائه لما استطاع لأن الهودج سوف يسقط ، فأطلق عليه الناس ، منذ تلك اللحظة : « مُقَطِّع الوُضُن » ..

كانت بنات النعمان يقفن مع بناتي يضربن على الدّفوف .. كبراهن – هِنْد – لو رآها كسرى لقال هذه تنطبق عليها صفات السجلاّت .. كانت تُغنّي وتبكي في آن .. بجوارها ابنتي زينب تُغنّي هي الأخرى وتبكي معها .. بناتنا يشعرن بأنها آخر معاركنا .. على كل حال الموت ينتظر كل حيّ .. وخير لنا أن يشير الناس إلى أرضنا ويقولوا ، هاهنا كانت تعيش « بكر » التي فَنِيَتْ لأنها رفضت اللؤم .. خير من أن يقولوا هاهم بنو بكر الذين أسلموا بنات النعمان وعاشوا لئاماً ..

أعطيتُ الإشارة للصف الأول فانطلق ، وتحركت الكراديس وراءه .. كانت خطّتنا ألاّ نُعطي لضاربي النُّشّاب الفرصة ، وأن تصل الكراديس قبل أن تتحرك الأفيال ، وأن تلتف أطراف القوسين على



أجنابهم ـ بعد أنْ ضممنا إليهم المشاة وحاملي النّبل ـ لنوهمهم بالحصار..

تَمَّ لنا ما أردناه بصورة لم نكن نتوقّعها حتى أننا طمعنا في النصر منذ الجولة الأولى.. فاجأنا ضاربي النُشّاب قبل أنْ يُطلقوا نبالهم فشغلناهم في أنفسهم ، وتجنّبنا الأفيال فكنّا وراءها قبل أن تتحرك ، واشتبكنا مع الفرسان على طريقة الكّر والفرّ.. كلما هجموا على كُرْدُوس ، فرَّ من وجوههم وشدَّ عليهم كُردوسٌ آخر.. والفرار عندنا ـ معشر العرب ـ لايعني الهزيمة ، لكنه حركة من حركات الحرب.. نهجم بسرعة ، وننسحب بسرعة ، ثم نكرّ من جديد فيظن خصمنا أننا أضعاف عددنا فيرتبك أو يهرب..

ضغط طرفا كل قَوْس على مجنبتي العدو يتخطفان فرسانهما بنفس طريقة الكرّ والفَرّ. فظنوا أننا سوف نحاصرهم حقيقة ، فارتبكت ميمنتهم وتراجعت فتداخلت في القلب وضاقت الأرض بخيل القلب فلم تتمكن من المناورة.

كنت أقاتل وحولي أربعة من أولادي وحوالي عشرة من أبناء إخوتي ، وعاصم بجواري يحمل رايتنا ذات الألوان الأربعة.

تلفتُّ حولي وقدّرتُ الموقف.. نحن الآن جرّدناهم من أكبر قوتين : الأفيال ، وفرقة النُشّاب.. وهاهو حنظلة بن ثعلبة نجح في أن يجعل ميمنتهم تتداخل في قلبهم.. إذن نحن الآن لانقاتل إلاّ ميسرتهم وحدها..

صحتُ بأعلى صوتي ـ وساعدني أولادي في الصياح ـ إن الخطّة تغيّرت.. فما دمنا أصبحنا الأغلبية في الميدان الآن ، فعلينا أن نحاصر القوم حقيقة لا وَهْماً.. وعلى الميسرة ـ بقيادة حنظلة ـ أن تقوم بهذا ، وعلى نصف كراديسنا التي تواجه قلب العدو ـ المرتبك ـ أن تنضمّ إلى حنظلة..

وفرساننا ـ معشر العرب ـ تستطيع أنْ تغيّر اتجاهها في أية لحظة مهما كان القتال شديداً.. فما بالكم ونحن الآن بيدنا الزمام ؟

في دقائق معدودة كان حنظلة يقود الميسرة فضلاً عن الكراديس التي انضمت إليه ويدور وراء القوم.. وقد ندمتُ فيما بعد على تغيير خطتي.. فقد تنبَّه القوم لخطّة حنظلة وقاوموه مقاومة لم نكن نتوقّعها.. في نفس الوقت انتعش قلبُ العدو بسبب كراديسنا التي انسحبت من أمامه.. على أننا ، رغم ذلك ، كانت لنا السيطرة إلى أن فَصَل بيننا الظلام.

* * *

عُدنا إلى ضفاف ذي قار وقسَّمنا أنفسنا.. جماعات تغفو قليلاً ، وجماعات تداوي الجرحى وتدفن الموتى وتعلف الخيل ، وجماعات للحراسة..

في ظلام الليل تسلل إلينا رجل من قبيلة « إياد » وقال لنا اختاروا بين أمرين : إما أن نهرب من ليلتنا وليحدث مايحدث ، وإما أن نهرب من الميدان ، فقلنا له بل تهربوا أثناء اشتداد القتال لأن ذلك يُوهن العدوّ. قبل انصرافه قال لنا إن الميسرة التي قادها (حنظلة) قتلت بالأمس قائد كسرى « جَلابْزين » أثناء محاولتها حصار القوم ، وهم يُخفون ذلك الآن ، فاستبشرنا.

اقترح « يزيد السكّوني » أنْ يكمن بشطر من الفرسان وراء تلال « الجُب » الجنوبية ، ولايدخل بهم المعركة إلاّ في اللحظة التي تفرّ فيها قبيلة « إياد » فوافقتُه.

في منتصف الليل اتفقنا ـ أنا وحنظلة وقيس بن خالد وكل أصحاب الرأي ـ أن نفاجىء القوم بالهجوم في العَتْمة التي تسبق الفجر ، لأنهم لن يمكنونا من أنْ نبدأ الهجوم ـ لو انتظرنا للصباح ـ بعد أنْ فطنوا إلى مافعلناه بالأمس..

كانت خطّة ميمونة وأيْمُ الحق.. فقد فَزَعت الأفيالُ وهي ترى خيلنا تهبط عليها كالطيور الجارحة ، وسيوفنا تهوي على خراطيمها فعلت بهم الأفيال ـ في فِرارها ـ مالم نكن نقدر على فعله.. بعثرت صفوف القوم فأفزعت خيلهم وحطّمت خيام السلاح والطعام وأسالت قِرَب الماء في الرمال ، وهربت قبيلة « إياد » من الميدان في نفس اللحظة التي اندفع فيها « يزيد السكّوني » بفرسان الكمين ، فصرع في اندفاعته القائد الشهير « الهامرْزْ » فأعطانا القوم ظهورهم ، فطاردناهم حتى آخر حدود أرضنا الشرقية.

* * *

إنْ كُنتِ ساقِيةَ المُدامَةِ أهلَها ..
فاسْقِني على كرمِ بني هَمَّامِ .
« بكير الحارثي »

حينما أعود بذاكرتي إلى يوم ذي قار ، يخيل إلي أنه كان حُلماً.. لكن شعراء أُمَّتنا هُم الذين أقنعوني بأنه كان حقيقة واقعة.. فقد غمرونا بشعر غزير لم يقولوا مثله في ملوك المناذرة والغساسنة مجتمعين ، رغم أننا قوم فقراء لاجوائز لدينا نعطيها لأحد..

فِدًى لبني ذُهْلِ بن شَيْبانَ ناقتي
وراكبها يومَ اللقاء ، وقَلَّتِ .
« الأعشى »

في نهاية ذلك اليوم ، أقمنا أكبر عُرس شهدته ديارنا.. عقدنا لجميع من بلغوا الحلم من أولادنا وبناتنا وطالبناهم بتعويض مَنْ فقدناهم على ضفاف ذي قار.. لأن الطاغية ـ كسرى ـ لن يتركنا نعيش في هدوء.

عبدالوهاب الأسواني

لماذا نقرأ قصص الرعب؟

بقلم : الدكتور غســان حتاحت

لماذا يولع كثير من الناس ــ كباراً وصغاراً ــ بقراءة قصص الرعب ومشاهدة الأفلام المخيفة ، التي تملؤهم بالفزع وتجعل أبدانهم تقشعر من الرهبة ، وتجعل الشعر في جلدهم يقف أو يكاد ؟ .

إن اهتمام الناس بهذا النوع من القصص قديم جدا ، فلقد وجد في الكهوف القديمة لإنسان ماقبل التاريخ رسوم لمسوخ ومخلوقات مفزعة . كما وجد في النقوش الفرعونية قصص مرعبة !

على أن قصص الرعب في شكلها « الحضارى » الجديد إنما نشأت في القرن الثامن عشر . وللرسام الشهير « جويا » جملة مختصرة تعبر ببلاغة عن هذه القصص إذ يقول : إن غياب العقل يولد المسوخ والأشياء المرعبة !

يمكن أن نقسم قصص الرعب الى قسمين : القصص التي تحكي عن الأمور المرعبة الخفية ، والقصص التي تحكي عن الأمور المرعبة المرئية . ولكل منهما تقاليد وميزات وصفات . ويمكن أن نرجع بداية قصص الأمور الخفية الى الكاتب الهاوى « هوراس والبول » الذى كتب عام ١٧٦٤ رواية مرعبة أسماها قصر أوترانتو ، تحوى الكثير من الجرائم والجنون . غير أن العنف فيها كان ضئيلا جدا ، فقراء ذلك الزمان كانوا يرغبون في قضم الفاكهة المحرمة دون أن يتناولوا الديدان التي تحويها .

وجاء « إدجار ألن بو » فألف عديدا من القصص المخيفة منها : قناع الموت الأحمر ، وحقائق قضية فالديمار وسقوط بيت أشر وسواها . وبذلك جعل قصص الرعب شكلا مقبولا من أشكال الأدب ، تلاه فيه بعض الأدباء الكبار أمثال : هوثورن وجيمس وتشيكوف وجوجول وكافكا وسواهم .

وفي الوقت نفسه غدت قصص الذئاب ومصاصي الدماء تحتل المقام الأول .

وفي عام ١٨٩٧ كتب برام ستوكر (وكان يعمل مدير مسرح) كتابا أسماه دراكيولا ، غدا أكثر قصص ماوراء الطبيعة والرعب انتشارا وذيوعا . وفيه ابتدع ماشاء له الخيال من صفات لمصاصي الدماء ، ولقد أثارت هذه القصة الشهيرة الرعب والفزع والرهبة في أكثر من ثلاثة أجيال متعاقبة وماتزال حتى الآن تضع القارىء في جو رهيب من الخوف الشديد ، وهي تحكي قصة عن الكونت دراكيولا الذى كان قائد جيوش حارب الأتراك ، بوحشية وعنف وانتصر عليهم ، وبعد موته تحول الى مصاص للدماء ، يختبيء في النهار في نعش يحوى تراب موطنه ، ويقوم في الليل يبحث عن ضحاياه ليمتص دماءهم . وكلما مص دماء ضحية وماتت أصبحت مثله مصاصة للدماء . وهو ذو قوة هائلة ، وقدرة على التحول الى ذئب أو خفاش أو ماشئت من حيوان . ومن صفاته أن خياله لا ينعكس في مرآة ، وأنه رغم كل قوته يموت إذا أصابته أشعة الشمس ، أو غرس وتد خشبي في قلبه ، وللثوم في هذا المجال فائدة عظيمة ــ إضافة الى فوائده الصحية ــ فلا يمكن لمصاص الدماء ، دراكيولا أو سواه ، أن يقترب من مكان فيه ثوم .

ولقد غدت قصة دراكيولا المثل الكلاسيكي الأعلى لقصص الرعب وأنتجت عنها عشرات ، وربما مئات الأفلام..

أما قصص الرعب المرئي فتمثله رواية فرانكشتاين التي كتبتها مارى شيللي ــ زوجة الشاعر الانجليزى الشهير ــ عام ١٨١٦ ــ ١٨١٧ وكان عمرها آنذاك حوالي تسعة عشر عاما . وهي قصة مثيرة فلسفية ذكية ، تدور حول تطرف العلم وانتقام الطبيعة ، وتحكي عن طبيب استطاع أن يعيد تشكيل انسان مسخ (بكسر الميم) من قطع بشرية مختلفة ، وإذ بهذا الانسان المسخ يغدو كالوحش يخرب ويدمر بقوة غير عاقلة ، حتى يشمل أذاه صانعه نفسه . وذلك في أجواء من الرعب الشديد .

وفي عام ١٨٨٦ كتب روبرت لويس ستفنسون روايته الخالدة الحالة الغريبة لدكتور جيكل ومسترهايد دمج فيها الشخصية العلمية والمسخ معا .

ومن الغريب أن القرن العشرين الذى اخترعت فيه الصواريخ ذات الرؤوس النووية والقنابل الهيدروجينية والحواسب الألكترونية ووصل فيه الانسان الى القمر ، لم يأت بجديد في عالم الرعب بل أخذ يجتر

القديم . وحتى قصص الرعب في الفضاء التي كتبت في هذا القرن سبق أن كتب أمثالها الكاتب هـ . ج ويلز آنفا .

ومن القصص التي ظهرت في القرن العشرين وأخذت موقعا مميزا نذكر قصة طارد الأرواح الشريرة للكاتب الأميريكي ــ اللبناني الأصل ــ وليام بلاطي عن تلبس بعض الأرواح الشريرة لفتاة صغيرة وقيامها بأعمال وتلفظها بأقوال تنبو عن الذوق والأخلاق . وتخلق جواً متوتراً من الرعب والفزع الشديدين ، خاصة عندما تتعارك هذه الأرواح الشريرة مع الذين يحاولون طردها من جسم الفتاة المسكينة .

ولقد نجح الفيلم الذى اقتبس عن هذه القصة نجاحا هائلا جعل الناس ينتظرون ساعات طويلة أمام شبابيك التذاكر لشراء بطاقات الدخول ، واعتبر هذا الفيلم واحداً من الأفلام العشرة التي جلبت أعلى الايرادات في تاريخ السينما في العالم .

وجاء ستيفن كينج ليقدم مجموعة من القصص والروايات التي بيعت منها ملايين النسخ مثل رواية كوجو ، ومقبرة الحيوانات الأليفة ، ومشعلة النار وسواها وكلها اقتبست عنها أفلام ناجحة تثير الرعب والفزع .

على أن التغير الرئيسي في القرن العشرين إنما كان في التقدم التكنولوجي الذى حول القصص المرعبة الى أفلام ناجحة ، ولمع من ممثلي أفلام الرعب كثيرون نخص منهم بيلالا جوزى وكريستوفر لي وبوريس كارلوف وفنسنت برايس .

وأخص بالذكر فيلما مرعبا رأيته فأثار فيَّ فزعا لا أخال أنني أحسست بمثله لدى مشاهدة أى فيلم آخر ، عن أموات يبعثون من قبورهم بتأثير أشعة مجهولة قادمة من كوكب ما ، فيخرجون من أجداثهم وعليهم أكفانهم بوجوه جامدة وأعين باردة ، يقتلون ويؤذون الناس . وكلما قتلوا شخصا ما أصبح مثلهم . ونرى بطل الفيلم يقاومهم مقاومة هائلة ، وينجح في ذلك في جو من الرعب الشديد والفزع المثير ، وعندما يأتي الناس الطبيعيون لمحاربة هؤلاء الأموات الأحياء ، يهرع ليطلب منهم النجدة فيحسبونه واحدا من الأموات الأحياء فيقتلونه معهم .

وتعددت الأفلام وتنوعت . ابتدعوا الغوريللا كينغ كونغ وهي ليست في الواقع الا مشابهة للمسخ فرانكشتاين إلا أنها ترتدى « باروكة » تشمل جسمها كله !

وأصبحت بعض الأفلام تقدم مسخين بسعر مسخ واحد كما في أفلام فرانكشتاين يقابل الرجل الذئب . بل ومزجت أفلام الرعب بالأفلام الفكاهية ، كما في أبوت وكوستللو يقابلان فرانكشتاين وهلمجرا .





■ البعض يفضل القصص المرعبة لأنها تجعل القلب خالياً !

■ عالم نفساني شهير يؤكد أن قصص الرعب تحرِّر القلق المكبوت !

■ أكثر أفلام الرعب الحديثة اقتُبِسَت من روايةِ "فرانكشتاين" لزوجة الشاعر "شيللي" !

وتجلى التطور التكنولوجي في فيلم مرعب كان ظاهرة بحد ذاته ، وهو فيلم الفك المفترس . وهو ليس أكثر من واحد من قصص الرعب المرئي عن الحيوانات المفزعة ولكن التطور التكنولوجي أضفى عليه أجواء خاصة وجعله من أكثر الأفلام مشاهدة في التاريخ .

أما لماذا يولع الناس بمثل هذه القصص والأفلام فلذلك تفسيرات شتى .

يقول أرسطو : ان الشعور بالرعب والخوف يطهر النفس ويجعل القلب خاليا . ويعتقد فرويد أن قصص الخفاء والرعب تحرر القلق المكبوت وتريح المرء منه .

ويرى فيها آخرون نزعة مازوكية الى تعذيب النفس أو رغبة خفية في اكتشاف المجهول .

وربما كان الولع بمثل هذه القصص محاولة للهروب من الواقع والوعي الى الخيال واللاوعي ، وكأن المرء يأخذ اجازة من التعقل والوعي الى عالم بعيد حافل بالخيال والبعد عن كل مايمكن أن يسبب أذى حقيقياً أو تهديداً واقعياً . فمهما شعرنا بالرعب فان ذلك يبقى بعيدا عنا وغير مقبول منا .

وربما كان سبب الولع بهذه القصص هو إسقاط الخوف من مشاعرنا الداخلية على أمور خارجية وذلك أيسر من مواجهة الخوف من الواقع والمشاعر .

ويرى بعضهم أن الرغبة في مطالعة هذا النوع من القصص تعود الى تذكرنا مخاوف الطفولة ، فنحن الكبار تخاف من الأمور نفسها التي يخاف منها الصغار تخاف من الموت ومن الأماكن الموحشة ، ومن الأصوات الفجائية الغريبة ، ومن الأبنية القديمة المهجورة ، ومن الظلام ومن الطرق المسدودة ومن الوحوش المفزعة الخ ...

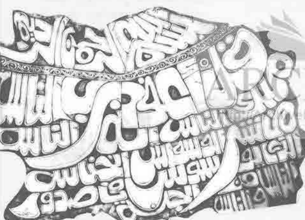
ونشعر عندما نسترجع مخاوف الطفولة ، أننا كنا أقوى منها ، وهي لم تشكل في الماضي وفي أى وقت تهديدا حقيقياً لنا ، فها نحن رغم كل شيء في سلام ولم نصب بسوء أو أذى ، فنرى أنفسنا في نعمة أي نعمة ، ونحمد الله ونستمتع بقراءة القصة أو مشاهدة الفيلم ، ونحن نعلم في قرارة أنفسنا أن هذا الرعب إنما هو خيال محض . وأن الرعب الحقيقي يكمن في العالم الحقيقي الذى نعيش فيه . وكل رعب سواه وهم هين يسير .

حوار مع فنان يرفض تقليد الآخرين :

أنا ضدّ تبعيّة الفنان العربي للثقافة الغربيّة !


« أم الشعور الذهب »


وجهك مشرق ـ معلقة

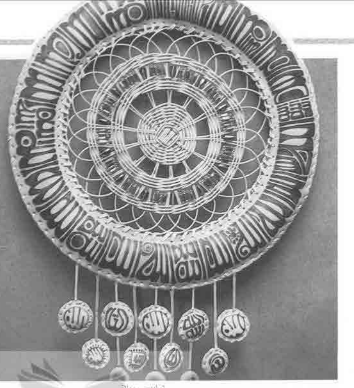

سورة الناس

سلمان المالكي


علي المليجي

لأول مرة يقام في الدوحة معرض للجلود المصورة ، شكلها الفنان العربي علي المليجي فوق سطح الجلد بالشكل الطبيعي دون تهذيب ، مع استخدام اللسع بالسن الكهربائي في كل اللوحات فيما عدا عملا فنيا واحداً استخدم فيه الفنان الألوان النباتية !

وقد أقيم هذا المعرض ضمن الموسم الثقافي والفني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وتميز بأنه جمع بين الفنون الشعبية والاسلامية . ولهذا كان لقائي مع الفنان الذي قدم أكثر من خمسين عملاً تشكيلياً ، بعيدة كل البعد عما تعودناه في أعمال كثير من الفنانين الذين غرقوا حتى قمة رؤوسهم في محاكاة اللوحات الغربية !



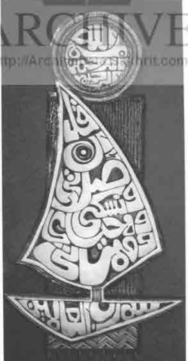
تمائم ـ معلقة

فتــاة

والواقع أن أعمال الفنان علي المليجي الأستاذ المساعد بقسم الأشغال الفنية والشعبية بكلية التربية الفنية بجامعة حلوان بجمهورية مصر، قد انقسمت الى اللوحة والمعلقة الحائطية والمحورية ومشغولة العظم التي تعامل فيها الفنان مع تقنية الحفر على العظم ـ ديليف ـ التي استخدم في بعضها ألواناً نباتية أعطت أشكالاً زجاجية، إضافة الى ٢١ لوحة شكلها الفنان فوق سطح سلخ الجلد بالشكل الطبيعي غير المنتظم الأطراف دون تهذيب، تمتعنا بمشاهدتها في المعرض مع مجموعة من الزجاجيات والخزفيات ورقائق المعادن والأسلاك، في تجانسات متناغمة لتحقيق أبعاد القيم الفنية..

وفي بداية الحوار مع الفنان علي المليجي قلت له: المشاهد لأعمالك لايشك مطلقاً في أنك تتبع مدرسة التربية الفنية؟

وابتسم وهو يقول: سؤال مثير كالسلاح ذو الحدين، الذي يثير الصراع من خلال حده الأول، ويؤكد على بناء الفنان من خلال حده الآخر، ولن أدخل في الصراع، لكن تعليقي يؤكد على أن كليات الفنون الجميلة ـ في العالم اجمع ـ لاتخرج فناناً ما بعينه. فالفنون تدخل بند القدرات الخاصة ـ المواهب ـ في الانسان، وإلا لكان عدد الفنانين المؤهلين في العالم العربي وحده يتعدى عشرات الآلاف، وهو ليس كذلك، ثم عملية وضع الرجل في المكان المناسب أمر صعب والدليل أن عدداً كبيراً من خريجي الفنون الجميلة يعملون بالتدريس في التعليم العام ـ برغبتهم..!! أما الجانب الآخر فأقول فيه نعم أنا من خريجي التربية الفنية وأنت كذلك من فناني هذه المدرسة التي تتميز بحب المثابرة والاجتهاد والدأب والتجريب في كل من الشكل الفني والموضوع، في الخامة وفي التراث، في التقنيات وفي القيمة الفنية في خطوط متوازية وهي أيضاً اتجاه يعمل على تذوق الناس للفنون التشكيلية بكافة صور البحث فيها، وكلنا يمارس الفن، من ينجح يستمر، ومن يستمر وتثبت أقدامه يحقق للأمة العربية اتجاهها القومي في هذا الخضم الهائج الهادر.



مركب قطرية ـ معلقة

الارتباط بالحضارة أولاً

قلت للفنان علي المليجي:

• من الملاحظ أنك تستخدم الخط في أعمالك، فهل أنت من الحروفيين؟

ـ ارتبط اتجاه الحروفيين بأصحاب البعد الواحد في ممارسة الفن التشكيلي العربي من أجل البحث عن هوية تشكيلية عربية. وهي علامات صحة ودليل تفتح من شباب الوطن.

حــوار مــع فنــان

يرفــض تقــليد الآخريـــن

لكني أصارحك القول ، لست من هؤلاء أو من أولئك ، فقط أنا أبحث في فنون وطن العرب — كلنا كذلك — لكي يبتعد هذا الفن عن الدوران في فلك الاستعمار الثقافي الغربي الذي ورثناه وألفناه ، ومازال الإرث فينا ، ونحن الذين نحمل في طياتنا حضارات شامخة أينعت فنوناً متميزة ، إن المسميات كثيرة ومرهقة ، وإن كان لها أهمية فبماذا تسمي انتاج الفنان المسلم ، حروفي ، زخرفي خطاط ، من أهل أومدرسة البعد الواحد أم ماذا ؟ أعتقد الأصوب أن نقول هو فنان اسلامي .

• ولكن المشاهد لأعمالك يحس بامتزاج الحس الشعبي بالاسلامي .

— ما تحسه هو الصدق ومن منا لم يحس بفنونه الاسلامية وتراثه الشعبي الذي خلفته حضارات عريقة ترعرعت في وطننا ، وقد بحثت تلك الفنون في كل أشكال التعامل مع الفن الشكلي والموضوع والخامات والتقنيات ، ومن يبحث عن هوية عربية لفنوننا التشكيلية لابد وأن يكون هذا مدخله الصحيح . المهم أن يعايش زمانه بما يفيد التطور العصري لقومية الفن العربي ، ونحن هنا نستلهم من فنون مؤصلة ولا نطورها ، فكلمة تطوير الفنون قضية خطيرة فنحن لانطور ماكينة .

• إذن ماذا عن التشكيل لديك ؟

— يحمل التشكيل لدي ثلاثة محاور أساسية في التعبير الفني ، الأول ، يبحث في الخامة فالجلد خامة لم يتطرق كثيرون في التعامل معها تعاملاً متميزاً إلا الفنان الاسلامي الذي سجل عليها القرآن الكريم ، وهي خامة غنية مثمرة في التعبير الفني ، والثاني : البحث في الاطار ، فلطالما تعاملنا في حدود الاطار المنتظم من تشكيلاتنا المعاصرة ، لكن أيضاً الفنان المسلم حاول أن يخرج في حدود هذا الاطار ، ونحن نبحث في تحديث ذلك مع مراعاة تطورات التقنية والتكنولوجية للعصر الذي نعيشه .. والمحور الثالث هو الموضوع ، فأنا أبحث في الحدوته أو القصة في المفهوم العقائدي والشعبي ، ولذلك تمتزج الأشكال بالكلمات في محاورات متناغمة ومستمرة ، ومدخلي فيها قول الله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » صدق الله العظيم وأعتقد أن ذلك يعد المفتاح الأساسي للتعبير الفني القومي . وعلى الرغم من صعوبة المحاور الثلاثة ، إلا أن كل واحد منها يسمى العمل الفني ، ولاينفصم أحدها عن الآخر ، وهي محاولات تتأكد وتتأصل بالممارسات المستمرة والبحث المثابر .

الفنان علي المليجي في سطور

• من مواليد القاهرة ١٩٤٦ م
• بكالوريوس الفنون والتربية ١٩٦٩ م
• ماجستير التربية الفنية ١٩٧٥ م
• دكتوراة الفلسفة في التربية الفنية ١٩٨٢ م
• دبلوم الـتخصص في الفنـون الاسلامـيـة ١٩٧٤ م
• دبلوم التخصص في الآداب والفنون الشعبية ١٩٧٦ م
• معارض خاصة : القاهرة ٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٣ — ٧٧ — ٨٣ — ٨٤ دسوق بمصر ٧٨ — ٨٤ . تونس ٧٨ — مدريد ٨١ .
• معارض عامة : المعرض السنوي العام بمصر ٧٣ — ٧٥ — ٧٧ — ٧٨ — ٨١ رابطة خريجي التربية الفنية بمصر منذ ٦٩ حتى الآن الفن والثورة ٦٩ بمصر — الفن والمعركة ٧٠ — ٧١ بمصر — في ذكرى جمال عبدالناصر بمصر — ١٩٧١ — جمعية محبي الفنون الجميلة ٧٣ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٨ — الفن والشرطة ٨٣ — ٨٤ — ٨٥ العراق ٧٧ — السودان ٧٨ — ٧٩ — الجزائر ٨١ — برلين ٧٤ الدوحة ٨٥ .
• الحصول على العديد من الجوائز وشهادات التقدير في مصر والخارج
• مقتنيات عامة وخاصة في مصر — تونس — مدريد — الكويت — المغرب — الأردن — نيويورك — انجلترا — قطر .

الفن هو التطور البشري

وهنا كان لابد أن ننتقل في حوارنا الى منطقة ساخنة أخرى ، قلت له :

• ألفنا التعامل في التعبير الفني مع خامة مابعينها والتعبير لديك غير ذلك .

— انت تعرف أن الفنون لم تعد التصوير والنحت حتى التصوير لم التعامل مع التوال ، الكانفاس ، والألوان بل اتسعت دوائر التعامل فيه ، إذن هو التطور البشري ، وأنا أعمل في مجال قديم متجدد هو الأشغال الفنية ، صحيح لم يألف الناس التعامل مع هذا المجال ، لكنه خرج من ممارسات الحرف والأشغال الشعبية ، والاسلامية وهو مجال به تميز قومي يؤكد على القدرات الابتكارية لدى الممارس فيه ، فالعمل الفني يقوم على أساسين ، التصميم أو التصميمات ، ثم التنفيذ ، وهو عملية تحتاج الى قدر من الطلاقة والمرونة ، في التعبير وتلعب الخامات دوراً له أهمية في التعبير ، فالأساس عندي مثلاً الجلود الطبيعية ، ثم يأتي التوليف المصاحب لتنفيذ الفكرة باضافة أعمال من خامات أخرى كالطين والمعادن والزجاجات والأخشاب وكلها تعمل في اطار واحد يؤكد على الصيغة الفنية له .

وهكذا نرى أن الفنان علي المليجي استمد جذوره من التراث الاسلامي والفن الشعبي المعاصر ، من خلال استخدامه للخامات المحلية التي أكسبها من خلال التشكيل التراثي والمعاصر قيمة جمالية متكاملة . تؤكد أصالة الفنان وروحه الوثابة المنطلقة في رحاب الفن التشكيلي العربي ، البعيد عن التقليد والمحاكاة الفنية لمشاهير الغرب !

سلمان المالكي

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد نجماً لامعاً الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام ● بلادة أم اتزان؟



مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

بقلم
محمد عبد الرحمن الجديلي

أقام المشرع الإسلامي قواعد المجتمع ، على أسس اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء . ونظر إلى الدعامة الأولى لبناء الأفراد وهي المرأة ، فجعلها قسيمة الرجل في الحياة ، أمًّا أو زوجة ، ثم أوضح لها شرعتها حكيمة مسدّدة تمهد لها كل ماهو ميسر لها ، متسق مع طبيعتها . وطبيعة المرأة : وجدان متأثر ، وعاطفة مشبوبة ، وجانب لين ، وأجزاء دقيقة ، وهيكل متأنق ، ورونق متألق ، ولطف ساحر في التأسية ، وفيض ضاف من الحنان .

مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

ولقد تنطق المرأة بكلمة تواسي بها الرجل إذا تفزع فؤاده من الهول ، فتفعل الكلمة في قلبه ، وتؤثر وتجدي مالايؤثره أو يجديه بلاغة الأساة من الرجال . ولعلك على ذكر من كلمة خديجة أم المؤمنين يوم جاءها زوجها محمد ﷺ وفؤاده يرجف من لقاء المَلك ومن تلقي الوحي ، وهو أمين الله ومختاره جلادة وقوة وصبرا واحتمالاً ، فلم يكن منفرج الروع ولاذهاب الخوف إلا ساعة قالت خديجة كلمتها ، كلمة المواساة والترفق والأمل : « كلا والله لايخزيك الله أبداً . إنك لتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدم ، وتعين على نوائب الدهر » .

* * *

أعلى الإسلام من قدر المرأة ماوسع العلاء طبيعتها ، وعظم من شأنها ماشاءت الخليقة أن تعظم ، ثم وفر لها من الحرية مايناسبها ويُهيّئ لها في ميدانها سبيل النفع والخير ، فلم يُردْها قعيدة بيت بل سيدة بيت ، ولم يجعلها مسلوبة الإرادة ، بل شاءها طليقة في مملكتها الصغيرة الكبيرة ، ورجا لها الصيانة في قدس الخِدْر .

خطب ﷺ بنت عمه أبي طالب واسمها أم هانئ وكانت قد تزوجت ونسلت ومات عنها زوجها . فما الذي ألهمها الإسلام أن تقوله في جواب هذا العرض المحمدي الشريف ؟ لقد قالت تخاطب صاحب الشريعة ﷺ : « يارسول الله ، لأنت أحب إلى من سمعي ومن بصري ، وإني امرأة مؤتمة (مات عني زوجي) وَبَنِيَّ صغار ، وحق الزوج عظيم ، فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي ، وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي » .

فقال رسول الله ﷺ : « إن خير نساء ركبن الابل نساء قريش : أحناهن على ولد في صغره ، وأرعاهن على بعل في ذات يده » .

لم تكن تلك الحرية فيمن تختاره المرأة لنفسها قاصرة على كرائم أحرارهن ، بل بسطها الإسلام حتى على من كانت أمَة وخلصت من الرق .

ملك عقبة بن أبي لهب جارية حبشية اسمها بريرة ، وزوجها عبداً من العبيد ، فكانت تضيق به وتتبرم منه . ولكنها مملوكة وأمرها ليس بيدها . فلما علمت عائشة أم المؤمنين بما تعانيه « بريرة » في هذا الزواج اشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله ﷺ : « ملكتِ نفسكِ فاختاري » فاختارت أن تنجوَ بنفسها من هذا الزواج الذي لاتطيب به . فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشي خلفها ويبكي ويسترضيها ، فلا ترضى عنه . وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً . رآه ﷺ مرة وتلك حاله فقال لأصحابه : « ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له ؟! » ثم قال لها : « اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك » فقالت : « أتأمرني يارسول الله ؟ » فقال : « لا . إنما أنا شافع » فقالت : « إذن ، فلا حاجة لي إليه ... » .

هكذا تقررت حرية المرأة في أمر نفسها ، حرية تكفل للبيت النعيم ، وتوفر لها الهناءة . وبهذا جاء الإسلام موقرا لرأيها ، محافظاً على كيانها ، مظهراً لشخصيتها . فإذا ما أجارت المسلمة لاجئاً ، أو أمنت أسيراً ، فقد أجار المسلمون – جميعاً – من أجارت ، وفكوا من أطلقت ، وحموا من استعاذ بها ...

ورد في صحيح البخاري أنه لما نزل رسول ﷺ بأعلى مكة يوم الفتح احتمى رجلان بأم هانئ بنت أبي طالب وهي مسلمة ، فدخل عليهما أخوها علي وهمَّ بقتلهما ، فأغلقت دونه الباب ، وجاءت رسول ﷺ وسلم فقال لها : « مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ، ماجاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها علي ، فقال عليه السلام : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمّنّا من أمنت » .

فقد أجاز المشرّع لعقيلة مسلمة كريمة أن تفك عانياً أسره المسلمون في غزوتهم ، وقد كانت بين الأسير وبين الكريمة أسباب وثيقة ، فما هو إلا أن عاذ بها واستجار في حماها ، فأجارته .

* * *

ولقد كانت كبرى بنات سيدنا محمد ﷺ وهي زينب قد تزوجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع ، وكان أبو العاص يخص زوجته بإكباره وتكرمته ، فلما انصرف عن الإسلام بادئ الأمر وزوجته مسلمة فرق بينهما الإسلام ، وهاجرت زينب ، وبقي هو منصرفاً عن الإسلام ، غير أن حنينه لزوجته لم يفتر ، فكان يرسل لوعته الحرّى في أبيات من الشعر الرقيق ويقول :

ذكـــرت زينب لما وركت إرمـــــا
فقلت سقـيـا لشخص يسكن الحـرما
بنت الأمـيـن جزاهـا الله صالحـة
وكل بعل سـيـنـبـي بـالـذي علمـا

ثم خرج إلى الشام في تجارة لقريش ، فعرض للقافلة زيد بن حارثة في جمع أرسله محمد عليه السلام ، فغنموا المال وأسروا

الرجال . وكان في الأسرى أبو العاص ، فاستجار بزينب ، فرجت أن تحقق إجارته وأن تحميه ، وترقبت صلاة الفجر ، وأبوها يؤم المسلمين ، فلما انتهوا وقفت بباب المسجد ونادت بأعلى صوتها : « إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع » . فقال ﷺ : « هل سمعتم ماسمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « فوا الذي نفسي بيده ماعلمت بشيء مما كان حتى سمعت ماسمعتم . المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » . فلما انصرف النبي ﷺ الى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ، ففعل ...

ولقد حسن شأن أبي العاص ، وحلت الهداية قلبه ، فعاد الى مكة وأدى الحقوق الى أهلها ، ثم رجع الى المدينة مسلماً ، فرد رسول الله إليه زوجته زينب الوفية البارة .

* * *

رأى المشرع الإسلامي أن صيانة الأعراض وحرمة السير وكرامة الأسر من حقوق المجتمع ، بل من أسباب بقائه ونموه ، ذلك بأن الخلية الأولى من خليات المجتمع هي الأسرة ، والأسرة لاقوام لها إلا بالرجل ، يندفع لحمايتها ، وينبعث لرعايتها ، ويعاني أخطار الحياة ، ويجوب العامر والخراب — كل ذلك ليوفر لأبنائه ولبيته أسباب الحياة وسعادة العيش ، ومايدفعه الى ذلك إلا حنان الأبوة ، ووشائج النسل ، وشعور ملتهب بأن الولد قطعة من أبيه ، وفلذة من كبده ، فمن أين تتم للرجل تلك الدوافع وهاتيك الوثبات إذا هو ارتاب أو حاك الشك في نفسه صحة انتساب ولده إليه ، أو خلوص زوجته له ... !

لهذا أحاط الإسلام المرأة بسياج حصين ، وأمن الرجال على أنسابهم وأعراضهم ، لصلاح مجتمعهم ، ثم توعد — في أسلوب قوي رائع — كل من يمس قداسة الطهر ، أو يتعرض — على غير علم — لصفة المرأة ، أوجرى على لسانه الهُجْرُ والفحش في سيرتها ...

يقول تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » .

فانظر كيف حدد الله للتهجم على الأعراض عقوبة جسيمة ثم أردفها بأخرى أنكى وأخزى وأبقى على الأيام . تسِمُ القاذف بميسم الخزي وتتهمه — أبد الأيام — بفقدان الثقة وخبث الذمة ومرض الضمير . ثم يختم سبحانه الآية بتسجيل فسق القاذف وخروجه عن طاعة الله ونبذه من المجتمع الأخلاقي ...

ثم شاء — جل وعلا — ألا يدع هؤلاء الواغلين في الأعراض حتى يجعل الخزي والعار ناطقاً بشناعتهم مشهراً بسوآتهم فقال : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » .

ولقد ثقف الإسلام المرأة ثقافة يتطلبها شأنها ، ثقافة دينية خلقية ، فكان عليه الصلاة والسلام يجعل للمسلمات يوماً كل أسبوع يعلمهن ويثقفهن ، وكان كريم الصبر في إرشادهن ، فسيح اللبان في هدايتهن .

أخذ عليهن — عندما كن يبايعنه مرة — ألا ينحن على الموتى . فقالت عجوز ممن حضرن : يارسول الله ، إن أناساً أسعدوني على مصيبة أصابتني ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أسعدهم . فقال لها عليه السلام : « انطلقي فأسعديهم » ثم عادت فبايعته .

تلك بعض نظرات المشرع الإسلامي الى المرأة ، فأين نحن ؟ وكيف صرنا ؟

لقد يروي لنا المؤرخون أن دولة الرومان يوم تألق نجمها ، وعظم سلطانها ، واستبحر عمرانها ، كان الشطر الثاني للمجتمع وهو النساء ، لايعرفن غير البيت والأسرة ، يقمن للبيت بواجبه ، ويؤدين للأسرة حقها ، وهن من وراء حجبهن . بل لقد غلون في الحجاب يومذاك غلواً كبيراً ، فلن تخرج واحدتهن إلا وهي ملثمة ، وعليها الأردية السابغة ، ومن فوقها العباءات التي لاتبين تقاسيم الجسم — في ذلك الحين برع الرومان في كل شيء ، في الملك والصناعة والتشريع ، ودانت لسلطانهم الشعوب . فلما بلغت الدولة مداها ولع الناس بالترف ، وغمرهم النعيم ، وأفسد أجسامهم البذخ ، فغدوا يبتكرون الملذات من غير تحرج ولاتأثم ، حتى فترت غيرتهم ، وامحت نخوتهم ، فتضعضعت قوة الملك ، ووهي صرح المجتمع ، ولم تلبث دولة الرومان العظيمة أن تساقط ملكها ، وانتزع الفساد شوكتها ، وراحت صريعة الشر الاجتماعي الذي نزل بالمرأة من عليائها الى الحضيض ، وهوى بالدولة معها الى الفناء .

* * *

ولقد نسمع المفكرين وذوي المذاهب الاصلاحية الاجتماعية يتصايحون اليوم : أن ارجعوا بالمرأة الى ماخلقت له ، وجنبوها مزالق الاجتماع ، واجعلوا تحت نظرها كتب التهذيب الديني ، والتدبير البيتي ، لتروي أبناءها من منابع الدين وأصول الفضائل ، وتحكم بتدبيرها نظام الأسرة الذي أوشك يتداعى . فهل من سميع ؟ وهل من مجيب ؟ لنا في تراثنا مرجع لصد العابثين ، وإيقاظ السامدين . إن في تربية الإسلام للمرأة ما يوفر لها حريتها ومجدها وكرامتها .

١٩٣٩





بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

يجيء يوم في حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعني بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج . فَمَطَّةُ بوزٍ هي كل مايبديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لاتكاد تُلمح هي مايقابل به الحوادث الجسام ، والبرود أو الجمود هو مايتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل مايبدو من سروره .

زارني مرة صديق لايزال على ارتفاع سنه فتيّ الروح يغلي في عروقه دم الشباب ، ودفع إليّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه الى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟ » فرفعت رأسي إليه ــ فإن قامته مديدة ، وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لايعلمون ، قميء صغير ــ وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه ... » .

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمني بعضهم مرة في صحيفة كبيرة فقال عني (من فراش العار) وأضاف إليّ زملائي جميعا فقال عنا إننا (أبناء الزواني) فهل قال هذا ــ وأشرت الى الصحيفة التي ألقاها على مكتبي ــ شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألني : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « ياسيدي لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلي ، فلماذا أجشم نفسي عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ » .

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هي بلادة ، ثم إني لاأدير للضارب خدي الآخر ، وكل مافي الأمر أني لاأحس ما ظنه الضارب لطمة لي على خدي ... »

فصاح بي : « كيف لاتحس ؟ أيقول عنك

إنك من فراش العار، وإنك ابن زانية وتجيء وتزعم أنك لاتحس ولاتبالي ؟».

قلت : «حلمك مرة أخرى . إني أعرف أني لست من فراش العار، وأني لست ابن زانية، فما يشتمني به لايغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضا . وهذا غير صحيح . ولو أن الذي شتمني التزم القصد، وآثر الاعتدال فيما يرميني به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه . فكلامه فيَّ ينال منه ولا ينال مني . وقد أخجله ضني بنفسي على هذه الأوحال فاعتذر، فهل تدري ماذا قلت له ؟».

قال : «لاأريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندي ... المهاتما غاندي ؟» قالها بلهجة المتهكم الزاري .

قلت : «ولا هذا أيضاً . إن غاندي حي — مثلك — ولكن أساليبكما مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله في نفسي أني أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود في العبث الذي لاطائل تحته .

أصبحت بخيلاً مقتراً، أنفق حياتي بحساب دقيق، وأدخر كل ما يسعني ادخاره من القوة . ومازلت مسرفاً في إنفاق حياتي ولكن فيما أحب أنا، وبإرادتي، لابالشعور الدافع . وإنه ليحلو لي أن أسمي هذا بلادة، ولكنه قد يكون اتزاناً، وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولاتخف ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إربا إرباً، فما نفدت قوتي، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشري، ومازلت ذلك الوحش القديم الذي يلذه أن يمزق لحم الفريسة، وأن يلغ في دمها . وإذا رأيتني أسطو على أحد، وأكر عليه وأصميه، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة، فاعلم أني أفعل ذلك بإرادتي، لأن شعوري غلبني . فما يغلبني شعوري في هذه الأيام .. وعلمي بما أقدر عليه هو الذي يصدني عن هذه المهاترات الفارغة .».

فقال : «لقد تغيرت جداً».

قلت : «إنك تذكرني بقول القائل :

وقــد زعمت أنــي تغيّــرت بعدهـا
ومــن ذا الــذي يــا عزُّ لا يــتغيــر

نعم من ذا الذي لايتغير ؟ حتى الحجر !

ومع ذلك من يدري ؟

لقد كنت في صدر حياتي مدرساً، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثوني . فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفي بذلك . وأستغني عن الاحتياج إلى عقابهم . وكنت أزعم أن هذه حكمة . والواقع أني ما عاقبت تلميذاً قطّ، في عشر سنين زاولت فيها التعليم . وكان الذي بيني وبين تلاميذي عامرا كل هذا الزمن، ولكني كنت أدير عيني في نفسي وأفحصها، وأغوص في أعماقها، أتبين أني أكره العقاب الخفيف، وأنه لا يرضيني إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر، لأني بطبعي عنيف . ولما كان لامحل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبني أو مازحني، وهو لايريد شراً، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبي، فقد كنت أكبح نفسي وأردها عن الأذى، وأعمل بقول الشاعر :

تــوقــي الــداء خيــر مــن تصد
لأيســره وإن قــرب الــطـبـيـب

نعم تغيرت، بمعنى أن بعض الطباع التي كانت تظهر وتخفى فيما مضى، صارت أبرز وأقوى، فهي الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ.

هذه خلاصة ماحدثت به صديقي، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً، نسيته، فقد طال بيننا الحوار، وتركني وهو غير مقتنع بصوابي، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرني ألا يقتنع ؟ ولماذا أكلف نفسي تعب إقناعه ؟ أنا الذي جربت مراراً كيف يخيب الأمل، ويذهب المسعى سدى ؟

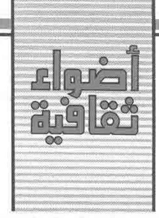
وأويت إلى مكتبي في الليل، بعد أن نام البيت، وأعفيت من ضجة الأطفال، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنيّ مثلي، يأكلون على ضوضاء الراديو، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو، ولايبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به، أو يبالونه، ومن شابه أباه فما ظلم، وإني لأرجو أن يظلوا مثلي، وألا يكترثوا لن عسى أن يسبهم ويزعمهم «من فراش العار» — في حوار أدبي أو جدل سياسي — ماحلينا .

سألت نفسي لما خلوت بها : «أهذا الذي صرت إليه اتزان أم بلادة؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء، أم فتور حتى عن محاولة الإدراك ؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد، أم هي خمدت وأنت تحسبها لاتحتاج إلى أكثر من التقليب ؟ وهل يشي هذا بالقوة، أو يشي بالضعف ؟ ومن اليأس هذا، أم من العلم والفهم الصحيح ؟ وحال تدوم، أم عارض يزول ؟

وطال تفكيري في جواب هذه المسائل، ولم أنته إلى شيء تسكن إليه النفس، فنهضت وأنا أقول : «ولماذا أعني نفسي بهذه المتعبات ؟ وماذا أبالي على كل حال سواء أكان الأمر هكذا أم كذلك ؟».

وأعجبتني «لاأبالي» هذه، فقد صارت عندي مخرجاً من كل ورطة، وباباً لتفريج كل أزمة في نفسي . ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — «لاأبالي» فقد أوتي الراحة، ولاأقول السعادة فإنها خرافة .

١٩٣٩



يقدمها : طلعت الشايب

كاتب ألماني اسمه "علي"



المؤلف في الحقيقة

المؤلف متنكرا في ملابس ومظهر عامل تركي مهاجر

« منذ عشرين عاماً وبدعوة من حكومة « بون » تدفق آلاف العمال الأتراك إلى ألمانيا الغربية ، ورغم أن الصفوف الطويلة تضم مهاجرين من اليونان ويوغوسلافيا وغيرهما من الدول ، إلا أن الأتراك هم الغالبية حيث يصل عددهم الآن إلى مايقرب من مليون ونصف عامل مهاجر يقومون بأصعب الأعمال وأقلها شأناً .

وفي عام ١٩٨٣ خطرت على بال أحد الصحفيين الألمان . « جونتر وولراف — ٤٣ سنة » . فكرة أن يتنكر في ثياب ومظهر عامل تركي مهاجر ويذهب ليعيش باسم « علي » لمدة عامين كاملين في عالم العمال المهاجرين .. أو في القاع كما يقول .. ثم يعود لينشر التجربة المثيرة في كتاب وهو واحد من أكثر الكتب مبيعاً في ألمانيا الآن بعنوان « في الحضيض »

ومنذ فترة قصيرة ظهر على أحد المسارح ذلك الرجل المتوسط البنية برأسه الأصلع إلا قليلاً وبنظارته ذات الإطار المعدني الذي يبدو فيها أستاذ جامعة وليس عاملاً مهاجراً ، وذلك بعد أن خلع عنه خصلات الشعر المستعار وحلق الشارب التركي ونزع عن عينيه العدسات اللاصقة وودع اللكنة الألمانية المصطنعة ليواصل على مدى ثلاث ساعات تقريباً حديثه إلى جمهور كبير من الأتراك ، والألمان عن رحلته في « عالم علي » . تارة يقرأ لهم فقرات من كتابه وتارة أخرى يتبادل معهم النكات والقفشات عن سياسة حكومة ألمانيا تجاه المهاجرين .

وعندما جاء دور الأسئلة والأجوبة قام واحد من العمال الأتراك إلى خشبة المسرح وبلهجة ألمانية ركيكة ليشكر المؤلف على كتابه وليصفق الجمهور طويلا .

ومنذ ظهور الكتاب تتكرر لقاءات متشابهة ، وكثيراً مايكون الليل قد انتصف عندما يجيب « وولراف » على آخر سؤال ويوقع على آخر أوتوجراف .

الكتاب الآن هو حديث تجمعات العمال المهاجرين . يقول أحد الطلاب الأتراك الذين يدرسون في جامعة فرانكفورت « عندما يزور الألمان بلادنا يقولون إنها جميلة ، ولكنني عندما أتحدث هنا ينظرون إليّ بازدراء شديد وكأنني إنسان متخلف » .

ويتساءل طالب آخر « ماذا يخبيء المستقبل للعمال الأجانب في ألمانيا ؟ ولماذا كل هذا الحقد وكل هذه الكراهية ؟ » .

أما الكاتب الذي لم يكن يتوقع لكتابه كل هذا النجاح فيقول :

« لا أعرف على وجه التحديد العوامل التي ساعدت على نجاح الكتاب » وإن كان أحدها بالتأكيد هو تعاطفه الشديد مع « علي » الذي يقول عنه : إنك « من السهل أن تقابله سائراً في أي شارع من شوارع ألمانيا » .

« لقد اكتشف الكاتب عندما اختمرت الفكرة في رأسه — منذ مايزيد عن عشر سنوات — أنه ليس من السهل اكتساب هوية جديدة أو ادعاؤها فقد كانت العملية تتطلب إعداداً نفسياً وبدنياً طويلاً . بعد شهور من التحضير والإعداد قام — متنكراً — بزيارة عدة أماكن عامة فلم يتعرف عليه أحد ، وفي مارس ١٩٨٣ كان جاهزاً للإقلاع إلى العالم الآخر فأخبر معارفه وأصدقاءه بأنه مسافر في رحلة طويلة ، ونشر إعلاناً في إحدى الصحف يقول :

« أجنبي قوي البنية يطلب عملاً من أي نوع . لايهم أن يكون قاسياً أو قذراً .. ولايهم الأجر » وبدأت الرحلة !

وبالرغم من أن نسبة البطالة في ألمانيا تبلغ ٨.٦٪ إلا أنه لم يجد صعوبة في الحصول على عمل ولكنه في معظم الأحيان كان يستأجر بطريقة غير قانونية .

أحد الأعمال الأولى كان تنظيف اصطبل خيول في كولونيا لقاء دولار ونصف في الساعة . بعد ذلك التحق بعمل في مزرعة وبدون أجر ، فقط مقابل الإقامة والطعام ومصروف جيب ضئيل ، وكانت لديه الحرية كاملة (!) في أن يختار مكان إقامته الذي قد يكون سيارة مهجورة أو حظيرة حيوانات أو ركناً مظلماً في مبنى تحت الإنشاء .

وفي جميع الحالات كان يلاحظ أنه كلما كانت أحواله مزرية أمام أصحاب العمل ، كان ذلك من الأفضل بالنسبة له .

ذات يوم قالت له سيدة استأجرته :

« نحن لايهمنا ماذا تفعل ، حتى إذا قتلت أحداً ... لانريد أن نعرف ذلك ، عليك أن تؤدي العمل الذي يطلب منك فقط »

ومن الأعمال الأخرى التي شغلها مؤقتاً كانت وظيفة عامل نظافة في المطاعم والمصانع التي كان يتم إلحاقه بها عن طريق بعض المقاولين الذين يقومون بتوريد العمال لتشغيلهم

بطرق غير قانونية . وطبقا لروايته كانت هناك عصابات تقوم بهذه الأعمال وتحصل على ٢٠ دولارا في الساعة عن كل عامل تقدمه للمصانع الكبرى بينما تعطى العامل ٢٢ دولارا عن وردية عمل تستمر عشر ساعات ناهيك عن سوء المعاملة .

في بعض الأعمال مثلاً كان عليه أن يستخدم — مثله مثل العمال الأتراك الآخرين — دورات مياه غير تلك المخصصة للعمال الألمان .

ومن القصص المثيرة التي يوردها في كتابه من واقع ذات التجربة أنه أثناء عمله في أحد مطاعم « مكدونالد » في هامبورج كان الشبان الألمان يلقون ببقايا الطعام أمامه على الأرض « كلما كان على وشك الانتهاء من الكنس » .

وفي أثناء مباراة للكرة في برلين ألقى عليه المشاهدون بعلب البيرة الفارغة وبقايا السجائر المشتعلة .

والكتاب في رأي مؤلفه يثير أكثر من مجرد الشعور بالذنب لأن الناس يعرفون « أن هذه الممارسات موجودة ومستمرة ولكنهم لايفعلون شيئاً » .

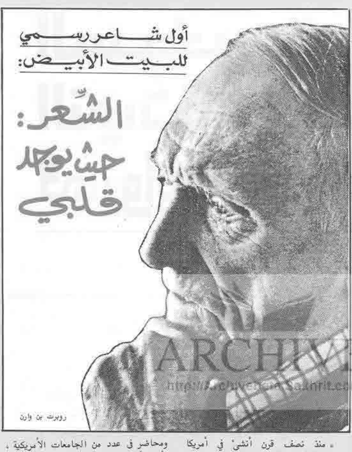
ولم تقتصر الضجة التي أثارها الكتاب على دوائر العمال المهاجرين بل انتقلت الى المجتمع الألماني ذاته . فكثير من الشركات التي جاء ذكرها في الكتاب بأنها تستغل العمال تخضع الآن للتحقيق من قبل السلطات الألمانية بسبب خرقها لقوانين العمل كما أن أحد المقاولين الذين أشار اليهم الكاتب قام برفع قضية ضده أمام إحدى محاكم كولونيا متهماً إياه بالتشهير به .

الصحفيون أيضاً — وبدوافع مختلفة — أثار بعضهم تساؤلات عن مدى شرعية الأساليب التي لجأ إليها الكاتب لجمع معلوماته كما اتهموه بتزييف بعض الصور والمبالغة في رواية بعض القصص .

أما العمال الأتراك — موضوع الكتاب والمغامرة — فرغم إشادتهم بالكتاب وبصاحبه إلا أنهم يرون أن « بعض كلمات على بضع صفحات لاتكفي لإثارة قضية بذلك الحجم » .

« وولراف » سعيد بكتابه الذي حقق الهدف منه كما يقول وهو « فضح أساليب معاملة العمال الأتراك » ثم يضيف دون أي اكتراث أو مبالاة بالانتقادات التي وجهت إليه .

« أحياناً تجد نفسك مضطراً للتنكر لكي تعري المجتمع ومضطراً الى الخداع والنفاق لبعض الوقت من أجل أن تكشف الحقيقة . »



روبرت بن وارن

« منذ نصف قرن أنشئ في أمريكا — « ضمن هيئة مكتبة الكونجرس » — منصب « مستشار الشعر » لتكون من واجبات من يشغله إلقاء المحاضرات والأشعار وتقديم المشورة بشأن البرنامج الأدبي للمكتبة وترشيح الأعمال لشعرية الجيدة التي تضاف الى أرشيفها .

وفي العام الماضي فقط وبعد عدة سنوات من المناقشة صدر قانون بإنشاء منصب الشاعر الرسمي الأشبه بشاعر البلاط Poet Laureate الذي عرفته بريطانيا منذ القرن السابع عشر .

وفي ٢٦ فبراير الماضي أعلن في أمريكا عن تعيين « روبرت بن وارن Robert Penn Warren » (٨٠ عاماً) . للمنصب الجديد وليبدأ عمله فيه من سبتمبر القادم .

روبرت وارن شاعر وروائي وكاتب مقال ومحاضر في عدد من الجامعات الأمريكية ، وأشهر أعماله رواية بعنوان « كل رجال الملك » ظهرت منذ ٤٠ عاماً وحصل من أجلها على جائزة بوليتزر التي حصل عليها مرتين أيضاً في الشعر .

والشاعر الرسمي لأمريكا سبق أن شغل منصب « مستشار الشعر » في مكتبة الكونجرس مرتين في عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ وهو صاحب العبارة الشهيرة « الشعر هو حيث يوجد قلبي » . كان قد كرس حياته تماماً لفنه خلال العقد الأخير ، ولكنه غير راض عن انتاجه ، (٧ قصائد) خلال العام الماضي ، ولن ينشره .

ويبدو أن المنصب الجديد الذي تم تعيينه فيه بقرار لن يفرض عليه كتابة مالا يريده . فقد صرح بعد أن علم بالخبر بأنه « لايمكنه أن يكتب مرثية لقطة شخص ما » عندما يطلب منه .

السخرية التي تُقاوِم في روايات الأرض المحتلة

بقلم: وليد أبوبكر

ماأقوى ذاكرتهم!

كان هذا هو التعجب الساخر الذي وضعه سميح القاسم في روايته (إلى الجحيم أيها الليلك) كردّ على مزاعم الصهيونية التي تقول إن اليهود يعودون من منفاهم بعد ألفي عام. ثم أضاف إلى هذا التعجب سؤاله الساخر: غير معقول! قلتم إنكم لم تفقدوا الحنين إلى هذه البلاد، رغم غربة ألفي عام، فكيف تتوقعون أن يفقد شعبنا الحنين إلى هذه البلاد، بعد غربة ربع قرن فقط؟

مثل هذا السؤال – الاستنكاري – يكشف لا معقولية الصهيونية، في مقولاتها من ناحية، وفي ممارساتها الارهابية من ناحية أخرى، ولذلك يصبح من الصعب أن يتعامل معها الفن الروائي بشكل من المنطق الذي تحاربه. وهو لذلك غالباً مايتجه إلى الردود الساخرة، التي تطبع معظم الكتابة النثرية في الأرض العربية المحتلة، وفي مقدمتها الرواية. ولذلك لاتكاد أية رواية أن تخلو من هذه السخرية، التي تتفاوت في حجمها، ومرارتها، والقدرة على توظيفها، بين رواية وأخرى.

وتتشعب المواضيع التي تتعرض للسخرية الروائية في اتجاهات عدة، ولكنها في محصلتها تركز على كشف الاحتلال، واعتباره حدثاً طارئاً لايمكنه أن يستمرّ، لأنه لايملك مايؤهله للاستمرار سوى قوة واحدة، هي قوته العسكرية، التي تعتمد على قوى خارجية من ناحية، وتستفيد من الضعف العربي من ناحية أخرى، وهذان عاملان قابلان للتحول، مع مرور الزمن.

وتنصب سخرية الرواية في اتجاهين: الأول هو الواقع، الذي يحاول الاحتلال أن يخلق فيه نسقاً منسجماً، من خلال مجموعة من التناقضات الحادة التي توجد فيه. وتشير سحر خليفة في روايتها (الصبّار) بسخرية إلى أن هذا المجتمع قد تشكل من جنسيات مختلفة، وثقافات مختلفة، ولغات مختلفة، وألوان مختلفة، ومع هذا يريد أن يشكل مجتمعاً ينتسب إلى الشرق الأوسط. كما أن المتشائل، في رواية إميل حبيبي (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل) يكتشف أن هذه «الدولة» ليست بنت معيشة، لأن أصحابها لايعرفون لغتهم، وهم يتكلمون كل لغات العالم على حدّ تعبير سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في

■ التهكم على خدعة الديمقراطية وكشف التعصب والإرهاب وعمليات القتل الجماعي للعرب !

■ استخدام ألوان الفكاهة للسخرية على الصهاينة وكل المتعاونين مع الاحتلال

■ نكت لاذعة تعبّر عن رأي اليهود في مجتمعهم المليء بالمتناقضات

الألبوم) .

وحين تحاول الدعاية أن تجعل من هذا المجتمع « مجتمعاً عبرياً نقياً » ، فإن الرواية تصور الواقع حين تجعل اليهودي يرى العرب في كل مكان ، لدرجة أن أطفالهم يملأون السهل والجبل ، كما ذكر إميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة) . كما أنها تكشف زيف الدعاية حول الديمقراطية ، فتتهكم على حقوق الأقليات المتساوية مع اليهود ، ليشير سلمان ناطور في روايته (أنت القاتل ياشيخ) إلا أن ذلك مجرد خدعة ، بينما توحي إشارات أخرى إلى العنصرية الصهيونية التي لا تكتفي باحتقار العرب ، وإنما تطال اليهود الشرقيين (السفارديم) أيضاً ، فالشارع في (أخطية) نائم ، بسبب جوّ الشرق الذي ينيم العرب العاملين فيه ، وأمثالهم من اليهود الشرقيين .

وهذا الواقع المتناقض يلجئ الكيان الصهيوني إلى المزيد من التعصب والإرهاب والحروب ضد العرب ، وهو أمر تكشف الروايات أنه مقصود لاشغال الناس عن واقعهم بخطر متوهم ، صوره إميل حبيبي في (اخطية) كسيف من السماء مسلول ، لايستطيع أن يصل إليه التحقيق المتكامل الذي يبدأ من الشك في أن كل عابر سبيل هو عربي ، وإن كل عربي متهم بأن يكون « مخرباً » بما في نيته ، ولذلك فإن كل من يتعرض للتحقيق ، يعلن العدو عن اعترافه ، في محاولة لرفع المعنويات التي تصل حدود الانهيار أمام كل « حادث أمني » .. ثم تطوي القضية كلها ، بعد إشغال الناس بها زمناً ، لتبدأ قضية أخرى ، تطارد حنين الناس إلى هذه البلاد في هذه البلاد .

ولأن واقعاً مثل هذا لايمكن أن يطاق ، فإن الاتجاه الثاني الذي يتعرض لسخرية الروايات ، هو الاتجاه الذي يحاول أن يقبل هذا الواقع ، بالتكيف : أو بمساعدته على البقاء ، بالضعف امامه او بالتعاون معه . وقد نالت شخصية (المتشائل) قدراً كبيراً من السخرية لهذا السبب ، فوصفه إميل حبيبي ، على لسان والده ، بأنه تيس ، منذ البداية ، أما نهايته فلا يمكن أن تكون ، إلا فوق خازوق ، وهو الحال الذي يصل إليه من يغمض عينيه عن الواقع ، ويحاول أن يقبله . وقد قدمت الروايات تحت الاحتلال مجموعة من الشخصيات السلبية المشابهة لشخصية « المتشائل » ، فهناك شخصية سهيل عزالدين في (أنت القاتل ياشيخ) ، وهي شخصية صدقت الدعاية الصهيونية ، التي تقول ان الدرزي مواطن ، ولذلك حاربت مع العدو ، دفاعاً عن « الوطن » . ولكن نهاية الشخصية كانت فوق خازوق معنوي ، ففي أول معركة خاضها سهيل عزالدين ضد (العدو السوري) في حرب اكتوبر ، قتل أخا للحبيبة التي تعب كثيراً حتى حصل على موافقة أبيها ، وهو أخ تركه والده عندما انضم إلى حرس الحدود ، عام النكبة ، ولم يعد قادراً على العودة إليه . كما أن « محامي الأمة » في (اخطية) شخصية سلبية أخرى ، يسخر منها إميل حبيبي ، خاصة حين يكشف أن هذا المحامي يتظاهر بالوطنية ، لكنه في السرّ يتعاون مع العدوّ ، مثل زميله المحامي « عصام الباذنجاني » في (المتشائل) .

إن السخرية إذن تأخذ طريقها إلى تناقض الواقع ، وإلى الشخصيات السلبية المختلفة ، داخل الأرض المحتلة وخارجها ، وقد لجأت السخرية إلى كل الأساليب المعروفة ــ كتابياً ــ في هذا المجال ، وكان هدفها النهائي هو توصيل مقولات الروايات النهائية ، التي تتلخص في رفض الاحتلال وفي الدعوة إلى مقاومته بكل الوسائل . فاستخدمت الروايات ألوان الفكاهة التي تتولد من اللغة ، وهو الأمر

السخرية التي تُقاوم في روايات الأرض المحتلة


سميح القاسم

الذي برع فيه إميل حبيبي أكثر من غيره ، مما يشير إلى ثروته اللغوية ، والتراثية ، وقدرته على توظيفها . وإذا كانت (المتشائل) قد لفتت الأنظار بهذه القدرة ، فقد جاءت (أخطية) لتعزز هذا الاتجاه ، ولتضيف إليه تجربة تربط الفكاهة اللغوية بالبناء الفني للرواية ، لدرجة أن المفارقات اللغوية تظل جديدة ومدهشة مهما أعيدت قراءة الرواية ، لأنها قادرة على أن تفاجئ القارئ باستمرار ، فلا يستطيع تعودها ، أو توقع ماهو قادم منه . هذا بالاضافة إلى ماتقدمه من دلالات تخدم مقولة الرواية الأساسية ، وهي الاصرار على البقاء ، قناعة به ، عن طريق الوعي الذي تنشره شخصية (أخطية) ومن حولها .

وبالرغم من أن شخصية (اخطية) هي شخصية ايجابية ، وتكاد أن تكون النقيض المتكامل لشخصية المتشائل ، إلا أن الأسلوب الذي كتبت به الرواية ، على شكل تحقيق صحفي ، وحواشيه ، كانت قادرة على أن تتيح للراوي ــ وهو المؤلف ــ قدراً كبيراً من التحرك داخل الواقع ، للسخرية منه ، وحول الشخصيات السلبية للغرض ذاته . فالرواية تتحدث عن « جلطة » مواصلات ، شلت الحركة في حيفا ، وبالتالي في الكيان الصهيوني كله ، مما يكشف أنه يقوم على الرعب ، حتى وإن كان مايحركه مجرد وهم . وحين يجند الكيان الصهيوني كل جهوده للبحث عن عربي فلسطيني ملثم ، ومسلح ، نزل من السماء ، كسيف مسلول ، فشل الكيان الصهيوني كله ، يقوم الراوي بمتابعة تحقيق الشرطة ، بسخرية مرة منه ، كما يضيف إلى عمله ، تحقيقاً يقوم به صحفي شاب ، بواقعية تامة ، وتتولد السخرية أساساً من المقارنة بين التحقيقين اضافة إلى لعبة اللغة التي يتقنها الكاتب .

إن التحقيق المتكامل الذي تجريه السلطة ، يلوّح بكل الأخطار التي يحاول الكيان الصهيوني في أن يبقيها حية ، ليشغل الناس عن واقعهم ، بينما تحقيق الصحفي الشاب يكشف عن حنين قاد أحد الذين هاجروا من حيفا ، ليعود إلى حيفا زائراً ، وينتهي مرحلاً ، لأن العودة الحقيقية لاتكون عن طريق الزيارة ، وإنما عن طريق النضال الذي كرسته كل الروايات تحت الاحتلال ، كطريق وحيد للعودة .

وخلال التحقيق ، يوزع إميل حبيبي سخريته على كل الأطراف المحتلة ، والمتعاونة ، والجبانة التي لاتختار طريق النضال . فالعجوز اليهودية التي أكدت أنها شاهدت العربي الملثم بأم العين ، قالت إنه كان يرتدي ماكان يرتديه جيرانها العرب ، في طبريا ، أيام كان لها جيران عرب . أما اليهودي المتدين فقد كان استغرابه كبيراً ، لأنه لم يسبق له أن شاهد عربياً ــ فهو لايخدم في الجيش ــ ولذلك تساءل : وهل تخلع بناتهم ما تخلعه بناتنا ؟

أما لجنة التحقيق فقد قدمها إميل حبيبي بما تستحقه من سخرية ، خاصة وهي تحاول ــ عبر اعضائها ــ أن تتظاهر بالفهم ، وهي تعتمد على الكثير من الغيبيات في تفسير الوقائع ، كما تعتمد على قصاص أثر عجوز ، محال على المعاش ، لتستشيره . وحين تحدث عن الشخصيات المتعاونة ، استعاد ماسبق أن وصف به المتشائل ، لكن بشكل أكثر ذكاء . فمحامي الأمة ، الذي يركب الجاغوار الغامقة اللون ، ويسير على خطى والده المرحوم في التعاون ، يتلقى لطمة العدو وهو يبتسم ، ثم يرسل محاميه لمقاضاة الذين دافعوا عنه ، حين يسمع أن هناك من يدافع عنه ، خارج الأرض المحتلة . يعلن براءته من الانسانية جمعاء ، ويخرج عن المحكمة وهو يرفع إشارة النصر ، هو ، ومن حاكموه ، لأن نتيجة موقفه كانت لصالح « الديمقراطية الاسرائيلية » المزعومة .

وإذا كان إميل حبيبي قد اعتمد كثيراً على المفارقات اللفظية ، فاستخدم الصرف ، والجناس ، والسجع ، والنحت ، والايقاع والتكرار بشكل مكثف ، فإنه ، هو وغيره من كتاب الرواية ، لم يكتفوا بالسخرية اللفظية ، وإنما استخدموا أساليب أخرى منها ما يعتمد على الموقف ، الذي غالباً ما يتحول إلى كوميديا سوداء ، خاصة إذا تحوّل إلى المقارنة بموقف آخر ، كما يحدث عندما تكتشف (روتي) اليهودية أن جنود والدها الجنرال المتعصب ، قد قتلوا شقيق حبيبها ، الشاب المتفتح ، الذي سدّت في وجهه سبل التعليم ، فحاول أن يفتحها بالتسلل إلى سوريا ، حيث قتل ، واتهم بأنه مخرّب ، في رواية (الصورة الأخيرة في الألبوم) لسميح القاسم ، وهو



إميل حبيبي

الموقف الذي حدا بروتي أن ترفض الحياة ، في مثل هذا الكيان العنصري ، وأن تختار الموت البطيء ، لعلّ صورتها تكون آخر صورة في ألبوم والدها الرهيب . كما أن معظم المواقف التي وقفها سهيل عزالدين في (أنت القاتل ياشيخ) لسلمان ناطور ، تؤدي نفس الغرض ، لأن الشاب ظل مخدوعاً بالمساواة . وحصل على التعليم ، وحقق حلمه في خطبة من يحبّ ، ولم يستطع ما يراه أو يسمعه حوله ــ خاصة في الجامعة ــ أن يهزّ قناعته ، لأنه كان يحاول ألا يرى وألا يسمع ، حتى جاء وقت التجربة ، وطالب أن يعامل مثل موشي وكوهين في اختيار مكان خدمته في الجيش ، ولكنّه وجد أن كل الطرق مسدودة في وجهه ، إلا طريق فرقة الأقليات . المتخصصة في قتال العرب ، وهو الطريق الذي يؤدي إلى اكتشاف أنه قد خدع كل عمره ، من أهله ، ومجتمعه ، ومدرسته ، التي تزوّر التاريخ .

لقد أفرط (المتشائل) في الولاء ، حتى أصبح الأمر تفريطاً ، وهو ماحدث مع سهيل عزالدين ، ومحامي الأمة ، وحتى الاستاذ (م) في (سداسية الأيام الستة) ، الذي قتل ذاكرته وهو يحاول أن يتكيف مع واقع الاحتلال ، وحين أحسّ بعدم جدوى ذلك ، لم يستطع أن يستعيدها .

أما تناقض المواقف في سلوك المحتلين ، فالروايات تزخر به : إن المحتل يزعم باستمرار أنه متحضر ، ولكن يسلك سلوك غير المتحضرين في كل ممارساته ، بدءاً من العنصرية ، وانتهاء بالارهاب . ولأنه يدعي حقاً يعرف في داخله أنه ليس له ، فإن كل دعاواه تجاه هذا الحق في العودة إلى (أرض الميعاد) تبدو متهافتة ولاتستحق إلا النكتة التي تتحوّل إلى مايشبه التعلق بعظام نخرة . كما أن دعواه بتميزه ، باعتباره (شعب الله المختار) تبدو متهافتة أمام الواقع الذي لا يبدو له تميز فيه إلا القوة العسكرية ، فحتى قوة العمل ، والانتاج ، تأتي من العرب الذين يسري شبابهم ، مثل نوار اللوز ، إلى الانتاج كل صباح ، بينما يواصل اليهود النوم .

وحين يدعي بعض المستوطنين الايمان ، فإن سلوكهم يوحي بعكس ذلك . أن أحد المصلين اليهود في (عباد الشمس) لسحر خليفة ، يقطع صلاته ، ويطلق النار على طفل عربي ويرديه قتيلاً ، ثم يعود إلى الصلاة .

إن المستوطن اليهودي ، خاصة إذا كان غربياً ، يرتب أموره بحيث يرتاح ، ويستفيد من جهد العربي ، أو اليهودي الشرقي ، الذي يكاد أن ينفي عنه يهوديته ، لأنه متأثر بالبلدان التي عاش فيها . وقد بلغ الأمر عند إميل حبيبي إلى حد مناقشة التخفف من مهام العلاقات الزوجية ، حين روى في (اخطية) أن اليهود اجتمعوا برجل الدين يسألونه إن كان اقترابهم من نسائهم في السبوت عملاً أو لذة ، فقال إنه لذة ، وعندما سألوه تفسيراً قال : لو حكمت لكم بأنه عمل ، لأوكلتموه إلى العرب .

وتبدو هذه (النكتة) مباشرة ، وهي لاتقف وحيدة في ذلك ، لأن بعض الروايات تلجأ إلى مثلها ، خاصة حين تكون معبرة عن رأي اليهود في مجتمعهم . ان روتي مثلاً ، حين تفهم ــ بالحوار ــ طبيعة مجتمعها ، تؤكد أن هذا هو رأي بعض اليهود أيضاً ، ثم تروي (نكتة) تقول إن المجتمع « الاسرائيلي » ينقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول هم الذين دخلوا السجن ، والقسم الثاني هم الذين يوجدون في السجن الآن ، أما القسم الثالث فهم الذين سيدخلون السجن قريباً .

إضافة إلى كل ذلك ، فإن الرواية العربية تحت الاحتلال ، تلجأ إلى الوصف للسخرية ، فاميل حبيبي يعطي الشخصيات السلبية أوصافاً تثير الضحك ، مادية ، ومعنوية ، ولكنهم يبقون أكثر قبولاً عندما يقارنون بالعدو : إن المتشائل ــ رغم كل الصفات التي حولته إلى مايشبه المسخ ــ يبقى أطول من الحاكم العسكري اليهودي ، حتى عندما ينزل عن الحمار . أما زعماء الصهيونية الكبار ، فهم في (اخطية) مجرد (أحابيش) صغار ، كالذين وصفهم المسعودي في مروج الذهب ، ممن يصعدون إلى البحارة ، كانذار بسوء الحال . ولأن سوء الحال مستمر تحت الاحتلال ، فإن هذه الأحابيش ، من البناجرة الصغار ، والديانات الصغار (نسبة إلى بن جوريون وموشي دايان) يملأون الشوارع ، وحين يختفون ، لا يستطيع من جاءوا بعدهم أن يصلوا حتى إلى مرتبة « الأحابيش » التي يضحك لها المؤلف وهو يتصور أحابيش بيغن وشارون .

وحين يستفيد إميل حبيبي من تراث المسعودي في رسم هذا المشهد في روايته ، فانه لايكتفي به ، لأن التراث يتخذ عنده أهميته ، في الشكل الروائي الذي يختاره من ناحية ، وفي مادة التراث ذاتها من ناحية أخرى ، فبالإضافة إلى استخدامها للتأكيد على عروبة الأرض ، وأصالة أهلها ، وزيف الدعاوي الصهيونية ، فانه ينفذ من كل ذلك إلى توظيفها في السخرية من مقولات العدو ودعاويه . فحين تقول لجنة التحقيق في (اخطية) إن الشرق منوّم ، وتستدل على ذلك بحكاية مدينة النحاس في ألف ليلة وليلة ، يقف المؤلف في وجه هذه المقولة ، ليذكر بحكاية الأميرة النائمة في الفولكلور الغربي ، وحين يدور البحث حول (الخمار) فانه يذكر الذين يثيرونه بتقليد حزام العفة الذي عرفه الغرب ، ويتساءل : هل استطاع حزام العفة أن يثير قريحة شاعر غربي ، كما استطاع (الخمار الأسود) أن يفعل ؟

لقد قيل : شرّ البلية مايضحك ، ويبدو أن بلية الاحتلال أكبر من كل الشرور ، حتى تحوّلت السخرية منه إلى سمة أساسية في الروايات العربية التي تكتب تحت الاحتلال ، ولكنها السخرية الأقرب إلى الجدية ، لأنها لاتقال من أجل أن يضحك الناس وينسوا ، ولكنها تقال لتعبىء الناس ، فلايبقى أمامهم إلا اختيار وحيد : أن يقاوموا هذا الاحتلال حتى يستطيعوا أن يضحكوا ضحكاً لاتولده البلية .

وليد أبو بكر
الكويت

قلائل هم الأدباء والكتاب الذين يتركون بصمة واضحة على المجال الذي يبدعون فيه بأعمال قليلة .. هم الاستثناء . والقاعدة أن يتصاعد الخط البياني للأديب ببطء ، وربما يحقق عمل ما ، لكاتب ما ، شهرة كبيرة ، وذيوعاً وانتشاراً واسعين . لكن هذا العمل يبقى شجرة في صحراء .. لا تصنع ربيعاً . ويبقى سنونوة عادت مبكرة فهي لا تحمل في منقارها الربيع .. شيء رائع أن يقفز أديب ما بعمل أو عملين إلى مركز الصدارة ، ويجبر القراء والنقاد على الالتفات نحوه بقوة .. ولكن الأروع من ذلك أن يستمر هذا الالتفات . لأن صوت هذا الكاتب يظل قوياً متميزاً ..

نستطيع أن نذكر عدة أمثلة .. في الرواية برز بسرعة وقوة الطيب صالح وعبد الرحمن منيف . في المسرح نذكر سعد الله ونوس ، ومحفوظ عبد الرحمن ولكن الأمثلة ليست كثيرة على كل حال . بينما تمتلىء الساحة بالقصائد والقصص والمسرحيات والروايات التي تعد ولا تعطي .. وتبرق ولا تمطر .





حوار مع الكاتب المسرحي والتليفزيوني محفوظ عبد الرحمن



الطيب الصديقي — صقر الرشود

أجرى الحوار : نزار عابدين

ــ أستاذ محفوظ .. لم لا نبدأ بإلقاء نظرة متفحصة على خارطة المسرح العربي الآن بعد مرور أكثر من قرن على انطلاقة هذا المسرح ؟!

• نحن نعيش اليوم فترة نكسة مسرحية ، أو قل هزيمة مسرحية تمتد منذ حوالي عشرين سنة حتى الآن ، وهي انعكاس لحالة جزر عربي ، وحالة جزر في المد التقدمي العالمي كله . هناك هزائم ، سوداويات ، انكسارات ، كل هذا ينعكس على المسرح ويجعله يصل إلى ما هو عليه الآن .

أنا أعتقد أن هناك سببين لهذا الأمر ، وقبل ذلك علينا أن نتساءل .. كيف ينمو المسرح ؟ ليس الآن فقط ولكن على مر التاريخ ومنذ عرف المسرح ؟ لاشك أن هناك عوامل كثيرة درسناها وتعلمناها وقلناها مراراً ، وهناك أشياء كثيرة لابد من ذكرها الحضارة والمدنية والثقافة والوعي وجمهور المسرح وغيرها . ولكن هناك دائماً شيئين مشتركين هما السببان اللذان يقفان وراء تقدم مسرح ما أو تخلفه . ولا يمكن وجود مسرح بدونهما ..

الأمر الأول : أن يكون هناك حد أدنى من الحوار الديموقراطي بين الفئات والجماعات الموجودة في بلد ما ، هذا الشرط نجده في أثينا عندما خرج منها عظماء المسرح الاغريقي ، نجده في لندن عندما أنجبت مجموعة المسرحيين الانجليز ، وعلى رأسهم طبعاً شكسبير ، وبالتالي نجده في أي فترة أنتجت مسرحاً مزدهراً . قد يختلف شكل هذا الحوار بين زمن وآخر ، وبين مكان وآخر ، ولكنه كان موجوداً ، وبلا قهر يصل إلى تضييع وجهة نظر الآخرين .

الأمر الثاني : احساس الكاتب الفنان الانسان المنتمي إلى بلد ما بأنه يعتز بشيء ما وبأنه ينتمي إلى شيء ما .

هذان الأمران افتقدناهما . وفقدناهما خلال السنوات العشرين الماضية . وبالتالي لم يكن بالامكان أن يكون هناك مسرح عظيم . لأن المسرح قضية . ومادام كذلك فإنه تحاور

فئات ، ومادام تحاوراً وحواراً فانه لايمكن أن يعيش إلا في ظل العاملين اللذين ذكرتهما . مع مراعاة وجود عناصر أخرى .

ــ أنت تستعمل بعض التعابير الخاصة حتى لو لم تكن دقيقة وعلمية تعبير « هزيمة مسرحية » واحد منها؟! كيف انهزم المسرح ؟!

● هذه الهزيمة نتيجة المناخ العام ، لو استعرضنا ماحدث على امتداد الساحة العربية خلال الأعوام الأخيرة سنجد أننا نفقد أرضاً وراء أرض ، مكسباً تلو مكسب ، مع مزيد من التمزق . مع كثير من الحروب المصطنعة وغير المصطنعة . كل هذايمثل هزيمة تنعكس على المسرح . كثير من الحكومات العربية كانت تقدم الدعم للمسرح وترعاه تخلت عنه الآن ، فنان المسرح نفسه ، لم يعد شديد الاخلاص للمسرح . شديد الالتصاق والالتزام به ، إلا قلة .. فهزيمة المسرح انعكاس وامتداد للهزيمة العامة . ورغم قتامة الصورة وسوداويتها فانني لست متشائما . فهناك في كل مكان تجارب متمردة . وتجارب ترغب في تقديم الجديد ، سواء على مستوى النص أو العرض أو الاخراج . والأمل معقود الآن على هذه التجارب .

ــ منذ ربع قرن أو أكثر انتشر المسرح في أرجاء الوطن العربي كله .. وحتى في الأرياف .. وبدأ المشاهد العربي في كل قطر يرى مسارح الأقطار الأخرى ، وخلال هذه السنوات كنا نلاحظ أن مسرحاً عربياً يقفز إلى الأمام قفزات نوعية متميزة ومبهرة أحياناً ، ولكنه يتوقف . ولايستمر في مسيرته المتصاعدة . ينطبق هذا على المسرح السوري والجزائري والعراقي والمصري ، فلماذا ؟!

● المسرح بحاجة إلى فنان مسرح قادر على أن يخلق حركة مسرحية بوجوده وأعماله وعن طريق الآخرين ــ حتى منافسيه ، في كل فترة نجد فناناً يقدم جديداً ، يخلق نوعاً من الحيوية في الحركة المسرحية ، تتعداه إلى الآخرين ، لنأخذ مثالين : الطيب الصديقي في المغرب ــ وصقر الرشود في الكويت .

هذان الفنانان بدأ العمل والحركة المسرحية متواضعة ضعيفة استطاع كل منهما أن يخلق نهضة مسرحية ، وبهرا المهرجانات ، ولفتا الأنظار بشدة وقوة ، لأنهما قدما شيئاً جديداً .

مع انتهاء دوريهما ، بحكم الوفاة لدى صقر الرشود ، وبحكم التوقف عن العطاء لدى الطيب الصديقي . تراجعت الحيوية التي خلقها هذان الفنانان . من عيوب الحركة المسرحية العربية إذن أنها متوقفة على وجود أشخاص . هذا من جهة . من جهة ثانية أنها متوقفة على بعض الظروف المصطنعة ، مثلاً ، بعض وزارات الثقافة أو بعض الجهات الرسمية في الوطن العربي تريد أن تشترك في مهرجان ما ، وتريد أن تبرز اسمها أو اسم دولتها في هذا المهرجان . فتحشد كل الامكانات والطاقات لعمل مسرحي واحد . وتشترك بهذا العمل . وبالفعل يبرز العمل بصورة متفوقة ، ويحصل على جوائز ، ثم .. تعود الأمور كما كانت ، وينفض هذا الحشد . ويعود الفنانون إلى المقاهي ، بعد أن خابت آمالهم التي علقوها على هذه الصحوة المفاجئة .. لأن هذه الجهات أرادت المسرح حلية أو وردة توضع في العروة ، ليتصوروا بها ، فاذا تحققت الغاية والتقطت الصورة التذكارية للمباهاة ، تركوا كل شيء ، وتنتهي القضية ، لأن الحركة المسرحية الحقيقية غير مطلوبة أو مرغوبة .

من هنا مثلا تجد أن المسرح في بلد كالكويت حقق في فترة من الفترات نجاحات باهرة وينطبق الأمر على المغرب أيضاً .

أما في بلد كسوريا أو مصر فالأمر مختلف قليلاً ، لأن القاعدة المسرحية في الأساس شعبية . ولها تاريخ طويل ، والدائرة الفنية كبيرة واسعة ، ومن الصعب اهمالها ، وبالتالي فانها في فترات عدم الازدهار ، تتحول الى ثلاجة ، تحتفظ بالشكل المسرحي . وتنتظر الظروف المناسبة ، وعندها تقدم نتائج باهرة .

ــ في السينما معادلة نادراً ما تتحقق ، هي الجمع بين القيمة الفنية للعلم ، والانتشار الجماهيرى الذي يعبر عنه شباك التذاكر ــ وقليلة جداً هي الأمثلة حول الجمع بين العمل الجاد النظيف وارضاء الجمهور ــ هذا ينطبق على المسرح أيضاً .. هناك مسرح جاد نظيف ــ فنياً على الأقل ــ ولكنه يبدو جافاً ، وهناك مسرح يسمي نفسه مسرحاً كوميديا ، بينما لا يخرج عن أنه تهريج رخيص ، ولكنه للأسف يحقق انتشاراً واسعاً . من هنا لماذا لا نقدم للجمهور فناً نظيفاً يطرح قضايا جادة . ويقدم المتعة في الوقت نفسه ، لماذا لانقيم احتفالا مسرحيا أو حفلة مسرحية ؟

● أنا أرى أن أضيف إلى التقسيم السابق شكلاً ونوعاً ثالثاً .. مسرحيات جادة ومسرحيات تهريجية رخيصة . ومسرحيات تجريبية لأننا نخلط أحياناً بين المسرحيات الجادة والمسرحيات التجريبية . من الممكن أن أقوم بمغامرة مسرحية غريبة من حيث الشكل أو المضمون .. مسرحية تجريبية لا يطلب منها أن تحقق الانتشار الجماهيري الواسع ، ولكنها يجب أن توجد لأنها رافد من روافد المسرح . المسرح التهريجي الرخيص من نوع « الفارس » الرديء لا يختلف اثنان على رفضه كقيمة فنية حتى العاملين فيه يقرون بذلك . وبهذا يبقى المسرح الجاد وكيفية إيصاله إلى الجماهير .

الاقتراح الذي تحدثت عنه اقتراح جميل وجيد ، أن نقيم بدلاً مما يسمى بالعرض المسرحي المحبوك المحدد احتفالاً مسرحياً . وهذا شكل من الأشكال متوقف على كيف يقوم الفنان المسرحي بهذه المهمة .. هذا اقتراح . والمطلوب أكثر من اقتراح عشرات الاقتراحات . المطلوب أن يطرح الجميع تصوراتهم لشكل المسرح . ليس بمعنى أن يكتبوا المقالات الصحفية والكتب ، ولكن بتقديم مسرحيات بالشكل الذي يقترحونه . فاذا نجحت التجربة يكون هذا الشكل ناجحاً ، أما إذا لم تنجح فمعنى هذا أن الشكل المقترح قد فشل في الوصول إلى الناس .

وبرأيي أن العمل الجاد المنفذ بطريقة جيدة وبتواضع ، ويقدم للناس شيئاً ما . تُبعد أن يتخلص من التجريب . يجب أن ينجح . ولا شك أن الجمهور سيتقبله ، وعندها يحقق المعادلة الصعبة في الجمع بين العمل الجاد والانتشار الجماهيري .

ــ يمكن أن نعيد صياغة الأمر بشكل آخر . لماذا يكون المسرح الجاد دائما متجهماً ، فيه الموعظة والدرس والفكرة وكثير من المآسي والدموع ، ولكن فيه قليلاً جداً من المتعة ــ بينما الناس يريدون شيئاً يمتعهم ، وعندما يطالبون المسرح بتقديم هذه المتعة ، فإنهم على حق في هذا .

قد نختلف كثيراً أو قليلاً ــ كمهتمين بالمسرح ــ حول شكل المسرح ــ حول دور

■ أهم عيوب الحركة المسرحية العربية أنها تتوقف على وجود أشخاص وعلى بعض الظروف المصطنعة

■ إن هزيمة المسرح العربي امتداد للهزيمة العربية العامة.. ورغم ذلك لست متشائمًا!

حـــوار مع الكاتب محفوظ عبدالرحمن

المسرح ، حول شكل الدراما ، هل هي دراما أرسطو أم الدراما العصرية . لكننا ــ كما أعتقد ــ لن نختلف أبداً في أن مايعرض على هذه الخشبة يجذبني طوال مدة العرض .. أجلس مصغياً منتبهاً ، أكاد أحبس أنفاسي ، وأنا أتابع مايجري على الخشبة .. هذا الشرط الذي لن يختلف فيه اثنان من المهتمين بالمسرح ــ لأضرب مثلاً ، لوأنك فتحت كتاباً ما .. وليكن تاريخ الطبري ، وقرأت لي صفحات من هذا الكتاب ، واستطعت أن تشدني أثناء القراءة ، يكون هذا عرضاً مسرحياً من الدرجة الأولى . بينما لوجئتني بعمل استوفى القواعد المسرحية كلها ، وعرضته على المسرح ، وأنا كمتفرج شعرت بالملل ، فان هذا ليس عملا مسرحياً على الاطلاق . باختصار شديد .. الجدية لاتعني أن أفقد جمهوري .. أن أستمتع بما أقدم على الخشبة ، بينما المتفرج لايستمتع ، وقد لايحتمل العرض إلى نهايته فيخرج من الفصل الأول . هذا ليس مسرحاً بكل تأكيد .

ــ استكمالاً لهذه الفكرة أعود إلى بعض آراء الاخوة المسرحيين المغاربة .. « الطيب الصديقي » تساءل مرة .. من الذي قال إن الجماهير العربية تريد مسرحا على الطريقة الأوربية ، يأتي إليه المتفرج الساعة الثامنة أو التاسعة مساء ؟! هل جربنا أشكالاً مختلفة من المسرح ؟

هل تعتقد أن مثل هذه الأفكار قابلة للتنفيذ ؟! هل ترى أنها يمكن أن تكون عاملا لجذب الجماهير ؟ أو خلق تفاعل بين المسرح والجماهير ؟!

● ليس عندي إجابة جاهزة ، أو اقتراح جاهز للمسرح العربي الجديد ، لكنني أعتقد أن أي اقتراح من هذا النوع يحتاج إلى دراسة طويلة متأنية لعدة أسباب : ولكن لعل مما يؤكد صحة هذا الاقتراح تجربة المسرح في مصر ، وهي التجربة غير الرسمية .. في الريف المصري ونحن أطفال ــ كان هناك مايسمى « بمسرح السامر » أو « الحكواتي » ، وهو يتلخص في أن « ممثلين » فقط يرتجلان عرضاً ، وبالتحديد ، لا يرتجلان العرض كله . لأن الموضوع الرئيسي متوارث ، وهذا ما كان يحدث في مكان خال « بيدر » مثلا .. يأتي هذان الممثلان وقد يكونون ثلاثة ، ويجتمع سكان القرية ، ويبدأ العرض ..

من جهة ثانية .. حصلت محاولات كثيرة ، سواء سميت « محاولات برختية » أم غير ذلك إنما كانت محاولات لكسر الحاجز بين الممثل والمشاهد ، أو بين العمل المسرحي والجمهور ، أو بين الخشبة والصالة . وقد كنت من المتحمسين لها في وقت مبكر حتى قبل أن أبدأ الكتابة للمسرح ، لكنها لم تنجح ، لأن لدى المشاهد العربي بشكل عام حساسية ، تجاه التفاعل مع العرض . وعلى حد علمي فان هذه التجارب لم تحقق نجاحاً يذكر .

ــ قبل أن نسترسل مع الموضوعات العامة وهي كثيرة متشعبة حبذا لو ندخل إلى عالم محفوظ عبد الرحمن الكتابي .. أعمالك المسرحية قليلة .. « عريس لبنت السلطان » و « حفلة على الخازوق » و « ما أجملنا » وهي من فصل واحد ..

● (مقاطعاً) : بهذا تكون قد شاهدت كل أعمالي المسرحية ما عدا بعض التجارب المسرحية من فصل واحد ..

قبل المسرحيتين اللتين ذكرتهما كان هناك كما قلت تجارب مسرحية من فصل واحد .. منها مسرحية بعنوان « احذروا » تتحدث عن اليمن القديم أيام سد مأرب .

ــ في مسرحيتك « حفلة على الخازوق » و « عريس لبنت السلطان » نجد أنك تستمد موضوعاتك من التراث ، وسواء سميناها اسقاط التاريخ على الحاضر أم إسقاط الحاضر على التاريخ . فهل تعتبر أن طرح القضايا الآزلية أو المعاصرة بهذا الشكل هو الطريقة المثلى لما تود قوله ؟! أم هي هروب من الرقابة ؟!

● بوضوح شديد أقول إنها ليست هروباً من المواجهة . ولو كانت هروباً من السلطات الرقابية لاعترفت بذلك بدون أي خجل ــ وللكتاب كل الحق في أن يهربوا من سلطة الرقابة بالشكل الذي يرونه مناسباً ، وحدث هذا ويحدث في كل مكان ــ فعندما كتب سارتر مسرحية « الذباب » كان يهرب من الرقابة النازية أيام الاحتلال النازي لفرنسا ، إن الشكل الذي اخترته ليس هروبا ، وهذا لايخجل ، بالعكس إن النق هو الذي يخجل . أنا أتصور أننا لا نستطيع أن نضع الحقائق الصغيرة في نظام درامي راق وباق ، إلا إذا كان من يضعها عبقرياً بشكل غير عادي . إن الواقع الذي نعيشه الآن متشابك ومتشعب ، وانتقاء عناصر من هذا الواقع ، يمكن أن تشكل دراما ذات مستوى حقيقي ، يحتاج إلى قدرات لا أظن أنها متوفرة لدي أو لدى كثير من المسرحيين ، أما دراسة فترة تاريخية وانتقاء عناصر الدراما منها فأسهل ، لأنك عندما تبتعد عن الموضوع تتأمله بصورة أفضل ، والحادثة الآنية تجدها صعبة التناول ، ولكنك لو تأملتها بعد عشر سنوات مثلاً لوجدتها ناضجة ، وقد امتحنت وجربت ودرست ، من هنا كان اللجوء إلى التاريخ ليس بمعنى « التاريخ » أو التوثيق ، وانما استيحاء شكل تاريخي فقط أو إطار تاريخي فقط ، لعرض قضايا ــ شئنا أم أبينا ــ معاصرة .

هناك سبب آخر لتناول التاريخ ــ هو سحره الخاص بالنسبة للكاتب ــ وأنا شخصياً أجد سحراً خاصاً في التاريخ قبل أن أفكر بالكتابة على الاطلاق .

التاريخ كان يسحرني دائما ، التناقضات الهائلة الموجودة فيه ، والمتفق على أنها صحيحة .. إذن ربما كان اختياري للشكل التاريخي عائداً إلى حبي للتاريخ . وإلى أن الرؤية أفضل فيه ، وربما كان في هذا شيء من الهروب ، ولكنه هروب لاواع ..

وربما كان علي أن أشرح قضية الكتابة بالنسبة لي ، فأنا عندما أكتب عملاً ما ، لا يهمني أي شيء آخر ، أو يعرض أو لايعرض ، أن ينتج ، أن يطبع أو لا يطبع ــ فهذا لا يعنيني في فترة الكتابة ، وبعد أن أنتهي من كتابة عمل ما .. يكون قد انتهى بالنسبة إلي ، وأبدأ التفكير في عمل آخر .

ــ هل تقدم التاريخ كما هو ؟ أم أن للكاتب الحق في أن يغير في هذا التاريخ بحيث لايشوه الحقائق التاريخية ؟!

● هناك حقائق تاريخية لاخلاف عليها ، ولا يمكن أن نعبث بها ، ولكن مايمكن أن نختلف فيه ، هو تفسير هذه الحقائق والأحداث ، ودعني أضرب لك مثالاً عملاً لي ، ولكنه عمل تليفزيوني وليس مسرحياً ، فالحارث ابن عمرو أرخ له بطريقة خاصة جداً ، والحارث هذا كان ملكا من ملوك العرب قبل الاسلام بحوالي قرن أو قرن ونصف ، وكان من الشخصيات البارزة والفعالة جداً في عصره ، ولم يكتب عنه بشكل كاف ، بل لعله أسقط تقريبياً ، واتهم اتهامات كثيرة ، المعلومات التاريخية عن هذا الرجل محددة ولا تختلف من مرجع إلى آخر ، والحكم عليه من المؤرخين حاد وعنيف وشديد ، ولايتضمن أكثر من أنه كان رجلاً متحللاً ، ونلاحظ أن هناك تعالٍ على هذه الشخصية ــ ولكننا لو نظرنا إلى الحارث بن عمرو نظرة أخرى لخرجنا بنتائج مختلفة ، فمثلا ، التهمة التى نفته من التاريخ تقريبا هي تهمة التحلل الخلقي .. حسناً .. عندما يقال لي ان رجلاً

عربيا استطاع قبل خمسة عشر قرناً من الزمان أو أكثر أن يجمع نصف العرب تقريباً تحت لواء واحد ، ويقاتل بهم أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان وهما الفرس والروم ، ثم يقال لي إن هذا الرجل كان متحللاً خلقياً ، كيف يمكن أن أصدق ذلك ؟ كيف يمكن أن أصدق أن رجلاً هذه صفاته كان يدعو إلى التحلل الخلقي ؟!

إذا كان « كليب » قد قتل لأنه حاول أن يصنع لنفسه إيواناً خاصاً وحرساً خاصاً ، وأن ينتظر الناس على بابه ريثما يفرغ لهم فرفضوه ـ لأن البدوي كان معتاداً أنه إذا قصد « كبيراً » أو « رئيساً » يدخل عليه بلا استئذان ـ وكليب ينتمي إلى أسرة الحارث بن عمرو نفسها ـ وكان له التوجه نفسة ، وهو محاولة خلق دولة عربية لكن كليباً فكر بها بطريقة الملوك ـ فاذا علمنا أن الحارث كان قبل كليب بعشرين أو بثلاثين سنة ـ حق لنا التساؤل : كيف استطاع أن يحقق ما لم يحققه كليب؟! هل يمكن أن يحدث هذا وهو متحلل خلقياً ؟!

إذن التهمة لا تصمد للنقد .. وهي بالمناسبة ما زالت تهمة معاصرة ، وتلصق كثيراً بمن يراد تشويه سمعته وشخصيته ، فاذا استبعدنا هذه التهمة ، ماذا يبقى من أبعاد الشخصية !؟

رجل دعا إلى دولة عربية لها شكل ديموقراطي ، واجه أعظم امبراطوريتين في عصره وحاربهما ، ثم اتفقت عليه الدولتان المتحاربتان أصلاً ، وعقدتا شبه هدنة فيما بينهما ، لتتمكنا من القضاء عليه ، وتم لهما ذلك في أعظم مذبحة مرت بالعالم العربي في العصور القديمة . إذن القراءة الجيدة للتاريخ ، يمكن أن تؤدي إلى رؤية جديدة وتفسير آخر منطقي للأحداث . في عمل آخر هو « الكتابة على لحم يحترق » اعتمدت على توثيق التحالف المغولي الصليبي .. والمؤسف أن هذا التحالف لم يذكر إطلاقاً في أى من المراجع العربية الى سنوات قليلة .. ولم يذكر إلا في المراجع العربية الجديدة ، وفي بعضها يذكر على استحياء ، أو في الهامش ، بينما نجده موثقا ومكتوباً ومؤرخاً له بشكل جيد وتفصيلي كامل في كل المصادر الأوروبية .

ـ عندما نتحدث عن التاريخ ، ماذا نعني بالتاريخ ؟ هل هو الأحداث والشخصيات الحقيقية ؟ هذا نراه في أعمالك التليفزيونية (عنترة ـ محمد الفاتح ـ سليمان الحلبي ـ الكتابة على لحم يحترق) أم هو الحكايات المتوارثة ذات الإطار التاريخى كحكايات ألف ليلة وليلة ، وهذا ما نراه في عمليك المسرحيين ؟

• الحقيقة أننا استخدمنا كلمة التاريخ تلخيصاً لمفهومي التاريخ والتراث ، ولكن هناك تناولاً دراميا لمواضيع تاريخية ، أو لمواضيع تراثية ، قد يكون مبنياً على جملة أو حكاية ، أو قد يكون فقط الشكل التراثي ، أو الشكل العام على الرغم من أن الحكاية قد لا تكون وردت في أي من كتب التراث . فمسرحية « حفلة على الخازوق » مأخوذة فعلاً من حكايات ألف ليلة وليلة ، والثانية « عريس لبنت السلطان » مأخوذة من مجموعة أحداث غير مترابطة وقعت إبان الغزو المغولي للوطن العربي . أما الثالثة « إحذروا » وهي عن سد مأرب ، فانها مأخوذة من أسطورة لاندري مدى صحتها ، إذ يمكن أن تكون صحيحة ، وبالتالي يكون العمل تاريخياً ، ويمكن أن تكون من الحكايات التراثية ، وعندها يكون العمل تراثياً . أما مسرحية « ما أجملنا » فانها لا تستند الى هذا أو ذاك إلا من حيث الشكل . فانها تأخذ شكلاً تاريخياً بالملابس والديكورات ولغة الحوار فقط

ـ في أعمالك التليفزيونية التي ذكرت بعضها قبل قليل ، وأضيف إليها الآن « ليلة سقوط غرناطة » و « الكتابة على لحم يحترق » توجد شخصيات جديدة على الرغم من أنها كلها تاريخية .. وقد تحدثنا منذ قليل عن هذه النقطة ، لكنك تأخذ أحيانا شخصيات حقيقية وتعطيها أبعاداً أخرى ، في « سيرة عنترة » كان جرير هامشياً جداً ، بينما أصبح لديك شخصية محورية وأساسية ، وفي السيرة « شيبوب » شبه ثانوي ، وهو عنصر إضحاك في السيرة . بينما أصبح في المسلسل شخصية متميزة ، وله فلسفته الخاصة التي قد تذكر بزوربا .

• ما ذكرته حتى الآن صحيح .

ـ هل نستطيع القول إنك تتعمد أن يكون لكل عمل تليفزيوني بعدان ، واحد للمشاهد العادي . وآخر يعطي الفكرة الأساسية التي تود إيصالها ؟

• لنأخذ « عنترة » كمثال .. المسلسل فيه حكاية « حدوتة » والحدوته مشهورة في التراث الشعبي العربي ، وهو مسل ومشوق ويجذب الجماهير ، لكنه في الوقت نفسه مركب تركيباً خاصاً من الداخل . والشخصيتان اللتان ذكرتهما هما سر التركيبة الخاصة ، بماذا تشد قضية عنترة الناس ؛ لأنها تطرح قضية الحرية ، لكن عنترة لم يكن الطرح الوحيد لقضية الحرية خلال التاريخ ، بل كانت هناك أشكال أخرى ومحاولات أخرى لانتزاع الحرية . فاذا قسمنا الأمر إلى أقسام نقول :

إن محاولات الحرية كانت فردية أحياناً ، فالمستعبد بالرق أو بغيره يريد الخروج من عبوديته إلى السيادة ، فيحاول بجهده الفردي أن يصل إلى تحرير نفسه سواء كان هذا الجهد قوة أم مالاً أم فروسية أم غير ذلك ، لكنه يتحول إلى سيد يملك عبيداً آخرين ، وهذه كانت محاولة عنترة ، لأنه كان يريد أن ينتمي إلى السادة ، وبالتالي سيصبح مثلهم . ويملك عبيداً . لكن هذا ليس الشكل الوحيد للمحاولة ، أو للحرية المنشودة . هناك من تصور أن الحرية تنبع من داخله ، وليس مهماً ما يحدث خارج النفس طالما أنه يحس بالحرية ، وهذا كان يمثله شيبوب ، فقد كان يتصور أن حريته في داخله ويمارسها بالطول والعرض والعمق ، إلى أن يكتشف أنها تصطدم بالواقع ، وأنه لم يكن يستمتع بالحرية لأن الحرية مرتبطة بالخارج . من هنا ، فان ابتهاج شيبوب في الحلقات الأخيرة فتر كثيراً ، وتحول شيبوب إلى شخصية كئيبة .

أما شخصية جرير فكانت التصور الثالث للصراع من أجل الحرية . الحرية ليست مرتبطة لا بالداخل ولا بالفردية ، إنها مرتبطة بالمجموع .. جرير أخذ حريته . بالمال أو بالفروسية وظن نفسه حراً ، لكن أول رجل قابله اعتبره عبداً هارباً ، فاكتشف أنه طالما وجد عبيد آخرون فإنه لن يكون حراً ، وعليه أن يسعى لأن يتحرر كل العبيد ، في تلك اللحظة وحدها سيكون حراً ..

لقد تصورت في ذلك العمل أن هذه الأشكال الثلاثة هي الوحيدة للصراع من أجل الحرية .

■ القراءة الجيّدة للتاريخ يمكن أن تؤدي إلى رؤية منطقية جديدة للأحداث نفسها

■ أنا مع الكتابة بالفصحى ، لكنني لست ضدّ من يكتبون بالعامية لأنها حقيقة نعيشها

حـــوار مع الكاتـــب
محفوظ عبدالرحمن

ـ في أعمالك المسرحية والتليفزيونية كلها كنت تكتب باللغة العربية الفصحى ، ما عدا مسلسل «المرشدي عنتر» الذي كتبته بالعامية المصرية ، ستقول لي ان الموضوع كما يفرض شكله الدرامي العام ، يفرض لغة الحوار أيضاً ، ولكن هذا يجعلني أسأل : هل أنت مع الفصحى أم مع العامية أم مع الاثنتين معاً ؟

• أنا مع الفصحى ــ وبرأيي أنها لغة الكتابة .. وموقفي واضح : فأنا عادة أكتب بالفصحى ، لكنني لست ضد من يكتبون بالعامية ، لسبب بسيط هو أن العامية واقع . فلو أخذنا منه موقف المنع ، فاننا نهرب من واقع وموقف موجود ، وتجاربي بالعامية محدودة جداً ..

ــ كثيراً ما نجد دعوة هنا أو دعوة هناك ، للاستفادة من الفنون الأخرى ، كالرقص والغناء والموسيقى ، وحتى السينما أحياناً في المسرح ــ ما رأيك بهذه التجارب ؟

• أنا أتكلم بحسي .. فأنا أنزعج جداً من كل ما يقدم على المسرح العربي غير النص .. كالغناء والموسيقى .

المسرح قضية وكل هذه الأمور وسائل زائدة . المسرح نص وممثل ومخرج قادر على ايصال القضية إلى المشاهدين بشكل جيد ــ وليس من الضروري أن يعني الشكل الجيد اضافات ترهق العمل .. ولكن ، إذا استطاع المخرج أن يوظف كل هذه الأمور بشكل يخلق عند المشاهد توترا ذهنياً ، ويقربه من العرض المسرحي . فهذا شيء جيد والواقع أنني نادراً ما رأيت هذه الوسائل موظفة توظيفاً جيداً ..

ــ هناك تجارب لكسر الشكل المألوف للمسرح ، والخروج على قواعده المتوارثة ، وهناك آراء وأفكار تقول إن نواة المسرح موجودة في تراثنا ، خيال الظل ، مسرح السامر ، مسرح البساط أو مسرح الحلقة في المغرب . ما رأيك بهذا ؟

• أنا لست مع المسرحية المحبوكة دائماً ، ولست متعصباً لهذا الشكل .. أنا مع العرض المسرحي الذي يجذبني ، ويحترم عقلي وعواطفي ، حتى لو كانت المسرحية ضد كل القواعد الدرامية المتوارثة منذ أيام أرسطو .

ــ عندما نتحدث عن المسرح نتحدث أيضاً عن مهرجان دمشق للفنون المسرحية لأنه ــ على الأقل ــ المهرجان الوحيد الذي استمر حتى الآن ، فهل حقق هذا المهرجان برأيك بعض أهدافه ؟

وهل ترى أنه مازال يقدم دفعاً للمسرح العربي بشكل عام ؟!

• صنع مهرجان دمشق شيئاً مهماً ، قد لا يبدو واضحاً للمراقب العادي ، هذا الشيء أنه جعل الفصحى جزءاً أساسياً من المسرح العربي ، لم تكن الفصحى غائبة عن المسرح العربي قبل مهرجان دمشق ، ولكنها أيضاً ، لم تكن معتمدة في الأعمال المسرحية بالشكل الذي نراه عليها الآن ، الأمر الثاني أنه قام بعملية تعارف واسعة بين العاملين في المسرح من كتاب ومخرجين وممثلين ، ولاسيما بين أبناء المشرق وأبناء المغرب ، فعلى سبيل المثال قبل مهرجان دمشق لم نكن نحن أبناء المشرق نعرف شيئاً عن الحركة المسرحية المهمة في المغرب العربي ، وهي حركة مسرحية ناضجة ..

قدم مهرجان دمشق أيضاً دفعة قوية وهامة للحركات المسرحية في دول الخليج كما كان عرضا لتجارب مسرحية جديدة .

هذه هي النقاط التي تحضرني الآن .. وكل هذا يقول إن مهرجان دمشق قدم الكثير للحركة المسرحية العربية .

ــ من ضمن أهداف مهرجان دمشق للفنون المسرحية ، افساح المجال أمام أجيال جديدة من الكتاب ، وهذا يذكرنا بما يقال دائماً من أن هناك أزمة نص في المسرح العربي ، هل هذا صحيح ؟!

• هذا غير صحيح بكل تأكيد .. لماذا نقول إن هناك أزمة نص ؟ هناك أزمة مخرج .. لن نتحدث طبعاً عن أزمة الممثل ، لأن الممثل موهبة قبل أن يكون دراسة واكتساباً ... لكن المخرج أو الكاتب يحتاج إلى سنوات طويلة من الاعداد ، فلو سلمنا بوجود أزمة نص ، أين المخرج ؟ أين الذي يمكن أن تضع بين يديه نصاً ، فيعطيك عرضاً متميزاً ؟ أين المخرج الذي يحمل رؤية خاصة لكل عمل مسرحي ؟ .. إن هؤلاء قلة ... والقضية ليست قضية فردية ، إنها قضية مناخ عام ، والمناخ العام الآن لايفرز كاتباً جيداً ولامخرجاً جيداً ولاممثلا جيداً ، ولا مهندس ديكور جيداً .

إنه مناخ عقيم .. حسناً ، هناك أزمة نص ، ولكن هناك أزمة مخرج ، هناك أزمة في كل ما يتعلق بالمسرح . إنها أزمة مسرح بشكل عام .

وفي الفترات المزدهرة التي عاشها المسرح العربي ، كان هناك حرية اختيار بين عدد من النصوص الجيدة .. أما الآن فانني لوكنت مسؤولاً عن مسرح عربي لعانيت أشد المعاناة لأجد نصاً جيداً واحداً ، ومخرجاً جيداً .

ــ قلت إنك تتكلم بحسك .. وقد بدأنا حديثنا بالحديث عن خارطة المسرح العربي الآن ، هل نستطيع أن نستشف مستقبل المسرح العربي ؟ هل خطه البياني متصاعد أم ينحدر ؟! هل نأمل أن يكون مستقبله مشرقاً أم قاتماً مظلماً !

• بدون أي مبالغة أو خطابية ، أعتقد أن المسرح سيقبل على حالة ازدهار ، وأعتقد أنه سيكون بديلاً للبرلمانات العربية ، وأعتقد أن المسرح القادم مسرح فقير ليس لديه الامكانات المادية الضخمة ، ليس لديه دور عرض فخمه ومجهزة بأفضل الأجهزة والمعدات ، بل سيكون في مسارح صغيرة ، وربما في أماكن ليست مهيأة بالأصل لتكون مسرحاً ــ وأعتقد أن موجة التلفزيون لن تنحسر ، بل ستتمدد ، وسيعود المسرح بشكل آخر ليس عندي تصور واضح عنه ، لكنه سيكون شكلاً مختلفاً عن المسرح الذي تعرفه ، وسيكون مسرحاً جيداً ...

ــ هل لأن المنتمين بالمسرح سيكونون أكثر اخلاصاً ، أم لأن الواقع سيتغير ، والمسرح مرتبط بالواقع ، وعلى سبيل المثال المسرح في مصر ، شهدت فترة الستينات نهضة مسرحية مازالت الذروة بالنسبة له ، ثم انحدر ، هل من الممكن أن نتصور أنه اذا تكررت الظروف نفسها ، سنجد مسرحاً مزدهراً كما كان ؟!

• التجارب لاتكرر نفسها ، أنا أعتقد أن المسرح العربي القادم ، والمسرح في مصر جزء منه . لن يكون كمسرح الستينات لاشكلاً ولامضموناً ، أنا أعتقد أن المسرح القادم سيكون متمرداً على الخشبة التقليدية ، قد يكون مسرحاً في نقابة ، مسرحاً في مدرسة ، مسرحاً في الشارع ، سيكون هناك أشكال أخرى جديدة غير المسرح التقليدي .. سيكون بديلاً لحلقات المناقشة والندوات وتجمعات المهتمين بالثقافة والوطن . ولست متفائلاً لأن الصورة ستكون وردية ، لكنني متفائل لأنني أعتقد أن المسرح هو البديل الصحيح لكل الأشكال الفنية المرفوضة ، كالسينما التي ترفضها الآن بشكلها ومضامينها الحالية قطاعات كبيرة من الشعب ، التلفزيون سيتجمد دوره ، فقد شبع الناس منه وفقد بريقه الأول .. أما المسرح فانه سيستمر ووسيلعب دوره الذي كان يلعبه دائماً عبر التاريخ . ماذا سيفعل المسرح تماماً ؟ لا أعرف ــ إنما أعتقد أن دوره سيكون خطيراً ، ليس بالضرورة كمسرح الستينات ، ولكنه مسرح حقيقي بالتأكيد .

نزار عابدين

الوعد..

شعر:
د. مصباح أمين الحمصي



الوعد أقبل فالبشرى تزغرد بي … والقلب يرقص والأشواق تدنينا
والفكر يزحف في الأرجاء يسألها … أين اللقاء... ومن للروض يهدينا
والروح تسكب في الأحلام بهجتها … والوجد يزخر مفتوناً بما فينا
والشمس تهرع نحو الغرب في قلق … تبغي الغروب ليأتي الليل يؤوينا
فإذا الغروب.. دماء الأفق تصبغه … مثل اللهيب... ولكن ليس يصلينا
ستر الظلام تراها في غلائلها … ترعى اللقاء وتزهو إذ تغطينا
أمشي إليك وسحر الوعد يدفعني … والدرب يصبح روضاً كي يحيينا
والأرض تفتح قلباً في حشاشتها … حتى تصون غراماً أو لتحمينا
والعشب ماج مع الأنسام في حذر … يرعى الطريق إذا ما الخطو يدمينا
حتى السنابل أحنت هامها طرباً … وغدت تدمدم لحناً ثم تشجينا
ترجو البيادر أن نبقى بأضلعها … فإذا البراعم والأزرار تغرينا
يأبى العبير إذا ما الوجد داعبنا … إلا ويسكب دمعاً... لا ليبكينا
لم يبق للورد صبر إذ يراقبنا … تأتي الورود إلينا ثم يغضينا

الوعد أقبل فالأقمار من شغف … تغري الخمائل بالأزهار ترمينا
عشب الحقول ترامى عند خطوتنا … مثل الضحية بالأرواح تفدينا
لفت يداي قواماً خصره صلف … والصدر يأمل.. جمراً من تدانينا
تاهت يدي فإذا الطريق زنابق … ويم الزنابق .. هل بالعطر تلهينا
ثر الرضاب دموع النحل تبدعه … فإذا الرضاب رحيق الشهد يسقينا
ذاب الغرام وذبنا في عواطفنا … شهد اللقاء بأن الحب يحيينا

الحياة داخل سفينة فضاء

رائد الفضاء كيف يأكل وينام ويستحم ؟

بقلم : المهندس سعد شعبان



الحركة داخل سفينة الفضاء كالسباحة في الهواء

■ ملابس رواد الفضاء تتألف من طبقات متعددة .

■ شاحنات الفضاء تحمل الأطعمة والمؤن والملابس والوقود للمحطات المدارية

■ رائد الفضاء ينام داخل دولاب ويستحم داخل برميل .

■ أقصى مدة للبقاء في الفضاء بلغت ٢٣٤ يوما .

■ أقصى تجربة أجريت تمت في زنزانة فضائية وضعت على الأرض لمدة عام .

اتسمت رحلات الفضاء الأولى بقصر مدتها ، فقد كان الهدف الأساسي منها هو الحفاظ على سلامة رائد الفضاء نفسه . ولم تكن معرفة كل الظروف الطبيعية عن الفضاء قد اكتملت ، اللهم إلا من خلال عدد من التجارب التى أجريت على بعض الكلاب والقرود .

ولقد دخل رائد الفضاء السوفيتى جاجارين التاريخ من أوسع أبوابه كأول رائد فضاء ، تمثلت فيه شجاعة قهر المجهول . ورغم أن



ملابس رواد الفضاء تتكون من عدة طبقات

أجهزة طبية لقياس نبضات قلب رائد الفضاء العربي الأمير سلطان بن سلمان

■ حركة رواد الفضاء داخل السفن محفوفة بمخاطر الاصطدام بجدرانها وأسقفها والطفو فى فراغها.

رحلته لم تكن غير دورة واحدة حول الأرض ولم تدم إلا ١٠٨ دقيقة . إلا أن تاريخ رحلته ١١ ابريل عام ١٩٦١ سيظل على مر التاريخ يوما خالدا يرمز لنجاح الانسان فى قهر الفضاء .

وعلى الجانب الآخر ، أصابت الأمريكيين عقدة التخلف ، لكنهم لم يستسلموا لها ، بل ملك الرئيس الامريكى الراحل « جون كندي » زمام الموقف وتبنى تشجيع الأبحاث الأمريكية ووضع خطط طويلة الأمد تهدف الى هبوط رواد أمريكيين على القمر وتحقق ذلك فى نهاية الستينات .

ولم يكد يمر على رحلة جاجارين غير (٢٣) يوما حتى أطلقت السفينة الفضائية الأمريكية « الحرية ـ ٧ » حاملة أول رائد امريكى « الان شبرد » فى رحلة فضائية عمودية مدتها ١٥ دقيقة تعرض رائد الفضاء خلال خمس دقائق منها لحالة انعدام الوزن ، ثم هبط بعيدا عن قاعدة الاطلاق بمسافة ٥٥٠ كيلو مترا ، وأعقبتها رحلة « جرسيوم » الأمريكى بعد شهرين بالارتفاع رأسا الى ارتفاع أكثر غوصا فى الفضاء . ولكن المدة لم تدم غير (١٥) دقيقة كالرحلة السابقة لها ، ولم تبدأ الرحلات الامريكية بالدوران حول الأرض إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٦٣ بالرحلة الفضائية الثالثة بواسطة رائد الفضاء « جلين » .

وتوالت بعد ذلك الرحلات الأمريكية وفقا لبرنامج « ميركورى » بينما لم يتوقف الاتحاد السوفيتى عن تسجيل انتصارات نوعية فى

الحياة داخل سفينة فضاء

رائد الفضاء

كيف يأكل وينام ويستحم ؟



رائدا فضاء مقيدان بحركة محدودة في السفينة سويوز

الفضاء بواسطة سفن الفضاء من طراز « فوستوك » أي (الشرق) فقد توالى صعود رواد الفضاء « تيتوف » و « نيكولاييف » و « بوبوفيتش » و « بيكوفسكي » و « فالنتينا » بسفنهم في رحلات متلاحقة ، وتحقق خلال هذه الرحلات القصيرة دراسة آثار انعدام الوزن وامكانات النوم وتناول الطعام والشراب في الفضاء الى جانب القيام بتشغيل الأجهزة العلمية في هذه السفن والتحكم في قيادتها لتغيير مداراتها والتحكم في سرعاتها أثناء الهبوط . وبالاضافة الى ذلك التحكم في قيادتها لمتابعة بعضها البعض على نفس المدار . فقد عمد السوفييت الى اطلاق السفينتين « فوستوك ٣ ، ٤ » في يومين متتاليين وارتفعتا الى مدار واحد ، وظلت السفينة الثانية تلاحق الأولى حتى لم يكن يفصلهما غير مسافة أقل من خمسة كيلومترات . وتكرر نفس الأمر بين السفينتين « فوستوك ٥ ، ٦ » . وذلك تمهيدا لعمليات الالتحام بين سفينتين في الفضاء .

تطور سفن الفضاء المأهولة

ثم تطورت الرحلات الفضائية الأمريكية والسوفيتية بفضل تطور تصنيع سفن الفضاء التي صممت لكي تحمل رائدين ، وبدأت مدد الرحلات تطول وتصبح أياما بدلا من الساعات بل ان بعضها طال حتى بلغ أسبوعين . كما سبح كثير من الرواد خارج سفنهم . كل ذلك أضاف بعدا جديدا الى الانتصارات والتطبيقات الفضائية ، وبدد رهبة المجهول في الفضاء .

ومن أهم ما وفق الرواد السوفييت للقيام به السباحة خارج سفنهم . وكان أول من قام بذلك الرائد السوفيتي « ليونوف » يوم ١٨ مارس ١٩٦٥ حيث ظل لمدة عشر دقائق خارج السفينة . لايربط بها غير حبل متين من النايلون طوله يقرب من خمسة أمتار .

واعتبر ذلك بمثابة أول خطوة تمهيدية لتجميع أجزاء سفن الفضاء مستقبلا كما وفق السوفييت الى إجراء تعديل في تصميم أجهزة الضغط داخل السفن مما أدى الى إجراء تعديلات في ملابس الرواد يتيح لهم بعضا من حرية الحركة داخل السفينة .

وقد طور السوفييت برامجهم فأعلنوا عن بدء برنامج « سويوز » في أبريل ١٩٦٧ وأن هذه السفن تستطيع حمل عدد كبير من الرواد نظرا لسعة « سويوز » الى حد يسمح بوجود ستة رواد معا . ورغم أن الرحلتين الأوليين « سويوز — ١ ، سويوز — ٣ » لم تحملا غير رائد واحد . فقد تفاخر السوفييت بأن السفينة تكاد تشبه منزلا فيه مكان مخصص للعمل وآخر للراحة والنوم ومكان ثالث للخدمات والأجهزة .

العلماء يذللون المصاعب

بدأ العلماء يخططون لوضع الحلول للحفاظ على حياة رواد الفضاء داخل سفنهم ، وامكان التأقلم والعمل تحت حالة انعدام الوزن لمدد طويلة وكان هدفهم في أول الامر هو بلوغ القمر ، الذي لايبعد عنا غير بضع آلاف من الكيلومترات ، ويمكن بلوغه خلال بضعة أيام . غير أن هدفا آخر كان يسيطر عليهم أيضا ، وهو إمكان السفر الى الكواكب في المستقبل ، والذي قد يقتضي عدة شهور .

كل ذلك جعل خيالات الفنانين تسرح لتصور المحطات الدائمة في الفضاء منذ الستينات ، وكيف يعمل رواد الفضاء على تجميع أجزائها ، وكيف تجري أمور الحياة المعيشية داخلها . والحقيقة أن المحطات المدارية أصبحت نقطة ارتكاز في الفضاء يمكن أن يستريح فيها الرواد ، أو يتبادل بها أطقم الرواد قيادة سفن الفضاء ، بعد أن ترسو عليها أو تلتحم بها التحاما مؤقتا في طريق السفر ، تماما كما تفعل السفن عندما ترسو الى رصيف في ميناء . ويمكن للرواد آنذاك أن يلموا بالراحة أو يتزودوا بالصواريخ الدافعة ، أو الوقود أو الأوكسجين ، كما يمكنهم أن يأخذوا مايريدون من قطع الغيار ، أو الأجهزة العلمية أو الطعام أو الشراب أو الملابس . ومن هذه المحطات يمكنهم أن يواصلوا السفر ، الى مسافات أبعد غورا في الفضاء حتى يبلغوا الكواكب .

من ذلك يمكننا تصور أن الطريق الى الكواكب خطط له العلماء ليتم على مراحل أو على قفزات من محطة فضائية الى أخرى . ويمكننا كذلك أن نتصور دورا آخر لهذه المحطات حيث يمكن أن يقدم العون الفني والمادي لرواد الفضاء وحيث يمكن أن تعمل أجهزة المتابعة للرحلة الطويلة ، وأجهزة مراقبة لسلامتها .

من هنا يمكن القول بأن حلقات التفكير في المحطات المدارية توالت واحدة إثر الأخرى . غير أن الأهم من ذلك أن القدرات البشرية كذلك كانت محل التجربة أيضا . ومن التجارب الفريدة إقامة ثلاثة رواد للفضاء عاما كاملا داخل زنزانة فضائية على الأرض ، وقد تمت هذه التجربة السوفيتية داخل « محاكي فضائي » أي « مقلد » تصطنع فيه الظروف لتكون شبيهة بتلك الظروف التي يلاقيها الرواد داخل سفنهم ، من حيث الحرارة والضغط والسعة والضوء ، وحيث توضع نفس الأجهزة والمعدات والأدوات التي يستخدمها الرواد داخل سفن الفضاء .

ولقد استمرت عاما كاملا بواسطة ثلاثة رواد ذوى تخصصات مختلفة حيث بدأت فى نوفمبر ١٩٦٧ وانتهت فى ٤ نوفمبر من العام التالى ولم يعلن عن نتائجها إلا عام ١٩٦٩ .

وكان فرسان التجربة هم المهندس « أوليشيف » والكيماوى « بوجكو » والطبيب « ماندفيتسيف » وقد وكل الى المهندس تشغيل الاجـهـزة واصلاحـهـا . واجراء التجارب العلمية بمشاركة زميله الكيماوى . بينما قام الطبيب بإجراء الفحوص الطبية والتجارب المتعلقة بها على زميليه .

ولقد كان الغرض الأساسى من التجربة ، هو قياس قدرات تحمل الرواد للبقاء داخل السفينة الفضائية مددا طويلة تحت ظروف العزلة فى الفضاء وتناول أطعمة ومشروبات ذات تجهيز خاص وبكميات محدودة .

ومن الأمور التى استحدثت خلال هذه التجربة ، استخلاص الماء من العرق الذى يفرزه الجلد ، وإعادة تكرير البول لاستخلاص الماء منه ، واستنبات بعض الطحالب الفنية بالبروتينات بدون استخدام تربة بطريقة كيمـاويـة جـديـدة هـى طـريـقـة « الهيدروكربونيكس » .

وقد انتهت التجربة ، وأسفرت نتائجها الظاهرية عن فقد المهندس لأربعة كيلوجرامات من وزنه ، بينما أصيب الكيماوى بلوثة عقلية ، وبقى الطبيب طبيعيا ، وظلت نتائج التجربة العلمية محلا للتحليل حتى عام ١٩٦٩ ، عندما كشف عن بعضها النقاب .

الحركة داخل سفينة الفضاء

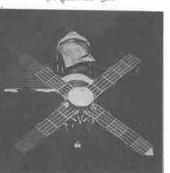
فى رحلات الفضاء المبكرة التى اتسمت بالقصر ، لم يكن رائد الفضاء يستطيع فكاكا من مقعد القيادة طوال الرحلة . وعندما طالت مدد الرحلات وازدوجت قيادتها بوجود رائدين كمثل رحلات « جـيمينى » الأمريكية و « سويوز » السوفيتية ، أصبحت حركة رائد الفضاء محدودة وقاصرة على ثنى مقعد القيادة الى الخلف لكى يستريح فى وضع الاستلقاء على الظهر فقط ، لأن مقصورة القيادة لم تكن تسمح بأكثر من ذلك .

وفى رحلات « أبوللو » الأمريكية والتى كان يقودها ثلاثة رواد كانت الحركة محدودة للغاية لأن قمرة القيادة لم تكن متسعة وإن كانت مكونة من طابقين .

ولتحقيق انتقال رائد الفضاء من مقصورة القيادة الى المركبة القمرية ، التى كان يهبط بها اثنان على سطح القمر ، كان ذلك يقتضى الانتقال زحفا عبر انبوب يصل بين السفينة والمركبة . وخلال كل هذه الرحلات كانت حالة انعدام الوزن تؤثر على أجسام الرواد بعيدا عن قوى التثاقل بالجاذبية التى تحكم كل لحظات حياتنا وحركتنا على الأرض . إذ تسود حالة انعدام الوزن بعد الإفلات من الجاذبية الأرضية ، ولا يقتصر تأثيرها على أجسام الرواد فحسب ، بل أيضا على كل ماق داخل السفينة .

فلو أفلت قلم مثلا من يد رائد الفضاء فانه يسبح فى الفراغ الداخلى للسفينة ويظل معلقا ويتمايل وفقا لحركة السفينة . ولو سقطت نقطة ماء من فم رائد الفضاء وهو يشرب ، فمصيرها أن تسبح فى فراغ السفينة الداخلى حتى تصطدم بأحد جدرانها أو تعلق بأى جسم داخلها . ومن ثم فعندما كبر حجم سفن الفضاء ، وأصبح ممكنا أن يتحرك رواد الفضاء ويتنقلوا من مكان الى آخر داخلها ، أصبح لزاماً أن تتم هذه الحركة وفقاً لقواعد مدروسة وإلا فإن رأس رائد الفضاء يمكن أن تصطدم بجدران السفينة ، أو أن يجد وضعه قد تشقلب خلال ثوان وأصبح رأسه مكان قدميه ، دون أدنى تحكم منه .

ولذلك كان الرواد يتمرنون على الأرض لمدد طويلة للعمل تحت حالة انعدام الوزن فى ظروف صناعية تصطنع داخل محاكيات ، أى فى ظروف تخلق حالة انعدام الوزن صناعيا . وكان ذلك يتم داخل طائرات مكسوة من الداخل بطبقات اسفنجية ، وتنقض هذه الطائرات من ارتفاعات وبسرعات عالية ثم تزيد ارتفاعاتها فجائيا . فتمر على الرواد لحظات تحت حالة انعدام الوزن يفقدون فيها أوضاعهم المعتادة داخل الطائرة ويجدون أنفسهم سابحين داخلها .



معمل الفضاء سكاي لاب

ولذلك فعندما طار معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » عام ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ وكان يعادل فى حجمه منزلا مكونا من خمس حجرات ، كانت حركة رواد الفضاء داخله لابد أن تكون محسوبة وكان انتقالهم من مكان العمل الى مكان الراحة أو الى مكان النوم يتم وفقا للتمارين التى تمرسوا على أدائها على الأرض . ولقد كانت أحذيتهم ممغنطة بحيث تسمح بانجذابها الى الفواصل التى تمثل قاع الغرف المقسمة داخل السفينة والتى كانت تتكون من شباك معدنية . وزيادة فى الحيطة كانت أحذية الرواد مزودة بخطاف فى المقدمة يسمح بالتعلق فى الفجوات التى بين فتحات الشباك التى تمثل قاع السفينة . هذا بالاضافة الى إمكانهم الإمساك بقضبان كانت تمتد فى كل مكان بالسفينة فى مستوى الأيدى للقبض عليها أثناء الحركة . كل ذلك كان يساعد الرواد على عدم الطفو داخل السفينة .

ولنا أن نتصور كيف تكون وظائف أعضاء الجسم تحت حالة انعدام الوزن . فقلب رائد الفضاء يضخ الدم الى كل الأطراف والأعضاء ، وفى غيبة الجاذبية الأرضية يضخ القلب مقادير متساوية الى القدمين كمثل تلك التى يضخها الى المخ ، على خلاف مايحدث على الأرض ، ولذلك فان الدورة الدموية لرواد الفضاء يعتريها كثير من التغيير . وبعد بدء الطيران الكونى بساعات يكون الاجهاد كله مركزا على القلب . ولذلك فإن عضلات الرواد تتعرض لبعض الارتخاء بعد رحلات الفضاء الطويلة كما أن قلوبهم يصيبها بعض التضخم ، وفضلا عن ذلك فقد وجد أن نسبة ترسيب الكالسيوم فى عظامهم ينتابها بعض الخلل . كما أن إفرازات الغدد فى أجسـامـهـم تتعرض لكثير من التغيرات . بل وجد أن أطوال أجسامهم أيضا تتغير وتزداد طولا بضع سنتيمترات . ولذلك وجدت فى سفن الفضاء الفسيحة ، التى اضطر الرواد للبقاء فيها مددا طويلة ، كما حدث فى معمل الفضاء « سكاى لاب » دراجات مثبتة لتنشيط الدورة الدموية للرواد . وكانوا كلما أحس أحدهم ببرودة أطرافه ، دليلا على عدم وصول الدم إليها ، فانه يعمد الى تنشيط دورته بالتريض فوق الدراجة . وفى بعض الرحلات ، كما حدث فى المحطات المدارية السوفيتية « ساليوت » ، كانت عندما تتساقط بعض قطرات المياه من كوب يشرب منه رائد الفضاء ، أو تفلت من يده فرشة أسنان فانها تسبح فى السفينة ، معلقة فى فراغها حتى يمسك بها أحدهم أو حتى تلتصق بجدران

الحياة داخل سفينة فضاء

رائد الفضاء

كيف يأكل وينام ويستحم ؟



تنشيط الدورة الدموية بدراجة ثابتة

السفينة . كل ذلك يرسم عالما غريبا لا عهد لنا به على الأرض .

ملابس رواد الفضاء

ان غياب الجاذبية الأرضية في سفن الفضاء لايعني صعوبة الحركة وحدها لأن الأهم من ذلك أن السرعات العالية جدا التي تتحرك بها السفينة نفسها تشكل إجهادا يقع على جسم رائد الفضاء ، ومع السرعة العالية تطرأ تغيرات فسيولوجية تحد من قدرته الذهنية والبدنية نظرا لاضطراب الدورة الدموية ويتمثل ذلك في تغير أوضاع العينين واختلال نطاق السمع واضطراب الإشارات المنعكسة الى المخ ، فضلا عن اختلال التوافق التلقائي لعضلات الجسم مع إشارات المخ .

ولقد عرفت هذه التأثيرات في الطيران النفاث وتم التغلب عليها في نطاق السرعات فوق الصوتية التي مازالت لم تتجاوز كثيرا ضعف سرعة الصوت وذلك باستخدام ملابس خاصة للطيارين في الطائرات .

أما بالنسبة لرواد الفضاء ، فقد تضاعف الاجهاد البدني إذ لم تعد زيادة السرعة في نطاق ضعف سرعة الصوت بل تجاوزته الى أضعاف ذلك بكثير ، ولذلك تطورت أيضا ملابس رواد الفضاء .

وأهم مايميز هذه الملابس أنها طبقات فوق بعضها للحفاظ على الحرارة ، وللوقاية من الاشعاع ، ولتوفير المكان لدفع أجهزة القياس التي يلتصق بعضها بأجسام الرواد وخاصة المتعلق منها بالأجهزة الطبية . ولقد كانت ملابس رواد الفضاء في الماضي ، ذات وصلات تُربط أجزاؤها ، ثم اختفت هذه الوصلات لتوفير مرونة الحركة . وفي الرحلات السوفيتية الأخيرة أصبح الرواد يستخدمون ملابس شبه عادية كمثل تلك المستخدمة على الأرض ، ولا يزيد عليها إلا غطاء الرأس المميز الذي يقي رؤوس الرواد من الاصطدام بجوانب السفينة ويوصل الاشارات اللاسلكية المتبادلة مع الأرض . وذلك اعتمادا على تكييف وحفظ درجة حرارة السفن من الداخل .

وتميزت ملابس رواد الفضاء الذين هبطوا على سطح القمر بتعدد طبقاتها ، إذ بلغت سبع طبقات في بعض الرحلات وزادت الى خمس عشرة طبقة في أخرى للوقاية من الاشعاعات والحفاظ على درجة حرارة الجسم . وفي الرحلات التي طالت لعدة أسابيع ، كمثل رحلات معمل الفضاء الأمريكي ، سكاي لاب ، الذي ظل ثلاثة رواد بداخله ٨٤ يوما ، وكذلك رواد المحطة المدارية السوفيتية ، ساليوت ٧ ، الذين مكثوا بها ٢٣٤ يوما ، كان لابد أن يعدل الرواد ملابسهم الداخلية . ولذلك وضعت أطقم من الملابس داخل خزانات في معمل ، سكاي لاب ، . واستحدث السوفييت طريقة جديدة تمثلت في التحام شاحنات فضائية من طراز « بروجريس » كانت تحمل للرواد المؤن والملابس والعتاد ، وتعود بما هو زائد عن استخدامهم .

أطباق شهية في الفضاء

تخضع عملية انتقاء أطعمة رواد الفضاء ، لقواعد علمية وصحية ، ومن أهمها توفير السعرات الحرارية اللازمة لما يتحملونه من جهد بدني ، وخلوها من الألياف السليولوزية التي تخلف كثيرا من الفضلات ، وفي رحلات الفضاء المبكرة والقصيرة كان طعام الرواد ، مؤنيا ، أي يوضع كله داخل أنابيب كمعجون تنظيف الأسنان ليسهل امتصاصه بالفم أثناء جلوس الرواد فوق مقاعدهم . ثم تطورت

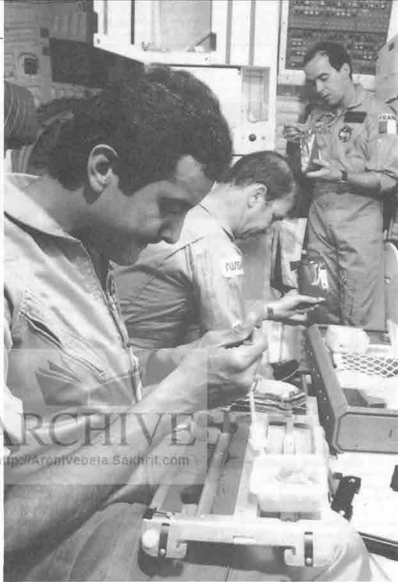
قطرات الماء ، ولذلك يدخل رائد الفضاء عندما يستحم داخل أسطوانة تشبه البرميل الذى يحيط بجدرانه من الداخل شبكة من الأنابيب المثقبة لينفث منها الماء فى كل اتجاه فيغسل الجسم .

رائد الفضاء ينام داخل دولاب

عندما نفكر فى نوم رائد الفضاء فقد يتطرق بنا الخيال عن كيف يكون مصير سفينة الفضاء أثناء هذه الساعات . والحقيقة أن الرحلات الأولى تمت كلها كذلك .

عندما ينام رائد الفضاء ، فانه يترك قيادة السفينة للحواكم الآلية . ولكن فى سفن الفضاء التى بها أكثر من رائد ، فانهم يتناوبون النوم والقيادة . وينام رواد الفضاء ويستيقظون بتعليمات من الأرض وفق جدول زمنى ، لأنه فى الفضاء لاتقلب لليل أو نهار . فالفضاء كله ظلام والسفينة تسبح فى خضم دامس السواد تترصع فيه النجوم فى كل اتجاه وتبدو وكأنها بقع مضيئة تامة الاستدارة .

وعندما ينام رائد الفضاء فهو ليس فى حاجة الى أغطية تقيه البرد فجو السفينة مكيف ، وكل حاجته تتمثل فى الحفاظ على جسمه حتى لايطير . وفى الرحلات المبكرة كان الرواد ينامون داخل السفن الضيقة بثنى مقعد القيادة والاستلقاء فى وضع الامتداد ، ولكن عندما جهزت سفن الفضاء بأماكن مخصصة للنوم ، أصبح سرير رائد الفضاء يتمثل فى (دولاب) يدخله عندما يريد النوم ، وكل مايفعله هو أن يثبت بعض الأشرطة حول جسمه حتى يثبته الى جدار ثابت فى السفينة لكى لايطير سابحا . ووضع الاستلقاء فى الفضاء ليس ضروريا لأنه لا وجود للمستوى الأفقى أو الرأسى فى الفضاء ، فهذه اتجاهات ترتبط بالأرض وحدها ، وعندما تحلق السفينة فى الفضاء فانها تتحرر من هذه الاتجاهات . وينام الرائد لكى يعطى الفرصة لخلايا الجسم والمخ ان تتجدد وتستريح . ولكن الاعتماد فى وصول الدم الى كل الأعضاء يتوقف خلال الرحلة كلها على عملية الضخ من القلب .



مائدة طعام رائد الفضاء

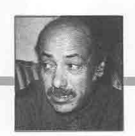
الأطعمة وأصبحت تقدم فى صورة عجائن أى طعام مهروس يمكن تسخينه . ثم تطورت أطباق الأطعمة الفضائية وأصبحت شبه عادية كالتى نتناولها على الأرض ، اللهم إلاّ مع الاقلال من الأطعمة التى تسبب الغازات والمخلفات كبعض البقول ومنتجات الألبان . وفى الرحلات الطويلة ، تمثلت المصاعب فى كيفية حفظ الطعام فى حالة تجمد داخل ثلاجات كبيرة وأصبحت الحاجة ماسة الى وجود مستودعات كبيرة داخل السفن لحفظ الطعام والمشروبات والمعلبات . واليوم يتناول رواد الفضاء فى سفنهم أطعمة لاتختلف كثيرا عما يتناولونه فى منازلهم ، بعد تسخينها فوق مواقد تعمل بالكهرباء أو الاشعاع ، ولا تمثل عملية التخلص اليومى من فضلات الجسم أية مصاعب حاليا ، لأن سفن الفضاء مجهزة بدورات مياه وحمامات يتنظف بها الرواد . وفى الرحلات الأولى كان ذلك يتم داخل أكياس ، ثم تطور الأمر وأصبح مماثلا لما يتم على الأرض تقريبا .

غير أن عملية الاستحمام داخل السفينة ، تصاحبها كثير من الاحتياطات لعدم تناثر

سعد شعبان

هوامــش

- المهندس سعد شعبان :
- عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس .
- عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى بالقاهرة .



عن المقرئين وتلاوة القرآن

بقلم : محمود السعدني

.. وكان صوته سيّد الأصوات

الحلقة الثانية

شهد مطلع القرن الحالي نهضة لم يسبق لها مثيل في فن الطرب والغناء ، كان هناك الشيخ سلامة حجازي وعبده الحامولي ومحمد عثمان ثم ظهر أعظمهم سيد درويش ولم يكن في مصر راديو ، وكانت السهرات وقفا على العمد والأعيان وتجار القطن ، وكانت لياليهم يحييها المنشدون ، وهم جماعة من المشايخ كانوا أحياناً يرتلون القرآن ، وأحياناً ينشدون التواشيح ، وأحياناً يرفعون عقيرتهم بالغناء .

وفجأة برز إلى الوجود رجل معمم ، يرتل القرآن بصوت لم يكن مألوفاً من قبل ، صوت فيه تطريب وفيه حلاوة وفيه طلاوة .. وكان صاحب الصوت اسمه الشيخ أحمد ندا . وعندما ظهر الشيخ ندا أصبح له جمهور كبير ، وارتفع أجر الشيخ ندا من جنيه في الليلة الواحدة إلى عشرة جنيهات وعشرين وثلاثين ثم خمسين جنيهاً وهي ثروة بعملة ذلك الزمان ! وأصبح للشيخ ندا (فيتون) ككبار الملاك والأثرياء وتجار القطن والعمد المقتدرين .

كان صوته قوياً وعريضاً وعميقاً ، واقترح عليه صديقه محمد البابلي أعظم ظرفاء ذلك الزمان أن يجرب حظه في الغناء ، ولو أخذ الشيخ أحمد ندا بنصيحة صديقه محمد البابلي لنافس سي عبده الحامولي وسي محمد عثمان . ولكن أحمد ندا الذي كان يقرأ القرآن عاشقا في الدرجة الأولى ، رفض اقتراح البابلي وظل محافظاً على موقعه كمقرئ للقرآن . وكان يرحمه الله مفتوناً بصوته ، وكان يحلو له عندما يخلو إلى نفسه أن يستمع إلى صوته مسجلاً على اسطوانة ، ثم لايجد حرجاً بعد ذلك في إثراء صوته العبقري ، وكان أحيانا ينحني على الأسطوانة فيقبلها مزهواً سعيداً ثم يهتف (ياحلاوتك ياشيخ أحمد) .

وكان شديد الاعتزاز بفنه وبنفسه معاً حدث مرة أن دعاه أحد عمد الريف ليحيي ليالي المأتم في إحدى قرى مركز دسوق وكان الميت رجلاً من الأثرياء المشاهير وكان صاحب عزوة في منطقته وله سطوة ونفوذ . وفي أول ليلة من ليالي المأتم وبعد أن انتهى الشيخ أحمد ندا من قراءة الفترة الأولى التي امتدت بعد صلاة العشاء وحتى العاشرة مساء دعاه صاحب الدار إلى تناول طعام العشاء . ونهض الشيخ وصاحب الدار يتقدمه إلى حيث مدت مائدة العشاء وكانت حافلة بكل مالذ وطاب من خيرات الريف . ولكن الشيخ لاحظ وجود مائدتين للعشاء التف حول الأولى كبار رجال الإدارة وأصحاب الرتب الكبيرة من ضباط

الشرطة والعمد والأعيان ، بينما يجلس على المائدة الأخرى بعض الفلاحين من أقارب الميت وبعض الطفيليين الذين ربما حضروا للعشاء وليس للعزاء ولاحظ الشيخ أن صاحب الدار أجلسه على المائدة التي تضم العاديين والطفيليين من الناس فاستأذن الشيخ في غسل يديه قبل تناول الطعام .

وغاب الشيخ طويلاً وظل الضيوف في انتظار حضور الشيخ ، ولما طالت غيبته بحثوا عنه دون جدوى في كل مكان ، واكتشفوا في النهاية ، أن الشيخ انسحب من الدار ومن القرية كلها وقصد إلى دسوق ونزل في بيت أحد الأصدقاء وانتقل أقارب الميت إلى حيث يقيم الشيخ في دسوق ، وعبثاً حاولوا إقناعه بالعودة ولكنه رفض ، وقال الشيخ لمن حاوروه في أمر العودة لإحياء ليالي المأتم كما اتفق ، إن الإهانة التي لحقت به لا يمحوها إلا الانسحاب ، وإن على أصحاب المأتم أن يدركوا بوضوح أن مكان الشيخ الحقيقي هو على رأس المائدة التي تضم علية القوم وكبار العمد والأعيان ، وأن العهد الذي كان يعتبر المقرئين من صنف المتسولين قد مضى إلى غير عودة !

ولكن بقيت هناك مشكلة حلها الشيخ بطريقته ، فقد كان الشيخ قد قبض مقدماً مبلغ مائة جنيه ذهباً عن أجره لإحياء ليلة المأتم فقام بردها على الفور ، وتبرع بمثلها لفقراء دسوق .

وحدث مرة أن دعي الشيخ إلى إحياء ليلة مأتم في حي الزيتون واكتشف عند ذهابه إلى مكان المأتم أن السيدة التي توفيت إلى رحمة الله تسكن في قصر كبير تحوطه بساتين ومزارع على مساحة أربعين فداناً ، وقبل أن يصعد الشيخ إلى الدكة سأل أحد مريديه وكان قد حضر مبكراً ليكون في استقبال الشيخ وليحظى بسماعه ، سأله الشيخ عن السيدة المتوفاة فأجابه بأنها مغنية وراقصة مشهورة كانت أثيرة لدى السلطان ، عندئذ طلب الشيخ من الحاضرين أن يدلوه على الميضة لكي يتوضأ . ثم غافل الجميع وخرج من قصر السيدة التي كانت أثيرة لدى السلطان !

وذات مساء وكان الشيخ أحمد ندا يستعد للتوجه إلى سرادق فخيم أعد في حي شبرا احتفالاً بذكرى الأربعين لوفاة أحد كبار التجار ، وبينما الشيخ يتأهب للخروج جاءه صديق عزيز لديه ، وأبلغه بأن عجوزاً تسكن في حي بولاق توفيت صباح ذلك اليوم وتركت وصية واحدة هي أن يقرأ الشيخ أحمد ندا في مأتمها وأنها لاترجو شيئاً إلا أن تسمع صوته وهي في قبرها كي تهدأ وتستريح !

وغير الشيخ أحمد ندا اتجاهه وذهب مع صديقه إلى حي بولاق وقرأ القرآن في مأتم السيدة العجوز وعلى دكة بائسة في حارة ضيقة أكثر بؤساً من الدكة وعندما سمع الناس في بولاق نبأ وصول الشيخ أحمد ندا لإحياء مأتم السيدة العجوز ، هرع المئات والألوف إلى حيث أقيم المأتم ولم يغادر الشيخ مكانه إلا في الصباح ، وتبرع لأهل الميتة بما جادت به نفسه الكريمة التي اعتادت على العطاء !

حدث مرة أن دعي الشيخ ندا إلى إحياء ليالي مأتم المرحوم محمود باشا عبدالرازق ، وتم الاتفاق على مائة وخمسين جنيهاً ، وعندما انتهت ليالي المأتم الثلاث دفع الوسيط مائة جنيه فقط لاغير ، ورفض أحمد ندا أن يتنازل عن مليم واحد من المبلغ المتفق عليه . وهدد برفع الأمر للقضاء .. ولم تمض أيام قليلة حتى علم حسن باشا عبدالرازق بالأمر ، فسعى إلى الشيخ بنفسه وزاره في منزله ، وقدم له المبلغ كاملا ، ومع المبلغ اعتذاره أيضاً وأسفه على ماحدث ، ودعاه إلى حفلة في قصر الباشا كان هو ضيف الشرف فيها وحضرها أعضاء مجلس الوزراء .

وعاش الشيخ أحمد ندا حياة حافلة ، وفتح الطريق أمام الذين جاءوا من بعده ، وعندما مات خرج عشرات الألوف من الناس يشيعون جنازته . وعلى رأسهم كبار رجال الدولة وبعض ممثلي الدول الاسلامية الذين حضروا خصيصاً لتشييع جنازة الشيخ ، ورثاه حافظ إبراهيم بقصيدة من عيون الشعر ألقاها على قبره ، وكتب عنه الشيخ عبدالعزيز البشري يقول (كان صوته سيد الأصوات وأقواها ، وإنه ليكون في أعلى طبقات الصوت ليخيل إليك أن شرايين رأسه ستنفجر ، فإذا هو يحوم حول طبقة أعلى ، فلايزال يلتمس إليها الوسائل وينصب لها الشباك والحبائل ، حتى يشكلها فيرسل بها إلى عنان السماء) .

ولم يكن أحمد ندا مقرئاً للقرآن فحسب ،

لكنه كان فناناً وصديقاً لتلك الصفوة المختارة من رجال الفن والأدب والعلم الذين شهدهم مطلع هذا القرن . كان صديقاً لمحمد البابلي أعظم الظرفاء الذين شهدتهم مصر في تاريخها الطويل ، والدكتور محجوب ثابت ، والكاتب الأديب الشيخ عبدالعزيز البشري ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وكثيراً ماكان يقرأ لهم في آخر الليل ، عندما كانوا يجتمعون معاً في فيلا البابلي الأنيقة ، التي شيدها خصيصاً لأصدقائه من الفنانين والأدباء ، ولم يكن محمد البابلي إلا ظريفاً وثرياً يعشق الفن ويهوى الليل ، ولكنه كان يبكي إذا سمع الشيخ ندا يقرأ في ساعة السحر وكان بكاؤه يطول أحياناً حتى يغمى عليه .

ذات مساء كان الشيخ ندا يقرأ (وبشر الكافرين بعذاب أليم) فقام البابلي يصرخ ويبكي ، واعتكف بعد ذلك أسبوعاً لا يرى أحداً ولايراه أحد وقال البابلي ذات مرة لو عرفت الشيخ أحمد ندا في فجر شبابي لصرت واحداً من رجال الصوفية الزاهدين وكان صالح عبدالحي أشهر مطرب في زمانه يقول لو اتجه الشيخ أحمد ندا إلى الغناء لأفلس كل المطربين !

ولقد امتد العمر بالشيخ أحمد ندا وطالت أيامه على الأرض وشهد مجداً لم يشهده أحد من أقرانه من قبل ، ثم مات ـ يرحمه الله ـ بعد أن وضع حجر الأساس في بناء أسس راسخة ، وكان السبب المباشر في ازدهارها بعد ذلك ، وحتى ظهر من رجالها أعلام ذاع صيتهم وارتفع مجدهم حتى غطى على سيرة ومجد الشيخ أحمد ندا .

رحمة الله على الرجل صاحب الصوت الفريد الذي فتح الباب أمام عشرات من المقرئين العظام .

المرأة في الاسلام مكانة نبيلة أفردها لها التاريخ . ومن بين المجاهدات اللاتي تحلين بشجاعة يعجز عنها الرجال وصمود إلى جانب الحق والايمان بقضية عادلة ، السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عقيلة بني هاشم وبطلة كربلاء التي وقفت وحدها تذود عن البقية من سبط النبي صلى الله عليه وسلم .. تأسو جراح السيوف الظالمة وتلملم أشلاء الشهداء وتتجرع عذاب المحنة الخالدة دون أن يهتز إيمانها بالله ، وينتهي بها المطاف إلى أرض النيل حيث تدفن في مسجدها المعروف باسمها اليوم في قلب القاهرة .

مسجد السيدة زينب

عقيلة بني هاشم .. وبطلة كربلاء

بقلم : فاروق أباظة

زينب بنت علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء أحب بنات الرسول إليه .. من سيرتها العطرة يفوح عبق ذكي لا ينضب رغم انقضاء مئات السنين ، فهي جماع بطولة وإباء وشجاعة ونبل يتحلى بها الباحثون عن العدالة والحق بين ركام الأطماع والمظالم .. امتحنها الله بالآلام العظيمة عندما شاهدت بعينيها مصارع أنبل الشهداء من إخوتها وبنيهم وأعمامها وبني عمومتها عندما خرج شقيقها الامام الحسين إلى الكوفة يسعى إلى استرجاع حق أصيل استلبته الفئة الباغية .. خرج في فصيلة من الرجال الأحرار كل واحد منهم تختزن روحه زاداً لا ينضب من الايمان بقضية عادلة ومعهم زينب الطاهرة عقيلة بني هاشم التي جمعت المجد من أطرافه عن خير أب وأم وجد . وعندما وقعت الواقعة لم تستسلم السيدة زينب للقهر والأحزان ونجحت في تجسيم صورة المأساة لتنتقل إلى أرجاء العالم الاسلامي . وكان موقفها الأبي الشجاع سبباً وراء استيقاظ من تقاعسوا في نصرة الحق وشعورهم بالإثم الذي توارثه الأبناء عن الآباء بتخلفهم عن نصرة الحق والانتقام من قتلة الذرية الطاهرة ..

زهرة في بيت الرسول

لقد ولدت بطلة كربلاء في العام السادس من الهجرة ، وهو عام استقرارالأمر لجدها النبي الكريم . ودرجت زهرة متفتحة في بيت الرسول . وهنا يتناقل المؤرخون النبوءة التي ذاعت عند مولدها ، والتي تشير إلى دورها في مأساة كربلاء ..

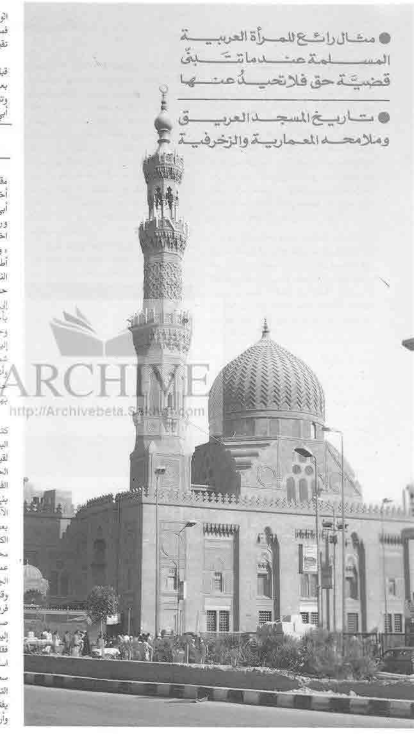
يقولون إن المأساة كانت معروفة قبل وقوعها بنصف قرن من الزمان . في سنن ابن حنبل جاء أن جبريل أخبر محمداً بمصرع الحسين وآل بيته في كربلاء كما ثبت في «كامل» ابن الأثير ما كتبه المؤرخون المسلمون عن الفاجعة المرتقبة وأن الحسين كان يعلم منذ طفولته ما قدر له وأن سلمان الفارسي عندما أقبل على علي بن أبي طالب لتهنئته بوليدته زينب ألفاه واجماً حزيناً يتحدث عما سوف تلقى ابنته في كربلاء ، وبكى أسد الاسلام وفارسه الشجاع ..

تقول بنت الشاطئ ، الدكتورة عائشة عبدالرحمن ، في رائعتها «السيدة زينب بطلة كربلاء» والتي جسدت فيها أبعاد «التراجيديا» ومسرحها على أرض العراق أن من كتاب العصر من اطمأن إلى صدق ما يروى عن تلك الظلال التي أحاطت بمولد زينب ؛ فالكاتب الهندي المسلم «محمد الحاج سالمين» يصف في الفصل الأول من كتابه «السيدة زينب» كيف استقبلت الوليدة بالدموع والهموم : ثم يمضي بعد أن ينقل بعض المرويات عن النبوءة المشئومة فيتمثل النبي العظيم وقد انحنى على حفيدته يقبلها بقلب حزين وعينين دامعتين عالماً بتلك الأيام السود التي تنتظرها وراء الحجب . ويمضي «سالمين» فيتساءل «ترى إلى أي مدى كان حزنه حين رأى بظهر الغيب تلك الذبيحة الشنعاء التي تنتظر سبطه الغالي وكم اهتز قلبه الرقيق الحاني وهو يطالع في وجه الوليدة الحلوة صورة المصير الفاجع المنتظر ؟

وتحبو زينب الطفلة الطاهرة في رحاب بيت النبوة .. زادها عطف وحنان جدها العظيم وحضن أمها الزهراء وتشب لتجد نفسها في رعاية أعظم من انجبتهم الجزيرة العربية : النبي الكريم جدها ، وأبوها فارس السيف والبيان .

ويقول عباس العقاد في كتابه «فاطمة الزهراء» : «انتظمت الحياة في مسكن علي الذي أوى إلى ظل النبي على مثال من حياة النبي في بيته عيشة كفاف وخدمة يتعاون عليها رب البيت وربته إذ كان رزق علي من وظيفة الجندي ووظيفته من فيء الجهاد وقد كان قليلاً في حياة النبي ، وهو مقصور على الجزيرة العربية . فكان نصيب علي منه أقل من أن يتسع لأجرة الخدم وكلما رزق وليداً جاءته حصته على قدر شأنه كشأن كل أب من المسلمين . وما لبث البيت الصغير أن سعد بالذرية وقد رزق الأبوان الفقيران نصيباً صالحاً من البنين والبنات : الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم . وربما شوهد النبي عليه السلام ساجداً وطفلاًمن هؤلاء الأطفال راكباً على كتفيه فيتأنى في صلاته ويطيل السجدة لكيلا يزحزحه عن مركبه . وفي احدى هذه السجدات يقول عمر بن الخطاب للطفل السعيد : نعم المطية مطيتك . وكان إذا سمع أحدهما يبكي نادى فاطمة وقال لها : ما بكاء هذا الطفل ؟ .. ألا تعلمين أن بكاءه يؤذيني» ..

وتفقد زينب جدها العظيم وهي في الخامسة عشرة وترى بعينيها كيف تتجسد الأحزان في عيني أمها فاطمة ، ويشارك أبوها في دفن الجسد الكريم ويقف على قبر الزهراء ليقول : «السلام عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة إلى جوارك والسريعة اللحاق بك . قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي . لقد استرجعت



الوديعة وأخذت الرهينة أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها تقيم ».

وكانت السيدة فاطمة الزهراء قد أوصت زينب قبل وفاتها أن ترعى أخويها وتكون لهما أماً من بعدها . وكانت للحسن والحسين وأم كلثوم أماً ، وتتزوج عقيلة بني هاشم من عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .

الخروج .. وقافلة الأحزان

وعندما استقر الأمر بمعاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الامام علي بن أبي طالب دعا معاوية جهراً إلى أخذ البيعة لابنه « يزيد » من بعده . ولكن الحسين أبى هذه البيعة وثبت عند موقفه قائلا إن يكن الأمر وراثة فليس هناك من هو أحق بها منه وإن يكن اختيارا للأصلح فمن أولى بها : ابن آكلة الأكباد « وهي هند بنت عتبة جدة يزيد بن معاوية وقد أطلق عليها هذا اللقب بعد انتقامها من حمزة عم النبي في موقعة أحد بمضغ كبده » . أم الأولى بها حفيد الرسول الكريم ؟ وعندما استخلف يزيد بعث إلى أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بأخذ البيعة من الحسين . ورفض سبط رسول الله وخرج بأهله من المدينة قاصداً الكوفة بعد أن سبقه إليها ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليجمع شمل المسلمين هناك ضد يزيد المغتصب للخلافة . وأشفق بنو هاشم على آل البيت وتوسلوا للحسين حتى لا يخرج بأهله ، ولكنه كصاحب قضية يؤمن بها تمسك بموقفه .

يقول الكاتب الاسلامي خالد محمد خالد في كتابه « أبناء الرسول في كربلاء » : « .. ومضى البطل إلى غايته وأخذت النذر تلقاه على الطريق .. لقيه « الفرزدق » الشاعر قادماً من الكوفة وسأله الحسين « كيف تركت الناس من ورائك ؟ » فأجابه الفرزدق : « تركتهم قلوبهم معك .. وسيوفهم مع بني أمية » لكن البطل العظيم لا يزيد على أن يتلو الآية الكريمة (لله الأمر من قبل ومن بعد) .. وكان ابن زياد والي يزيد قد فرض حول الكوفة حصاراً محكماً فلا يخرج من أهلها أحد مخافة أن ينضموا لقافلة الحسين .. وزحف جيش عمر بن سعد لملاقاتها ، وسمعت زينب ضجة الجيش الزاحف فاقتربت من شقيقها في رفق وقالت : يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت ؟ فرفع الحسين رأسه وقال « إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في المنام وقال لي إنك تروح إلينا . فلطمت الأخت وجهها وصاحت يا ويلتاه ! فقال الحسين : « ليس لك الويل يا أخية .. اسكتي رحمك الله » .وطلب الحسين من عمر بن سعد إرجاء القتال ليجعل أهله وأصحابه في حل من التزاماتهم تجاهه . ولكنهم هبوا جميعا لبيعته يفتدونه برقابهم . اثنان وسبعون بطلاً مع الحسين وأربعة آلاف في جيش عمر بن سعد . لم يكن

أصحاب الحسين يتعجلون النصر، إنما كانوا يتعجلون الجنة . وتقدم آل بيت الحسين .. لم يعد الذي يضنيهم الظمأ إلى الماء الذي حرمهم منه الطغاة بل الظمأ إلى الشهادة .. كان أولهم انطلاقاً علي بن الحسين يتوسط حراب الأعداء وسيوفهم وهو ينشد :

أنـــا علي بـــن الحسيـــن بـــن علي
نحـــن ورب البيت أولى بـــالنبـــي
تـــالله لا يحكم فينـــا ابـــن الـــدعي

ويمضي ليضرب رقاب الطغاة حتى تصيبه طعنة رمح فيقع على الأرض . ولاتكاد الطاهرة زينب بنت علي تبصر جثمان ابن أخيها حتى تعلو زفرات أساها . وانكبت على الأشلاء الطاهرة تضمخها بدموعها وشجونها . وأثر في البطل مشهد أخته فسار إليها يسألها الصبر ويقودها في رفق إلى خبائها .. ويواجه الحسين أعداءه في جولة أخيرة وتقع ضربة سيف على رأسه فتدميه .. وتخرج زينب من خدرها فترى أخاها وحيداً بين الوحوش . ويضرع إليها كي تعود إلى مكانها .. ويتقدم « شمر بن ذي الجوشن » ليجتز رأس البطل ثم يحتفظ به ليحمله هدية إلى ابن زياد .

يقول علي بن الحسين آخر من بقي بعد مأساة كربلاء من آل بنت الرسول إن عمته زينب اقتربت من الحسين وهو مثخن بالجراح في ساعة المعركة وهي تصرخ .. واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! فنظر إليها الحسين عليه السلام ملياً وقال لها « يا أخية لايذهبن بحلمك الشيطان : اتقي الله وتعزي بالله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجهه . أبي خير مني ، وأمي خير مني : يا أخية أقسم عليك ألا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور إن أنا أهلكت ..

وصمدت زينب في ساحة كربلاء إلى جانب المريض تمرضه والمحتضر تواسيه والشهيد تبكيه .. وعندما توجه بها الجند إلى الكوفة ورأت أهلها يبكون عندما مر الركب الحزين أمامهم قالت لهم زينب « أتبكون فلا سكتت العبرة .. أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشنارها .. أتدرون أي كبد فريتم وأي دم سفكتم لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات ينفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدا » ..

وتدخل زينب بيت الامارة في الكوفة أسيرة .. ولكنها تلوذ بكل كبريائها وقوتها وعزتها وعراقة محتدها لكي تقف الموقف الجدير بحفيدة رسول الله . تقدمت الموكب في مهابة وجلال وأخذت مجلسها دون أن تلتفت لزياد الطاغية أو تأخذ منه الاذن بالجلوس وسأل عنها وهي لا تجيب ترفعاً واحتقاراً له وأجابت واحدة من إمائها .. هذه زينب ابنة فاطمة فرد ابن زياد « الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم » وردت عليه بثبات وشجاعة « الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيراً لا كما تقول أنت . إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله » .. فرد عنها بصره واستقرت عيناه على علي الأصغر بن الحسين فأنكر بقاءه حياً فأمر به ابن زياد أن يقتل فاحتضنته عمته زينب وآلت عليه ليدعن الغلام أو فليقتلها معه فتأملها ابن زياد وانثنى يقول لأصحابه « عجباً للرحم .. والله إني لأظنها ودت لو أني قتلتها معه .. دعوا الغلام ينطلق مع نسائه »

وسيق الموكب مرة أخرى إلى دمشق .. وكشف يزيد عن رؤوس الشهداء وانثنى يعبث بقضيب من يده بثنايا الإمام الحسين فبكت نساء بني هاشم إلا زينب التي انتفضت في شموخ وكبرياء لتقول ليزيد .. أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكنان السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هواناً على الله؟ وأن بك عليه كرامة ؟ وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والأمور متسقة عليك ؟ إن الله إن أمهلك فهو قوله « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم . إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ! » وضاق يزيد بمرأى زينب وهزه ما سمع منها فأشاح بوجهه وهو يشير إليها وإلى النساء معها أن يخرجن إلى داره ..



● وحـــدهـــا فـوق ســاحة الـــدّم .. تـأسـو جـراح السـيوف الظـالمـة وتـلـمّ أشـلاء الشـهداء

● كـيف اسـتقبلت أرض النـيل شـقيقة وأم الشـهداء بعـد أن عاشـت آلام المـحنـة ؟

وعاد الركب الحزين إلى المدينة في مشهد فاجع وأرادت السيدة زينب أن تقضي ما بقي لها من أيام العمر إلى جوار جدها الرسول ولكن وجودها كان كافياً كي يؤلب الناس على طغمة البغي وكتب الوالي عمرو بن سعيد الأشدق إلى الخليفة يزيد : ان وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر ، وانها فصيحة عاقلة لبيبة وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين .

المثوى الأخير

ورحلت بطلة كربلاء إلى مصر في عام ٦١ هـ .. وصلت إلى أرض النيل وعند قرية قرب مدينة بلبيس في اقليم الشرقية كان ينتظرها « مسلمة بن مخلد الأنصاري » والي مصر ومعه وفد من أعيان البلاد وعلمائها خرجوا للقاء بنت الزهراء والامام علي وشقيقة الحسين الشهيد . وعندما أطلت عليهم وقد اكتست ملامحها بآلام الاستشهاد أجهشوا وأحاطوا بالبكاء. بركبها حتى بلغت العاصمة ،

ومضى بها مسلمة إلى داره فأقامت بها قرابة عام لم تر خلاله إلا عابدة متبتلة زاهدة .. وماتت عقيلة بني هاشم عشية يوم الأحد لأربع وعشرين مضين من رجب عام ٦٢ هـ ومهدت لها الأرض الطيبة مرقداً حيث كان مخدعها في دار مسلمة التي كانت تطل على الخليج الذي يخرج من النيل في المكان الذي عرف باسم فم الخليج .. يقول علي مبارك في كتابه « الخطط التوفيقية » : عرف هذا الشارع بشارع السيدة زينب نسبة إلى سيدة الطاهرات السيدة زينب بنت الامام على وضريحها داخل الجامع الشهير بالزينبي تجاه قناطر السباع وجدده الأمير علي باشا الوزير المتولي سنة خمس وخمسين وتسعمائة . ثم في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف جدده ووسعه الأمير عبدالرحمن كتخدا .. وهو عامر إلى الآن وشعائره مقامة إلى الغاية ويعمل به حضرة للسيدة رضي الله عنها كل ليلة أحد ؛



صورة للمسجد من الداخل

ومقرأة كل ليلة أربعاء وقد صار الآن تجديده وتنظيمه من جهة وزارة الأوقاف ..

وبعد كشف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر أصبح يطلق على الميدان وعلى الحي بأكمله اسم « السيدة زينب » . أما بالنسبة للمسجد القائم في الوقت الحاضر فقد شيدته وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ م . ويتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما مستطيل . وقد قامت وزارة الأوقاف بعد ذلك باضافة مساحة تبلغ ١٧ في ٣٢ متراً إلى المسجد الأصلي .. وعادت وزارة الأوقاف فأضافت مساحة ثانية مماثلة تماماً للمسجد الأصلي بحيث أصبحت الاضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة ومن أجل ذلك عمل في منتصف التوسيع الأول محراب يتوسط المسجد الجديد مع الابقاء على المحراب القديم . وتبلغ مساحة المسجد وملحقاته حالياً ٧٠٠٠ متر مربع وتطل واجهته الرئيسية على ميدان السيدة زينب وفي هذه الواجهة ثلاثة أبواب تؤدي إلى المسجد مباشرة . وقد زينت تلك الأبواب من كل جوانبها وفي مستوى قامة الانسان بآيات من القرآن الكريم منقوشة على الحجر كما زينت على الأبواب بأبيات من الشعر وعلى جانبي الباب الشرقي للمسجد والمواجهة للميدان وأقرب الأبواب إلى المحراب نقرأ الآيات الشريفة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، « ولله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير » .. وعلى جانبي الباب الأوسط المواجه للميدان نقرأ الآية الشريفة « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن يقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين » وكذلك كتب لفظ الجلالة على الجزء الأعلى من هذا الباب .. أما الباب الغربي ويعرف بباب الطرقة فقد كتب عليه « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » ..

وتقوم المئذنة على يسار الباب المسمى بباب العتريس وقد كتبت على جانبي هذا الباب الآية الكريمة « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

وتعتبر مئذنة السيدة زينب تحفة فنية معمارية فريدة من نوعها بما تضمه من زخارف ونقوش عربية بديعة وترتفع هذه المئذنة عن سطح الأرض بما يقرب من ٤٥ متراً وبها شرفات ثلاث تحيط بها . وعلى الجدران الخاصة بها نقرأ هذه الآيات المباركة « .. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما . يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما » .

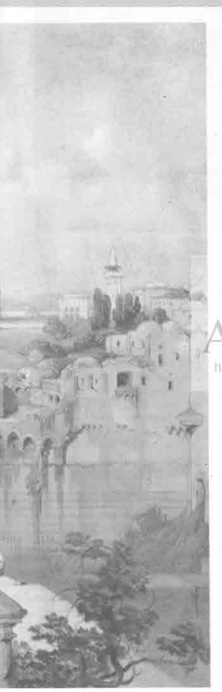
ويوجد سور من الحديد يحيط بالركن الغربي البحري للمسجد تقع بداخله قبتان صغيرتان ملتصقتان محمولتان على ستة أعمدة رخامية بواسطة سبعة عقود وتقع الواجهة القريبة للمسجد على شارع السد وبها مدخلان . ولمسجد السيدة زينب واجهتان أخريان إحداهما على شارع العتريس وهي الواجهة الشرقية وبها مدخل يؤدي إلى المكتبة وقاعة الاطلاع وباقي ملحقات المسجد الأخرى تطل على الفناء الواقع بين دورة المياه الخاصة بالمسجد والجدار البحري للمسجد الزعفراني وقد أنشئت واجهات المسجد ومناراته على الطراز المملوكي وكلها حافلة بالزخارف العربية والمقرنصات والكتابات . ومسجد السيدة زينب مسقوف بأكمله من الداخل وتحمل سقفه المنقوش بزخارف عربية رائعة عقود مرتكزة على أعمدة بعضها من الرخام الأبيض .. ويبلغ عدد الأعمدة التي تحمل السقف ١٣٤ عموداً وهي التي تسمى بالأكتاف ويضم المسجد محرابين أحدهما أقيم عند إنشاء المسجد الحالي عام ١٣٠٢ هـ أي قبل الاضافتين وهو المحراب المواجه للضريح ويعلو هذا المحراب لوحة تذكارية نقشت فوق الجدار بحروف مذهبة توضح تاريخ إنشاء المسجد ويعلو الجزء الواقع أمام هذا المحراب « شخشيخة » بها مجموعة من النوافذ الزجاجية وقد زينت جدرانها الداخلية بالنقوش العربية الملونة وكتبت حولها آيات من القرآن الكريم وأبيات من بردة الإمام البوصيري .

أما التوسعة الأخيرة التي تمت بالمسجد عام ١٣٨٦ هـ فتحوي أربع « شخشيخات » زينت جدرانها كلها بالآيات الكريمة أكبرها في وسط التوسعة وتعلوها قبة صغيرة وتحيط برقبتها نوافذ جصية مفرغة بزجاج ملون وكتب عليها آيات من سورة الفرقان والتي تليها تقع أمام المدخل الثاني للمسجد من ناحية شارع السد وتعلوها قبة من الحجر الصناعي كتب عليها نفس ما كتب على القبة السابقة ، ويلي ذلك قبتان تقعان في آخر المسجد من الناحية القبلية وهما أصغر مساحة من سابقتيهما وقد نقشتا كذلك بالنقوش العربية الملونة وزينتا بالآيات الكريمة من سورتي النوروالفتح .. وقد توجت جدران المسجد من الخارج من الجهات الشرقية والقبليةوالبحرية بآيات شريفة من القرآن الكريم نقشت على الحجر في الجهة القبلية كتب على الجدار الآية السابعة عشرة من سورة التوبة بينما كتب علي الواجهة البحرية المطلة على الميدان فوق الباب الأوسط آيات من سورة الأحزاب

إن مسجد السيدة زينب بطلة كربلاء والمجاهدة النبيلة التي شهدت بعينيها مصرع أسرتها من آل بيت النبي ما زال يحمل في ساحته وأركانه عبق السيرة العطرة لشهيدة الاباء التي لم تستسلم لقوى البغي وتحملت آلاماً وأحزاناً لا طاقة لبشر عليها ولكنها صمدت في شجاعة أمام المحنة لايمانها بأن قضيتها هي قضية الحق المسلوب وضرورة الصمود لاسترجاعه .

فاروق أباظة

أيها بني الإسلام



في هذه الرحاب المقدسة الطاهرة، حول الأقصى وقبة الصخرة، ارتكب الغزاة الصليبيون في ثاني أيام فتحهم لمدينة القدس (اعتباراً من ١٥ تموز عام ١٠٩٩، ولمدة أسبوع كامل)، أفظع ما مر بذاكرة النوع البشري من الجرائم الوحشية المروعة — التي لا تضاهيها في زماننا غير مذابح الصهيونيين، أحفاد الصليبيات الروحيين — حيث أهلكوا يومئذ بأنياب وحشيتهم الجائعة الزرقاء جميع مسلمي المدينة من ذكر وأنثى، ومن مختلف الأعمار بدون استثناء..

وبقراءة ابن الأثير في كتابه الموسوعي «الكامل في التاريخ» — (ج٨ — ص ١٨٩)، فإنه يجيء على ذكر هذه المذبحة من جانبها العربي الفاجع في ذلك الحين، بما يقرب أن يكون تصويراً لواقعنا الفاجع في هذه الأيام:

«كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش، وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني، فلما ظفر الفرنج بالأتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا، فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه (أي بيت المقدس)، وحصروه وبه الأمير إيلغازي وسقمان ابنا أرتق، ونصب عليه (الأفضل بن بدر الجمالي) نيفاً وأربعين منجنيقاً، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد فدام القتال نيفاً وأربعين يوماً، وملكوه بالأمان في شعبان، واستناب فيه المصريون رجلاً يعرف بافتخار الدولة، فقصده الفرنج بعد أن حصروا عكا»...

وبعد أن انتزع الصليبيون بيت المقدس من يد افتخار الدولة: «قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبّادهم، وزهّادهم.... وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد.... فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا، وأبكوا... فلشدة ما أصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني إلى حلوان، (بسبيل تحقيق نوع من الوفاق بين خلافة بغداد، وخلافة القاهرة، ضد العدو المشترك)، فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره، فعادوا من غير بلوغ أرب، ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين، فتمكن الفرنج من البلاد»!!!..

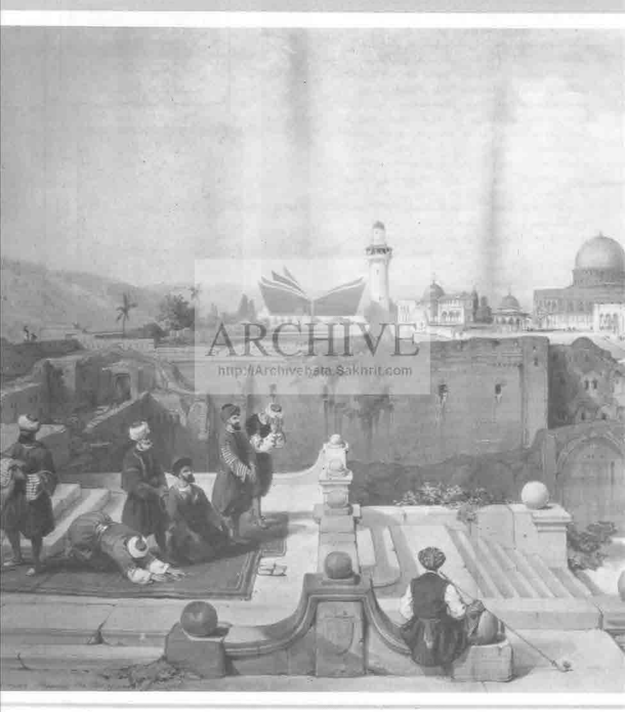
لكن وفد الاستنفار والاستنخاء الفلسطيني عاد على أية حال، من بلاط الخلافة المحتضرة في بغداد، بهذه البكائية الشعرية لأبي المظفر الأبيوردي التي أوردها ابن الأثير في اثنين وعشرين بيتاً، على حين لم يوردها ابن الجوزي في «فضائل القدس» في أكثر من عشرة أبيات، ونقتطف بدورنا الأبيات القليلة التالية منها إذ نريد كان انطباقها على واقعنا العربي والإسلامي الراهن، لا يقل بحال عما كان عليه في زمن أسلافنا الغابرين قبالة الصليبيين..

مزجنا دماءً بالدموع السواجم
فلم يبق منا عرصة للمراحم
وشرُّ صلاح المرء دمعٌ يُفيضُهُ
إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم
أتهويمةٌ في ظل أمنٍ وغبطة
وعيشٍ كنُوّار الخميلة ناعم
وإخوانكم بالشام يُضحي مقيلُهم
ظهورَ المذاكي، أو بطون القشاعم
تسومهمُ الرومُ الهوانَ، وأنتمو
تجرُّون ذيل الخفض، فعلَ المسالم
وتلك حروبٌ من يغب عن غمارها
ليسلمَ، يقرعْ بعدها سنَّ نادم
دعونَاكمو، والحرب ترنو مُلحّةً
إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تُراقبُ فينا غارةً عربيةً
تُطيل عليها الرومُ عضَّ الأباهم

....

فأيهاً بني الإسلام، إن وراءكم
وقائع يُلحقن الذرى بالمناسم

بقلم: يوسف الخطيب



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الحامض النووي بدلاً من بصمات الأصابع

لم تعد بصمات الأصابع هي الطريقة المثلى لتحديد الهوية خاصة بالنسبة لرجال الأمن فلقد توصل الباحثون البريطانيون إلى طريقة جديدة وأكثر شمولاً لتحديد الهوية إذ يمكن التعرف على أي شخص من خلال تحليل أي خلية من خلاياه ، حتى ولوكانت نقطة دم أو جزءاً من أظافره أو شعرة من شعره ، وذلك عن طريق اختبار الحامض النووي . ويمثل هذا الاختبار ثورة في مجال مكافحة الجريمة .

فمن المعروف أن كل خلايا الجسم تحتوي في نواتها على الحامض النووي فهو الذي يحمل العوامل الوراثية ـ أو الجينات وهو المسئول عن انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى آخر . وإذا كان جزيء الحامض النووي يحمل مئات الآلاف من الجينات التي تحمل معلومات تستخدمها في صنع بروتينات معينة ، فإن بعض مكونات هذه الجينات لاتحمل أي رسائل أو معلومات . وتوجد هذه المكونات مرصوصة في مجموعات بنظام محدد يتكرر على امتداد جزيء الحامض النووي . ويختلف عدد وطول وتوزيع هذه المجموعات من شخص لآخر ، ولكنها متطابقة لجميع خلايا الشخص الواحد .

وتمكن العلماء من الاستفادة من هذا الاكتشاف في صنع بطاقة هوية يظهر فيها توزيع هذه المكونات على امتداد جزيء الحامض النووي على شكل قضبان قصيرة كما تبين الصورة .

وللحصول على هذه البطاقة يعالج الحامض النووي لأي خلية من خلايا الشخص المراد التأكد من هويته بانزيمات خاصة لعزل هذه المكونات ، ثم يتم تصنيفها تبعاً للحجم بواسطة طريقة فصل كهربي متطور . وباستخدام تقنيات الهندسة الوراثية والمواد المشعة يتم التخلص من الجزء المشترك في هذه المكونات ولايظهر على الفيلم سوى الأجزاء المميزة لكل شخص والتي يتم طبعها بعد ذلك لتصبح بطاقة الهوية الجديدة .

ويقترح رجال الشرطة البريطانية استبدال بصمة الأصبع على بطاقة الهوية بهذه البصمات الوراثية .



البصمة الجديدة

الحامض النووى بدلا من بصمات الأصابع

مُحرِّك يعمل بالموجات فوق الصوتية

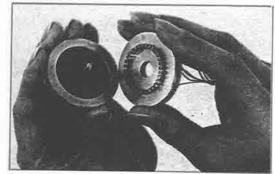
ابتكر اليابانيون نوعاً جديداً من المحركات يستخدم الموجات فوق الصوتية كقوة دافعة بدلاً من المغناطيسية .

ويتميز هذا المحرك بأنه يعمل بسلاسة عند السرعات المنخفضة دون الحاجة إلى جهاز لنقل الحركة . والغريب أن الشركة اليابانية صاحبة الاختراع بنت مجدها في العالم على المحركات الكهربية إلا أن هذه المحركات التي تستخدم الطاقة الكهرومغناطيسية لاتصل بالكفاءة المطلوبة عند السرعات المنخفضة فهي تحتاج إلى سلسلة من المسننات لتوليد حركات بطيئة سلسة .

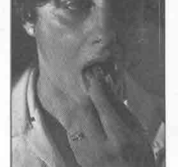
ويتكون المحرك فوق الصوتي من صفيحة ثابتة تمثل الجزء الثابت من المحرك وتحمل هذه الصفيحة حلقة من محولات للطاقة الكهربية تعمل كمكبرات صغيرة للصوت ، وتقوم هذه المحولات بتوليد موجات فوق صوتية تحدث اهتزازات في وسائل الاحتكاك التي تحمل حلقة أخرى حرة الدوران حول عمود الدوران .

ويعمل هذا المحرك بترددات تتراوح بين ٢٨ كيلوهرتز و ٧٢ كيلوهرتز حيث أن الإشارات ذات الترددات العالية التي تولدها محولات الطاقة وتعمل على تكبيرها تجعل الموجات فوق الصوتية تلف حول الجزء الثابت من المحرك دافعة الحلقة الدوارة إلى الدوران .

ومن أهم تطبيقات هذا النوع من المحركات الربوت والسيارات .



نموذج للمحرك الجديد



تبلع الكبسولة كأي دواء



الكبسولة المحشوة بالدوائر الالكترونية والعجلة التي ترسل الاشارات الى الخارج

مجس لاستكشاف الأمعاء الدقيقة

بعد أبحاث وتجارب دامت عشر سنوات تمكن الأطباء وعلماء الالكترونات الفرنسيون من ابتكار أول جهاز لاستكشاف الأمعاء الدقيقة .

ولاتعبر كلمة جهاز بدقة عنه ، فهو عبارة عن كبسولة طولها ٣،٨ سم وقطرها ١،١ سم ، وإن كانت محشوة بالدوائر الالكترونية فيمكنها أخذ عينات من العصارات المعوية والقذف بكل أنواع العقاقير خلال رحلتها داخل الأمعاء الدقيقة .

فبالرغم من أن أهم مراحل الهضم وهي الامتصاص تتم في الأمعاء الدقيقة لم يتمكن أي منظار من استكشاف هذا الجزء الحيوي من الجهاز الهضمي نظراً لصغر قطر الامعاء الدقيقة وطولها وكثرة تعاريجها .

وتدوم رحلة هذا المجس داخل الجهاز الهضمي ٤٨ ساعة تقريباً فهو يتحرك بسرعة ٢ سم/ثانية .

وتقوم هذه الكبسولة التي يحلو لمبتكريها اطلاق اسم مكوك عليها بدراسة القوة المحركة للامعاء الدقيقة وقياس كل من الضغوط والنشاط الكهربي ودرجة الحرارة السائدة على امتداد هذا الانبوب الكثير الالتواءات . كما زودت بمعمل صغير مثبت في الجزء الخلفي على شكل قمع مزود بمكبس زنبركي بحيث يمكن فصله عن جسم الكبسولة في أي لحظة بالتوجيه من بعد ليقوم هذا المعمل الصغير بشفط عينات من العصارة المعوية أو بتوصيل أدوية الى الامعاء مباشرة ويعمل الباحثون على تزويد هذا القمع بمشرط صغير لأخذ عينات من جدار الأمعاء أيضا .



ولقد صنعت هذه الكبسولة من هيكل من الصلب غير قابل للصدأ لكي تقاوم تأثير الحمض المعوي والانزيمات المختلفة . ولكي تستطيع إرسال المعلومات التي تجمعها الى الخارج زودت بعجلة صغيرة على سطحها الخارجي يمكن سحبها الى الداخل عند اللزوم . وتدور هذه العجلة حول نفسها عند ملامسة جدار الأمعاء وتوازي كل دورة كاملة اشارة لاسلكية يلتقطها هوائي يقع على مقربة من المريض في دائرة نصف قطرها عشرة أمتار ويتم التقاط هذه الاشارات وتسجيلها بيانياً . وبالتالي ترسل الكبسولة المعلومات ثانية بثانية الى مركز التحكم الخارجي عن اتجاهها وسرعتها وتنقلها خلال رحلتها داخل الأمعاء الدقيقة والتي تمتد مابين ٤ و ٨ ساعات .

ولقد أجرى هذا المكوك المعوي خمسين رحلة داخل أمعاء متطوعين من المرضى حيث يتم تنظيف المجس وتعقيمه قبل استخدامه مرة أخرى . وبالاضافة الى اهتمام أطباء الجهاز الهضمي بهذا المجس المتطور فإن صناعة الأدوية توليه اهتماماً كبيراً لاختبار فاعلية وأمان الأدوية التي تنتجها .

لكي لا يغفو السائق

تبين الاحصائيات أن ٢٥٪ من حوادث الطرق تقع نتيجة لارهاق واغفاء السائقين اثناء القيادة ويأتي هذا العامل في مقدمة أسباب الحوادث المميتة . ولذلك فكر مصممو السيارات في ابتكار نظام لرصد اغفاء السائق أثناء القيادة والعمل على ايقاظه .

ويتكون هذا النظام من ميكروكمبيوتر مبيت في لوحة السيارة ومتصل بجهازي رصد : الجهاز الأول يراقب سرعة السيارة بينما يسجل الجهاز الثاني المثبت على قضيب القيادة زوايا دوران عجلة القيادة .

إن الحركات البسيطة التي يحرك بها السائق عجلة القيادة أثناء السير ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجة تنبهه ، فهي تتجاوب مع العوامل المؤثرة على قدرة القيادة مثل الكحول أو نقص النوم أو قلة الخبرة ..الخ .

ويبدأ النظام عمله ابتداء من سرعة ٦٠ كيلومتراً في الساعة ، ويرصد حركات عجلة القيادة التي تقل أو تساوي ٢٥ درجة أي أثناء سير السيارة في خط مستقيم أو عند المنحنيات البسيطة ويسجل الميكروكمبيوتر عشرين قياساً لزوايا عجلة القيادة في الثانية كما يرصد السرعة كل ثانية ويختزن كل هذه القياسات ويحسب معادلة تربط المؤشرين معاً ويقارن متوسط القياسات على مدى عشر ثوان مع جدول معد مسبقاً خلال النصف ساعة الأولى من القيادة عندما تكون يقظة السائق عند حدها الأقصى . وتسمح المقارنة المستمرة مع هذا الجدول بمعدل كل ثانيتين باطلاق جرس انذار عند اللزوم . في بداية الأمر يكون الانذار لطيفاً بمجرد ظهور بوادر التعب على السائق ويكون في شكل ضوئي وصوتي ، ولكن عندما تبدأ حالة اليقظة في التدهور فإن جرس الانذار يصبح أقوى والاشارات الضوئية تومض بضوء أحمر قوي كما يمكن توصيل جهاز الانذار بجهاز أوتوماتيكي للحد من السرعة .

ولقد استغرق تصميم وتنفيذ هذا النظام خمس سنوات ومن المتوقع طرحه في الأسواق في غضون ثلاث سنوات .

الفيلم الفائز بجوائز الأوسكار



بقلم: رءوف توفيق

خسرت كل شيء: الحب والمحصول والمسكن وحان موعد الرحيل

ميريل ستريب وخادمها الافريقي فرح



لولا «المكان».. ماكان لهذا الفيلم، ذلك المذاق الخاص.

فالنظرة المدققة، لفيلم «خارج أفريقيا» تكشف أنه يقدم رؤية جديدة للعين، من خلال رحلة فنية باهرة الجمال، ومتدفقة بالمشاعر، داخل أفريقيا مع بداية هذا القرن.

وقد أصبح فيلم «خارج أفريقيا» حديث الأوساط السينمائية، خلال الأسابيع القليلة الماضية.. بعد فوزه بسبع جوائز أوسكار هي: جائزة أحسن فيلم ـ أحسن اخراج ـ أحسن سيناريو مأخوذ عن عمل أدبي ـ أحسن تصوير ـ أحسن موسيقى ـ أحسن صوت ـ أحسن ديكور.



المخرج سيدني بولاك سعيد وهو يحمل جائزتي الأوسكار: أحسن فيلم وأحسن اخراج

السينما تدق أبواب أفريقيا..



الاستمتاع بمياه الأنهار وجمال الطبيعة .. لقطة من فيلم «خارج أفريقيا».

وقد كان هذا الفيلم مرشحاً لإحدى عشرة جائزة أوسكار (من مجموع الجوائز الأربع والعشرين .. وكانت هذه الترشيحات العديدة لفيلم واحد .. هي السابقة الثانية في تاريخ جوائز الأوسكار – التي بدأت عام ١٩٢٩ – بعد الترشيحات التي حصل عليها فيلم «بن هور» عام ١٩٥٩ ، وكانت أيضاً أحد عشر ترشيحاً .

ومنذ ذلك الحين ، أي في خلال ٢٧ عاماً ، لم يحصل فيلم على هذا القدر من الترشيحات الفنية للجوائز .. حتى كان فيلم «خارج أفريقيا» !

وصنعت «سمعة» الفيلم ، تلك الطوابير الممتدة من المتفرجين على أبواب دور السينما في أوربا وأمريكا .

ومن أحد تلك الطوابير ، بشارع الشانزليزيه بباريس .. كنت أقف انظر حولي ، أحاول أن أقرأ تعبيرات الوجوه الملتهفة على الحصول على مقعد في دار العرض .. كان الطابور ممتداً لأكثر من خمسين متراً ، تحت رذاذ المطر ولفحات الهواء البارد ..

ما الذي يجمع هؤلاء ويدفعهم لترك منازلهم ودفء الاسترخاء أمام شاشة التليفزيون بقنواته الخمس (الفرنسية) .. ما الذي يتوقعونه ؟ وأي فضول يحركهم ؟!

وفي قاعة العرض .. ران الصمت لساعتين وربع – هي مدة عرض الفيلم – وكان الصمت هو دليل الاستجابة والمشاركة الكاملة .

البطل الحقيقي

ولا أنكر المتعة التي حصلت عليها بمشاهدة الفيلم .. ولكنها متعة ظلت مرتبطة في ذهني بتساؤل محير !

لو قيلت قصة الفيلم داخل أي مجتمع آخر غير أفريقيا .. هل كانت ستثير هذه الأهمية ؟

السينما
تدق أبواب أفريقيـا..




ميريل ستريب وروبرت ريدفورد ، داخل سيارة تتنقل داخل الأدغال

عندما جاءت الى الأرض الأفريقية أهملها زوجها وأصابها المرض والتعاسة

الاجابة : إن « المكان » هنا ، هو البطل الحقيقي ، بدليل أن ماتتذكره من الفيلم .. هو لمحات من طبيعة المكان الساحر المليء بالغموض والجمال .. وأصداء ايقاع موسيقى أفريقية .. وأطياف من وجوه سوداء ، تظهر وتختفي .. يسكن ملامحها ذلك الحذر والشك من المستعمر الأبيض .. قد تنطق به ، وقد لاتنطق .. ولكنك تشعر بوجوده ومعاناته .. وتظل هذه الوجوه السوداء هي العمق الحقيقي للمكان .. هي صاحبة الأرض والتقاليد .. ومكتشفة أسرار ماحولها .. ومبدعة الموسيقى .. ومنبتة الزرع .. والمحركة لعجلة العمل ..

أما تلك المرأة البيضاء ، التي تروي مذكراتها .. ومهما كانت شجاعتها بالرحيل إلى أرض مجهولة ، والبقاء بها لعدة سنوات .. إلا أن مشكلتها الأساسية التي دار حولها الموضوع .. أنها أخفقت في زواجها .. وأخفقت في حبها .. وأخفقت في مشاريعها .. واضطرت للعودة إلى بلدها ..

وهي مشكلة ـ بالتأكيد ـ من الممكن أن تحدث في أي زمان وأي مكان .

وقد تناول الأدب العالمي .. وتطرقت السينما لهذا الموضوع عشرات المرات .. ولم يعد هناك جديد من الممكن أن يقال في هذه الحالة .. إلا إذا كان الجديد هو اختيار المكان الذي تدور فيه الأحداث .. وبالتالي سيكون هناك الجديد في التفاصيل الصغيرة التي سيغزل منها العمل ككل .

وهذا مافعله المخرج الأمريكي « سيدني بولاك » .. فقد ذهب إلى أفريقيا .. ليقدم المكان ـ أساساً ـ كمبرر للقصة التي يرويها .

فكل قيمة هذه القصة ، أنها حدثت في أفريقيا .. وليس أكثر من هذا

تعدد مصادر الرؤية

والاتجاه الأخير في السينما العالمية .. هو الخروج بالكاميرا إلى أماكن جديدة وغير مألوفة للعين .

وقد تعرضت لهذا الاتجاه ، في مقال سابق بالدوحة ـ أغسطس عام ٨٣ ـ تعليقاً على فيلمي « عام الحياة الخطرة » للمخرج الاسترالي « بيتر واير » .. و « حرارة وغبار » للمخرج الانجليزي « جيمس أيفري » .

في فيلم « عام الحياة الخطرة » استخدم المخرج الاحداث السياسية في اندونسيا ، والانقلاب ضد « سوكارنو » .. كخلفية يحكي من خلالها قصة حب بين مراسل إذاعي استرالي وفتاة انجليزية تعمل سكرتيرة بالسفارة الانجليزية في جاكرتا

وفي فيلم « حرارة وغبار » .. يدخل المخرج إلى عالم الهند قديماً وحديثاً .. ليربط بين قصة حب وقعت في العشرينات من هذا القرن ، مع قصة حب معاصرة ..

وأشرت في ذلك المقال ، منددا باستخدام التاريخ ، ومعاناة الشعوب ، كديكور حي ومثير ، وكمجموعة زخارف لتجميل قصة حب !

ولكن هذا الاتجاه .. بالخروج بالكاميرا إلى أرض جديدة غير مطروقة سينمائياً .. بدأ يأخذ أشكالاً مختلفة .. لعل أبرزها فيلم « الطريق إلى الهند » للمخرج الانجليزي « دافيد لين » .. وفيلم « غاندي » للمخرج الانجليزي « ريتشارد اتينبورد » .

وتحولت رغبة صناع السينما العالمية في تغيير مصادر الرؤية البصرية .. إلى الجنوح للتطرف ، والبحث بين الغابات الكثيفة عن مبرر لتقديم موضوع يجذب انتباه الشباب الذين أصابهم الملل من أفلام الفضاء .

وهكذا انتقلت السينما من أقصى اجتهادات الخيال العلمي في الفضاء .. إلى أقصى درجات البدائية في الغابات ..

وتعرضت بالتحليل لهذا الانتقال المثير ، في مقال الدوحة لشهر سبتمبر ١٩٨٥ .. معتمداً على فيلمي « أسطورة طرزان » للمخرج « هيج هدسون » و « غابة الزمرد » للمخرج « جون بورمان » .. وكلاهما حقق المستوى الفني والتجاري في عامي ٨٤ ـ ٨٥

وهاهي السينما العالمية تدق باب أفريقيا .. لتقدم للمتفرج الملول ، مبرراً قوياً لكي يقف في الطوابير أمام دار العرض ، ليستمتع برؤية مختلفة عما تعوده .

الموقف من أفريقيا

ومما لاشك فيه .. أن المخرج الأمريكي « سيدني بولاك » دخل إلى أفريقيا ، بكل الحب والاحترام .. يحمل انفعالات الشاعر والفنان الذي تبهره لحظات شروق الشمس على الربوع الأفريقية .. وثراء الأرض وخصوبتها وتفجرها بالسحر والجمال .. سواء في أعنف



في الاحتفال بالزفاف ميريل تصافح أحد كبار المسئولين في الحامية البريطانية بنيروبي

لحظـات الوحشيـة : حـينمـا يصطدم بالحيوانات المفترسة .. أو في أعذب التفاصيل الإنسانية مع الانسان الأفريقي الذي كان يعيش وطأة الاستعمار الانجليزي في تلك الفترة من بدايات هذا القرن .. وذلك الانسان القوي ، البسيط ، الذي لايعرف القراءة أو الكتابة .. ويجبره السادة البيض أن يعمل خادما يرتدي القفاز الأبيض ، ويحرس لقاءات العشاق .. ويسهر في الظلام مفتوح العينين لحمايتهم !

والمنطق المتأني .. يدعونا للتمهل الشديد قبل اصدار أي أحكام سياسية أو أخلاقية ضد المخرج « سيدني بولاك » في تقديمه للجانب الأفريقي في فيلمه ..

فقد كان أميناً لتلك الفترة ، حينما كان يمارس الانجليز كل الغطرسة ، والعنجهية ، وفي اعتقادهم الراسخ أن أفريقيا ماهي إلا مزرعة خاصة لنزواتهم وأحلامهم .

بل أنه كمخرج .. راعى أن يقدم القبح الأخلاقي وبشاعة السلوك الانجليزي في الصدام بينهم وبين بعض .. دون أن يتعرض للجانب الأفريقي بأي سخرية أو اتهام .. واحتفظ لهم بكل كرامتهم ، ونبل أخلاقهم .. وتعمد أن يقدم لقطة وهم يمارسون شعائر الدين الاسلامي في الصلاة

مغامرة تلك المرأة

وأحداث الفيلم مأخوذة من مذكرات البارونة الداتمركية الأصل « كارين بليكسن » والتي كانت تكتب باسم مستعار « ايزاك داينسين » .. وقد عاشت تسعة عشر عاماً في « كينيا » ـ منذ عام ١٩١٤ ـ واختارت أن تكتب تجربتها الخاصة ، بإحساس شاعري ملئ بالحب والحنين الى أفريقيا .

ومازالت كينيا تحتفظ لهذه المرأة بذكرياتها الجميلة .. واطلقت اسمها « كارين » على المنطقة التي كانت تعيش فيها .. ومازالت المنطقة تحمل هذا الاسم حتى الآن .. وقد جرى تصوير الفيلم في داخلها .. ومازال السكن الذي كانت تعيش فيه ، قائماً الى يومنا هذا .. ولكنه تحول الى مؤسسة علاجية تشرف عليها الحكومة الكينية .

ويحكي الفيلم عن تلك المرأة التي تزوجت ابن عمها البارون السويدي ، والذي كان يعيش في المستعمرة البريطانية بكينيا .. وتبدأ المشاهد بالكاتبة وهي تسطر مذكراتها .. تروي قصتها مع الذي تزوجته ، والذي أحبته .

فعندما رحلت من بلادها لتلحق بخطيبها في كينيا .. كان عليها أن تستقل الباخرة .. ثم القطار .. وفي محطة الوصول لم تجد أحدا يستقبلها .

وحملتها عربة بدائية يجرها انسان افريقي .. ووسط التراب والزحام .. تشق طريقها مذهولة بالعالم الجديد الذي انتقلت اليه .. وتدخل الى النادي المخصص للانجليز .. فتتفاجأ بنظرات الاستنكار والدهشة في عيون السادة الانجليز .. ويتقدم إليها مسرعاً خادم النادي ليأمرها بالخروج .. فهذا النادي مخصص للرجال فقط ..

ومنذ تلك اللحظة .. نشعر بموقف المخرج من هؤلاء السادة الانجليز ، ومدى الغطرسة التي يحملونها في داخلهم .. ونفهم أيضاً الملامح الأولى لشخصية خطيبها (لعب الدور الممثل النمساوي الأصل : كلاوس ماريا براندا ور) الذي لم يكلف نفسه مشقة انتظارها على محطة القطار .. وآثر أن يقابلها في الفندق ليخبرها بأن مراسم الزواج ستتم بعد ساعة واحدة ..

إنه شخص لايطيق الارتباط .. فقد تعود أن يعيش حياته كما يحب .. وإذا كان هو يهوى رحلات الصيد .. فلا مانع لديه أن يبدأ رحلة جديدة من رحلاته في اليوم التالي مباشرة لزواجه .

وهكذا ترى هذه المرأة نفسها .. تواجه الأرض الجديدة ، والبشر .. بمفردها ومنذ اليوم الأول لوصولها ..

فقد اختار لها مسكناً .. وعليها أن تعده



الممثل كلاوس ماريا في دور الزوج الأناني

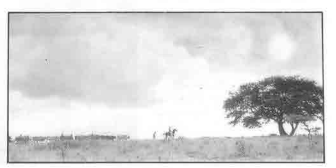


أثناء فترات الراحة بين التصوير .





المخرج سيدني بولاك أثناء الاعداد لمشهد يتضمن انطلاق قطيع من الأبقار



لقطة من الفيلم توضح طبيعة المكان وقدرة المصور على تشكيل الصورة

بالمفروشات التي حملتها معها في صناديق خشبية ضخمة.

واختار لها الخدم من الأفريقيين .. وعليها أن تجد الأسلوب للتعامل معهم..

واختار لها ـ ماهو أهم ـ أن يستثمر أموالها في مزرعة للبن .. وهي التي كانت اتفقت معه قبل أن تأتي الى هنا .. أن يستثمر أموالها في مزرعة لتربية الأبقار..

ولافائدة من الاحتجاج أو الغضب .. فهذا هو الأمر الواقع .. وعليها أن تدبر نفسها في غياب زوجها ..وفي تخليه الكامل عن مسئولياته تجاهها.

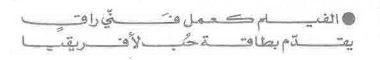
وعندما تبدأ في التعرف على المكان.. وتسأل في براءة شديدة كم من الوقت تستغرقه زراعة البن حتى يؤتي بمحصوله ؟ تأتيها الاجابة .. بأنها أربع سنوات ! هنا فقط تصرخ في غضب بالغ .. هل سأبقى في هذا المكان طوال هذه السنوات ؟

ولكن الأيام تمر.. حافلة بالاكتشافات.. وتتوطد علاقتها بالافريقيين ، وبالأرض التي تزرعها.. وبالحلم الذي يراودها بالارتباط بالرجل الآخر الذي أحبته (يلعب الدور الممثل الأمريكي روبرت ردفورد)..

لقد تعرفت عليه في بداية وصولها الى كينيا.. ثم وجدته أمامها ذات صباح وهي تواجه أحد الأسود الذي يتقدم ناحيتها.. وهي لاتدري كيف تتصرف من شدة الخوف والفزع.. في تلك اللحظة كان هو بالقرب منها يلقنها أن تتصرف بهدوء.. ولاتثير أي ضجة .. ولاتصدر أي صوت .. حتى مر الاسد بجوارها دون أن يحتك بها.



في لحظات الانهيار كان الصديق هو الذي يقدم النصيحة والأمل





عندما عادت من رحلة استقبلوها بهدية طائر ، طائر البومة ، كتميمة الحظ

وازدادت معرفتها به .. وهو يحميها من وقاحة أحد الانجليز السكارى .. ثم وهو يجلس بجوارها يستمع الى حكاياتها .

في تلك الأثناء كان زوجها قد انجرف الى مغامراته النسائية .. والى اصابتها بعدوى «الزهري» الذي عادت به الى بلدها لتتعالج منه .. ولكنها عندما رجعت الى كينيا ، كانت قد فقدت الأمل في أن تصبح أماً في يوم من الأيام ، وهذه ضريبة ذلك المرض اللعين .. بالاضافة الى أنها فقدت كل الروابط التي حرصت على ابقائها مع زوجها .. ولهذا قررت الانفصال عنه .

وكان البديل ذلك الرجل الآخر .. الذي رافقته في رحلة طويلة داخل الغابة الأفريقية .. وحلقت معه في طائرة لتكتشف ـ ونكتشف معها ـ الجمال الساحر للأرض العذراء .. وأسراب الطيور .. وقطعان الأبقار والغزلان ..

عاشت معه أجمل اللحظات .. ولكنه لم يرحب بفكرة الزواج منها .. فهو قد تعود أن يعيش طليقاً .. حراً ..

وتتوالى الصدمات عليها .. يشب حريق ضخم يلتهم مزرعة البن ومحصولها .. يسقط حبيبها بطائرته ويلقى مصرعه .. وتخسر كل شيء ..

ويباع أثاث بيتها في المزاد .. ولايبقى لها سوى صندوق خشبي قديم تكتب عليه مذكراتها .. ووفاء خادمها الافريقي الذي كان أميناً معها طوال سنوات إقامتها ..

وتعود «كارين» الى وطنها .. لتكتب تجربتها .. وينتهي الفيلم بصوتها الذي يحمل كل الشوق والحنين الى أفريقيا التي لن تعد اليها أبداً ..

أدوار قصيرة .. ولكنها معبرة

وأجمل مافي الفيلم .. تلك المشاهد التي سجلت ملامح الطبيعة الافريقية .. والتزاوج الرائع بين الصورة المعبرة وايقاع الموسيقى الأفريقية المتدفقة بالحيوية والمشاعر ..

وأجمل النماذج الانسانية .. هي التي خصها الفيلم للسكان الافريقيين .. وبالرغم من أدوارهم القصيرة .. إلا أنها كانت أدواراً مكثفة ، مليئة بالمعاني النبيلة .. كدور الخادم «فرح» المراقب الصامت الأمين .. ودور الطفل المريض بساقه والتي تقيحت جروحها من شدة الاهمال .. فتقدمت لعلاجه .. وحفظ لها هذا الجميل .

ودور عجوز القبيلة وحكيمها .. الذي كان يرفض بإصرار مشروعها بإقامة فصل دراسي لتعليم أطفال القبيلة القراءة والكتابة .. وحجته أن الأطفال يجب أن يتعلموا شيئاً مفيداً لحياتهم .. فماذا فعل الانجليز بإجادتهم القراءة والكتابة .؟!

وهناك شخصيات نساء القرية .. اللاتي خرجن لاستقبالها بعد عودتها من رحلة العلاج .. وكن يحملن لها الهدايا الرمزية .. ومنها طائر «البومة» كتميمة تجلب الحظ .

وقد استطاع كاتب السيناريو «كيرت لودتك» أن يحشد في هذه الشخصيات القليلة ، كل الرموز لمعاني الكرامة والوفاء والحكمة والأصالة .

واختار المخرج .. نماذج حقيقية من سكان تلك الأرض .. لتلعب هذه الشخصيات .. وكأنها جزء من الواقع الحقيقي .

وفي المقابل لعبت الممثلة الأمريكية «ميريل ستريب» دوراً مركباً .. مليئاً بالمشاعر المتناقضة .. من الغضب والتحدي .. والرقة والصلابة .. والألم والفرح .. وكم كانت ساحرة في لعبتها المفضلة عندما تخترع قصة وترويها بلا توقف .. من مجرد جملة بداية يلقيها صديقها ويمتحن بها قدرتها على الخيال !

كيف صنعوا الفيلم ؟

لقد تعاون فريق الفنيين في الفيلم ، لاعادة الحياة في هذه المنطقة بكينيا ، وكما كانت في عام ١٩١٤ .. انهمكوا يبحثون بين المتاحف وكل الصور الفوتوغرافية القديمة عن تفاصيل تلك الفترة .. ابتداء من شكل السكن الذي أقامت فيه الكاتبة .. الى نوع الستائر .. وقماش الثياب .. الى طراز المقاعد والموائد ولمبات الغاز ..

ثم امتد البحث الى نوع السيارات المستخدمة في تلك الفترة ، وفي هذه المنطقة بالذات .. وشكل القطار الذي يصل الى محطة نيروبي .. والأصعب من ذلك العثور على طائرة يمكنها أن تعمل وتطير بالفعل .. وتشبه الى حد كبير طراز الطائرات الموجودة في ذلك الوقت ..

ثم كان لابد من أن تكون الموسيقى والأغاني الأفريقية تحمل الطابع الخاص بالعشرينات من هذا القرن ..

ولما كان من الصعب .. تطويع الأسود البرية لتمثيل مشاهد الفيلم في أدغال كينيا .. لجأوا الى استحضار الأسود المدربة من كاليفورنيا الأمريكية .

وهكذا قدر عدد العاملين وراء كاميرات الفيلم .. بحوالي عشرة آلاف شخص .. كانت كل مهمتهم تحقيق الصورة الملائمة لافريقيا في بداية هذا القرن ..

ومن هنا .. من الممكن أن نلاحظ .. أن جوائز الأوسكار التي حصل عليها الفيلم .. ذهبت في أغلبها للفريق الفني (الصوت ـ الديكور ـ الموسيقى ـ التصوير) .

وإذا كان موضوع تلك المرأة ومذكراتها .. لايهمنا كثيراً .. إلا أن الفيلم ـ كعمل فني على مستوى راق ـ يقدم بطاقة حب الى أفريقيا .. وهذا وحده يكفي .

« رءوف توفيق »

يقدمها : يوسف الحرمي

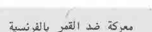
فوز نادي الجسرة ببطولة الدوري الثقافي الخليجي

الشيخ محمد بن عيد آل ثاني



أقام نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي حفلاً تكريمياً بمناسبة فوزه ببطولة الدوري الثقافي الثالث لأندية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي أقيم في الدوحة ، وجاء نادي البستين البحريني في المركز الثاني .. بينما احتل المركز الثالث نادي النصر السعودي .

وقام الشيخ محمد بن عيد آل ثاني السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الشباب في ختام الحفل بتوزيع الجوائز والميداليات على الأندية الفائزة ، كما تم تبادل الهدايا التذكارية بين رؤساء الوفود .



معركة ضد القمر بالفرنسية



مجيد طوبيا

• صدرت في فرنسا مؤخراً الترجمة الفرنسية لرواية « معركة ضد القمر» للكاتب المصري مجيد طوبيا في سلسلة « الآداب العربية الجديدة ، ويحتوي كتاب مجيد طوبيا معركة ضد القمر بالاضافة الى الرواية التي تحمل نفس العنوان « ٩٠ » صفحة على ثلاث قصص قصيرة .

وهذه رابع رواية تترجمها دار نشر ج . س . لات عن اللغة العربية ، هذه المجموعة التي بدأت بموجب اتفاق بين « لات » ومعهد العالم العربي في باريس بهدف التعريف بالأدب العربي في فرنسا ، وقد صدر عن نفس الدار خلال عام ١٩٨٥ الجزء الأول من ثلاثية الكاتب المصري نجيب محفوظ ، بين القصرين أما الجزءان الآخران فسيصدران في وقت قريب من هذا العام ، وهما رواية « صوت الفجر» للكاتب العراقي فؤاد التكرلي وحكاية « زهرة» للكاتبة اللبنانية حنان الشيخ .

معرض الفن والتراث بالدوحة



محمد المدني

أقام الفنانان محمد المدني ومحمد حسب الله معرضهما الثاني للفن والتراث تحت رعاية الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .

عرض الفنان المدني ٢٣ لوحة استلهم فيها فن الخط العربي ومعينه في ذلك آيات القرآن الكريم في صياغة لونية تشكيلية منسجمة ..

أما الفنان محمد حسب الله فقد قدم ٢٦ لوحة استلهم فيها فن الخط العربي ، ومعينه في ذلك نوع من الحروف العربية التي كانت تستخدم في القرن السابع الهجري حيث تم تحويرها إلى أشكال انسان وحيوان وطيور وقدم ذلك من خلال خامة الأكليك والطباعة باللينو .

محمد حسب الله

معرض للخط العربي بالدوحة

محمد زكريا

في اطار الموسم الثقافي لإدارة الثقافة والفنون وبالتعاون مع المركز الثقافي الأمريكي في الدوحة .. تم افتتاح المعرض المشترك للفنان الأمريكي المسلم محمد زكريا والفنان القطري يوسف أحمد .

عرض الفنان محمد زكريا ٢٤ لوحة نفذت بأساليب فنية مختلفة للخط العربي باعتباره قيمة تراثية قديمة استخدم فيها الفنان الأحبار التي صنعها بنفسه والورق المذهب في اطار تقليدي متوارث من قبل الخطاطين المسلمين .

كما عرض الفنان يوسف أحمد ١٦ لوحة فنية استخدم فيها الخط العربي بطريقة معاصرة ضمن تجاربه في التعبير لاستخدام طريقة « الجرافيك » والشاشة الحريرية وأدوات أخرى مختلفة ، وذلك بهدف تحقيق طواعية الحرف العربي للوصول الى هوية للوحة الخط العربي المعاصر .

الحركة الثقافية الفلسطينية ... في كتاب

• صدر في القدس كتاب جديد يحمل عنوان « خمسون عاماً في خضم الحركة الثقافية » تأليف الناشر الفلسطيني فوزي يوسف ، وقد استعرض المؤلف في كتابه ما تعرضت له الحركة الثقافية الفلسطينية من نكسات وضغوط مسلطاً الأضواء على بعض الشخصيات الأدبية البارزة مثل د . اسحق موسى الحسيني ، والمحامي أنور الخطيب ، والمحامي عبدالرحمن الشريف ، والدكتور أمين الخطيب ، والشيخ أسعد الامام الحسيني وجلهم من الرعيل الأدبي الأول ، ويقع الكتاب في « ١٦٠ » صفحة من القطع المتوسط وكتب مقدمته المحامي أنور الخطيب .

السندباد .. ليوسف الشاروني

• عن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدر كتاب جديد بعنوان « سندباد في عُمان » للكاتب المصري يوسف الشاروني.

استهل الشاروني كتابه بعبارات إهداء رقيقة إلى « سلطنة عُمان » التي (وهبتني منجماً من المعرفة فلا أقل من أن أرد إليها بعض بريق كنوزها).

الكتاب يقع في « ٣١٨ » صفحة ويتضمن موضوعات متنوعة عن المدن العُمانية والمعرفة والتراث الطبي إلى جانب ملامح مختلفة عن الحياة الاجتماعية في السلطنة.

٣ روايات جديدة لثروت أباظه

أصدرت الهيئة العامة للكتاب في مصر الجزء الرابع من الأعمال الكاملة للكاتب المصري ثروت أباظة، ويحتوي على ثلاث روايات هي: نقوش من ذهب ونحاس وخيوط السماء وطائر في العنق.

ديوان جديد للشرقاوي

أصدر الشاعر البحريني علي الشرقاوي ديوان شعر جديداً بعنوان « للعناصر شهادتها أيضاً أوالمذبحة ». ويحتوي الديوان على خمس وخمسين قصيدة.

للشاعر عدة دواوين صدرت له في البحرين والعراق والمملكة العربية السعودية منها « نخلة القلب » و« تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة » و« رؤيا الفتوح » ، هذا إلى جانب صدور بعض الأشعار للأطفال والمسرحيات.

مهرجان الفنون الشعبية الخليجية

وافقت اللجنة الثقافية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على إقامة الدوري الثقافي الرابع لدول المجلس بالكويت في شهر مارس من العام القادم.

كما تقرر إقامة مهرجان الفنون الشعبية لدول المجلس في الدوحة خلال الفترة من ١٦ إلى ٢٥ أكتوبر القادم وكذلك إقامة مهرجان القصة والشعر خلال الفترة من ١ إلى نوفمبر المقبل.

أمسية شعرية ناجحة بمكتب المنظمة بالدوحة



الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني

أحيت منظمة التحرير الفلسطينية بالدوحة أمسية شعرية بمناسبة يوم السجين الفلسطيني وبمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لاستشهاد القادة الثلاثة: محمد يوسف النجار، وكمال ناصر، وكمال عدوان.

شارك في الندوة نخبة من الشعراء العرب المقيمين في الدوحة وهم الشاعر الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني وحسن توفيق وحسان عطوان وحسن طلب ومجيد البرغوثي.

وقد ألقى كل واحد منهم عدة قصائد شعرية تعبر عن القضية الفلسطينية ومعاناة الانسان الفلسطيني داخل الوطن المحتل، والاصرار على الصمود ومقاومة المحتلين.

اضاءة ٧٧

صدر العدد الثالث عشر من مجلة اضاءة (٧٧) المصرية الشعرية التي يشرف على تحريرها عدد من الشعراء المصريين الذين بدأوا في اصدار أول عدد منها عام « ١٩٧٧ ».

وتعبر القصائد المنشورة في العدد، وكذلك المقالات والمتابعات النقدية عن رؤية شعرية جديدة يتبناها هؤلاء الشعراء محاولين تجاوز الركود والنمطية في الابداع الشعري المصري والعربي عامة.

يحتوي العدد الجديد على قصائد جديدة لكل من الشعراء السيد حجاب وماجد يوسف وحسن طلب وأمجد ريان، ومحمد خلاف، ومحمود نسيم بالاضافة إلى قصيدة مترجمة للشاعر الانجليزي المعاصر تيدهيوز.

كما يحتوي العدد أيضاً على دراسات حول شعر علي قنديل بقلم حلمي سالم وحول الشعر البحريني المعاصر بقلم أمجد ريان، وحول ثلاث تجارب شعرية في عُمان بقلم جمال القصاص، ورسائل خاصة بقلم محمد خلاف، وقراءات بصرية بريشة الفنان عمر جهان.

سيرة بيروت ديوان جديد لحلمي سالم

صدر ديوان جديد للشاعر المصري حلمي سالم وهو أحد شعراء جماعة اضاءة « ٧٧ » عنوان الديوان « سيرة بيروت » ويحتوي على تسع قصائد تشكل تجربة الشاعر إزاء حرب بيروت وحصارها في صيف عام ١٩٨٢ من قبل القوات الاسرائيلية الغازية حيث اشترك الشاعر حلمي سالم مع زملائه الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين في الصمود أمام هذا العدوان، وظل مع رفاقه طوال فترة الحصار ومن هنا كانت قصائد الديوان تعكس تجربة معاشة حية للصمود العربي في وجه العدوان الاسرائيلي.

وقد صدر للشاعر حلمي سالم من قبل خمسة دواوين شعرية هي: الغربة والانتظار، حبيبتي مزروعة في دماء الأرض، ودهاليزي، وسكندرياً ليكون الألم، والأبيض المتوسط.

صدر الديوان الجديد « سيرة بيروت » عن دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة، وباريس ورسم غلاف الديوان الفنان محمد حليم والرسوم الداخلية للفنان عمر جهان.

الأعمال الشعرية الكاملة « للزواتي »

تصدر قريباً عن مؤسسة السنابل الثقافية في الكويت الطبعة الثانية من المجلد الأول من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الفلسطيني حلمي الزواتي، ويعتبر هذا المجلد واحداً من ثلاثة مجلدات ستضم أشعار الزواتي الكاملة، ويأتي نشر هذه الأعمال ضمن مشروع ضخم يشمل آثار الزواتي في عشرة مجلدات موزعة على الأعمال الشعرية في ثلاثة مجلدات تليها المسرحية في مجلد رابع فالروائية في مجلد خامس، ثم الدراسات في خمسة مجلدات.

يتكون المجلد الأول من الأعمال الشعرية الكاملة من المجموعات على وجه الضياع، فاتحة الموت، والغضب ثلاثية الموت، والارتحال قبلة على جبين الشمس.